

مجلة
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
السنة الحادية عشرة
العدد الأول
غرة رمضان ١٣٩٨ هـ

المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



أسرة التحرير

المراسلات: ترسل إلى المجلة باسم رئيس التحرير

عنوان المراسلات: المدينة المنورة الجامعة الإسلامية

حكمة العدد

إن هذا الحق ثقيــل مريئ ، وان الباطــل خفيف وبيٌ ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظــرة زرعت شهوة . وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلا . .

« عمر بن الخطاب »

دعاء الصائم

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم . الصائم حين يفطر . والامام العادل . ودعوة المظلوم . .

الترمذى حديث حسن

● ✶ ●

وقال ابن ابي مليكة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما :

سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول :

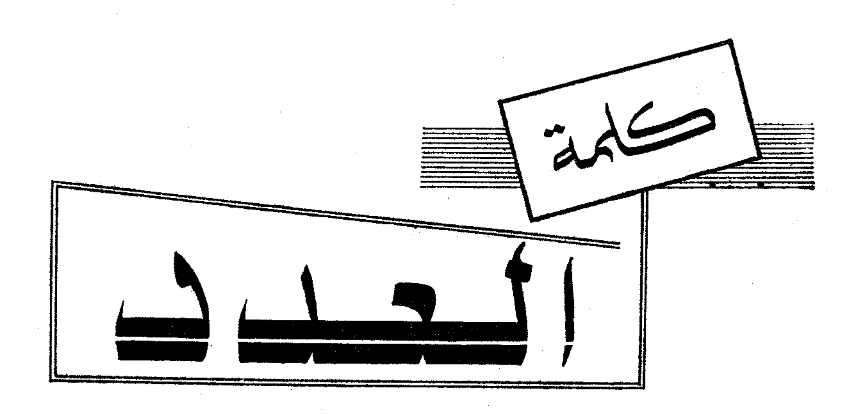
« إن للصائم عند فطره دعوةً لا ترد » . . قال ابن ابي مليكة : سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول « اللهم اني أسألك برحمتك التى وسعت كل شئ أن تغفر لى . .

ابن ماجه وغيره

● ★ ●

ومما يرى عن النبى عليه الصلاة والسلام كان إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » . . ومن وجه آخر « اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم » . .

الكلم الطيب لابن تيمية ص ١٢٥



بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه .

وبعد :

فمنذ أن أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مهبط الوحى ومشرق النور إلى العالمين ، وهى لا تفتأ تبذل من جهودها ما وسع العاملون المخلصون بها ، لتحمل لواء الدعوة في الداخل والخارج بما يسر الله لها من وسائل . وقد كانت سبّاقة إلى الاضطلاع بحمل هذا العبء لأن رسالتها عالمية تهدف إلى تخريج جيل من أبناء المسلمين في شتى أنحاء العالم ينهلون الإسلام من معينه الصافي علما وعملا ، على نهج السلف الصالح من هذه الأمة رضوان الله تعالى عليهم ، ثم يعودون إلى بلادهم ليفقهوا أقوامهم ويبصروهم بالهدى والحق من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إنفاذاً لقول الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

وقد رأت الجامعة منذ عشر سنوات مضت أن تصدر مجلة لها كإحدى وسائل نشر الدعوة ، تعبر عن رسالتها ، وتترجم عن أهدافها ، وتبلغ بقدر ما يمكن قلب كل مسلم في أرجاء المعمورة ، فتكون بمثابة داعية يجوب أقطار الأرض ، يدعو الناس جميعا إلى الرسالة التي نزلت إلى الناس جميعا على ما قال جل شأنه (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) .

وقد أفرغ الذين حملوا عبء إصدار المجلة في السنوات العشر الماضية جهوداً نسأل الله أن يجزيهم عنها خير الجزاء .

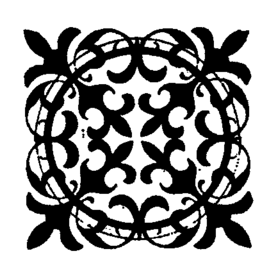
وها هى المجلة تبدأ عامها الحادى عشر ، ولكن في ثوب جديد ــ بعد أن رأت

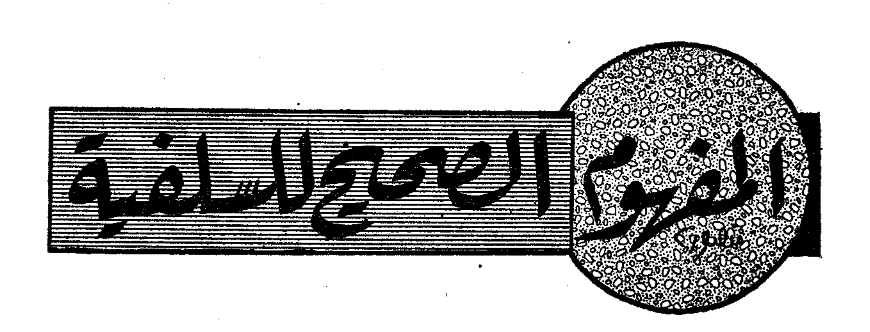
الجامعة تطويرها – فأحدثت أبواب ثابتة بالمجلة تستوعب موضوعات متنوعة في نظام متسق. كما أحدثت اللجنة جانباً منها يصدر باللغة الانجليزية يحمل بالترجمة معاني بعض آيات من القرآن الكريم ، وبابا آخر لترجمة معاني بعض الأحاديث النبوية وبابا ثالثا للتعريف بالإسلام .

وإذ تظهر المجلة بثوبها الجديد في عددها الأول في سنتها الحادية عشرة فإن أسرة التحرير تسأل الله العلى القـدير أن يوفق القائمين عليها للعمل الجاد الخالص لكى تصبح المجلة لسان صدق وخير داعية الى الله . والى نشر الدعوة الاسلامية في ربوع العالم كله انه خير مسئول واكر مجيب .

وصلى الله وسلم ويارك على عبده ورسوله الكريم محمد واله وصحبه . .

أسرة التحرير





السلفية مسلك منسوب إلى الرعيل الأول من سلف هذه الأمة الذين سبقونا بالإيمان والفضل والعمل الجاد لنشر الإسلام والدعوة إليه . وصدقوا الله في إيمانهم وعملهم .

فهي تعني تجريد العبادة لله وحده بجميع أنواعها بحيث لا تركع الظهور ولا تسجد الجباه ولا تعنو الوجوه إلا للحي القيوم إذ لا تذلل إلا لله . ولا خوف إلا من الله ولا فقر إلا إلى الله الغني الحميد .

فيصبح العبد المؤمن شجاعا صريحا واثقا بالله فتقضى هذه الثقة على العناصر الذميمة التي تحول بين العبد وبين ربه . من الخوف والخور والذل والتملق والنفاق والتزلف للمخلوق حيا أو ميتا جنيا أو إنسيا . مع عدم الخوض في صفات الله تعالى بغير علم بالتحريف أو التشبيه بل تمر كما جاءت في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وعدم الالحاد في أسمائه الحسنى .

ثم تعني بعد ذلك تجريد متابعة رسول الهدى محمد عليه الصلاة والسلام . والإكتفاء به إماما وقدوة والعمل بسنته والدعوة إليها وتحذير الناس من الإبتداع في دين الله الذى بعث به رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام .

ومن ثمرات هذا التجريد وتلك المتابعة الصادقة أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ويحب له ما يحب لنفسه من خير ويكره له ما يكره لنفسه من شر .

فالسلفيُّ صادق في توحيده وعبادة ربه ومحبة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام واتباعه . وهو حسن المعاملة مع الناس جميعا متواضع . حزين حين يفرح الناس باك حين يضحك الناس . يحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة .

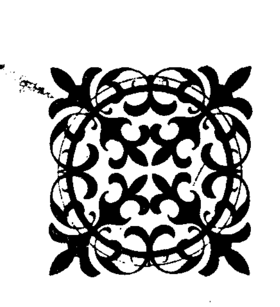
خائف وجل راج طامع عفيف اللسان رحيم القلب حريص على نفع عباد الله بكل ما يستطيع ، بعلمه وماله وجاهه وشفاعته .

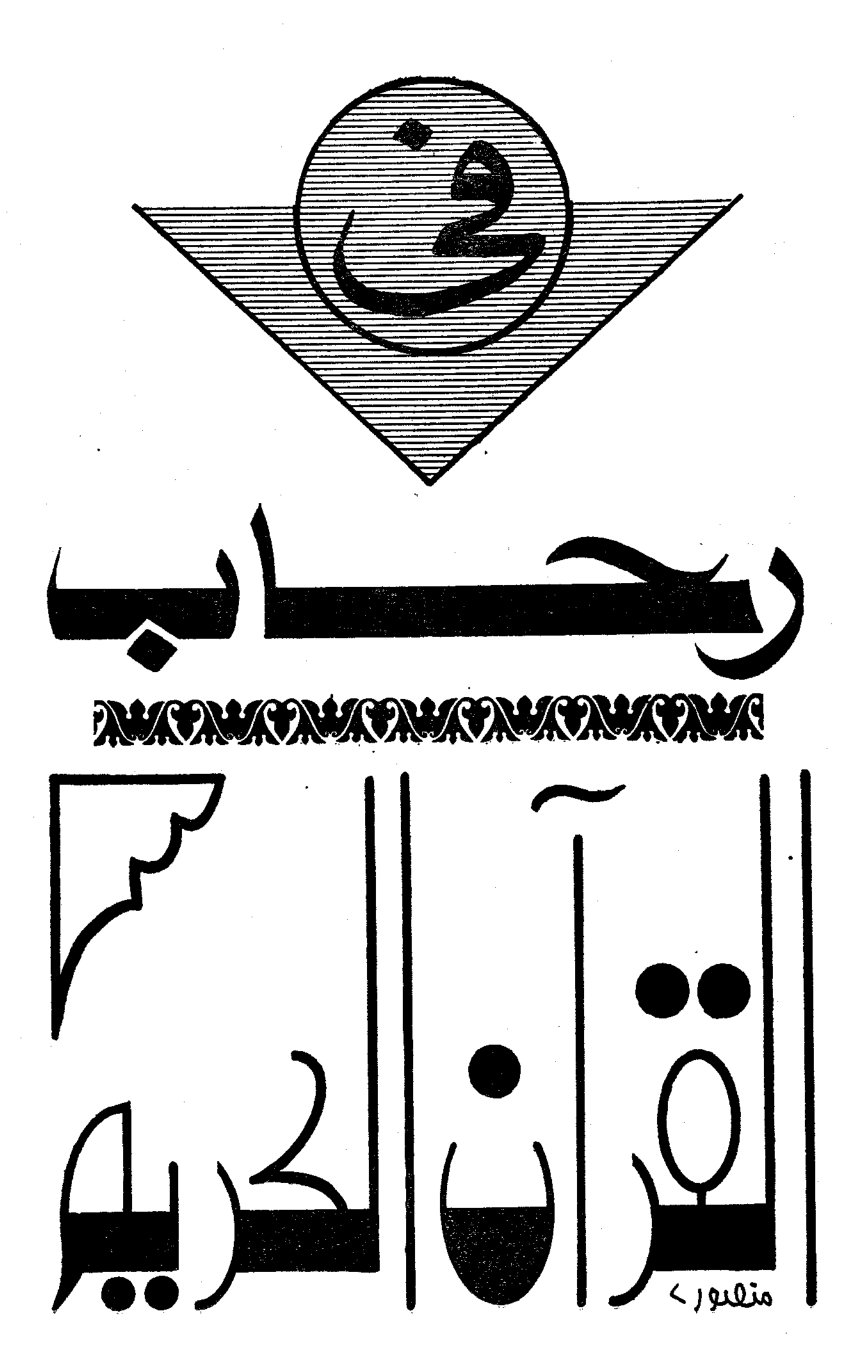
« اشفعوا تؤجروا . . » الحديث . .

دؤب على الجهاد في سبيل الله بالنوع الذى يدخل تحت استطاعته ، بنفسه ، أو بماله ، أو بلسانه ، أو بقلمه ، أو بكل ذلك حيث أمكن .

هذه هى السلفية بإيجاز . . وإياكم والمتسلفين المتكلفين السلفية ليستخدموها كوسيلة مؤقتة لغاية معينة . . والله المستعان .

أسرة التحرير





في
رحاب
القرآن الكريم



شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن

لفضيلة الشيخ أبى بكر الجزائرى

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون .

(الآية ١٨٥ من سورة البقرة)

يقدم شرحها : بمناسبة شهر رمضان المبارك . . . الجزائرى

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . .

وبعد فإن هذه الآية الكريمة من سورة البقرة من كتاب هذه الأمة القرآن الكريم لمن أعظم آى القرآن الكريم خيراً وبركة ، وذلك لأنها اوجبت صوم شهر رمضان الذى هو شهر البركة والخير ، ولأنها أشادت بفضل القرآن العظيم ونوهت بما فيه من الهدى والفرقان والقرآن كله بركة وخير ، ولأنها قرّرت رخصة الإفطار للمريض والمسافر . والرخصة يسر ، واليسر بركة وخير ، ولأنها أبانت عن مراد الله تعالى لأمة الإسلام ، ذلك المراد الكريم وهو اليسر في كل أمور هذه الإمة وشؤونها . والبعد بها عن مواطن الحرج والعسر . وفي هذا المراد الإلهى الخير كله والبركة جميعها ، ولأنها بشرت أمة القرآن بهداية الله تعالى لها وهيأتها لشكر نعم ربها عليها وفي ذلك من الخير والبركة ما لا يعلم مداه إلا الله .

ومن هنا كان شرح هذه الآية لقراء المجلة يتطلب بسطة في القول يضيق عنه نطاق المجلة المحدود .

وانطلاقاً من مبدأ : / (ما لايُدرك كله ، لا يترك جله) فإنا نشرح هذه الآية الكريمة

العظيمة شرحا سنراعى فيه مستويات القراء الثقافية العلمية المختلفة وذلك عذرنا لذوى المستوى العلىي العالى إذ هبطنا بالتعبير ليقرب من متناول ذوى العلم الضحل القليل ، كما هو عذرنا لقليلي العلم والمعرفة إذا رفعنا العبارة الى مستوى ما فوق السقوط والهبوط رَبْأً بالكلمات والمعاني من الإهمال والابتذال .

وتيسيراً للفهم ، وإمتاعا للعقل فإنا ننهج في شرح هذه الآية الكريمة نهج التحليل التقسيمى فنشرح الفاظها اولا ، ثم جملها وتراكيبها ثانيا ، ثم نسترج أحكامها الشرعية الحاوية لها ، ثم نبرز مظاهر هدايتها الكامنة فيها ، وبذلك يتم تحليل هذه الآية وشرحها المطلوب لها ، والله المستعان ، وعليه وحده التكلان . .

أ ــ الفاظها ومفرداتها :

(شهر) الشهر : الوقت المعين او المدة المحدودة من الزمن وهو تسعة وعشرون يوماً ، أو ثلاثون ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له كما هو في السنن والصحاح .

وقيل في هذه الفترة من الزمن شهر ، لشهرتها بين الناس ، وذلك لتعلق مصالحهم الدينيّة والدنيوية بها ، إذ العقول لابد لها من آجال تربط بها ، ولا نعرف إلا بها .

(رمضان) اختلف في هذا اللفظ (رمضان) هل هو اسم جامد مرتجل، او هو اسم مشتق ؟ وان كان مشتقاً فهل هو من الرمض الذى هو مطر ينزل اول الخريف ، سمى به هذا الشهر ، لأنه يغسل ذنوب أهله الصائمين له القائمين فيه المعظمين لحرمته؟ أو هو من الرمضاء التى هى شدة الحر المحرق سمى بها هذا الشهر لأنه محرق ذنوب التائبين فيه ويطهرهم منها كما يطهر الجلد بالدباغ ؟ ؟ .

وإن كان اسما جامداً غير مشتق فهل هو اسم من أسماء الله تعالى لاضافة الشهر اليه في اكثر التعابير الشرعية ، ومن ذلك هذه الآية (شهر رمضان) .

ولو صح في هذا خبر عن سيد البشر لما جاز القول بغيره ، ولكن لما لم يصح كان للناس أن يقولوا . والله أعلم بما هو الحق في ذلك .

(القرآن) القرآن اسم وضع وضع الاعلام على كتاب الله تعالى المنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وهل هو اسم جامد كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله تعالى ؟ أو هو مشتق من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا كما ذهب إليه جمهور العلماء والمفسرين ؟ وكونه مشتقاً من قرأ إذا جمع يقال قرأ الماء في الحوض إذا جمعه ، ولما كان

القارئُ للكتاب الكريم يجمع كلماته وتراكيبه عند النطق بها قيل له قارئٌ والمقروء قرآن فهو مصدر بمعنى المفعول وضع علماً على كتاب الله تعالى ليعرف به بين سائر كتبه تعالى .

(هدى) الهدى مصدر هدى يهدى هدىً وهدياً وهداية إذا ارشد إلى طريقة خير ، أو سبيل سعادة . وجعل الله تبارك وتعالى القرآن هدى للناس ، لأنه متى آمنوا به واخذوا بما فيه من الشرائع والأحكام هداهم إلى سبل السعادة والسلام ، ودلهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والأخرى ، وأرشدهم إلى الخير الذى جبلوا على حبه والرغبة فيه ما استقامت فطرهم وسلمت أرواحهم من الخبث والشر .

(الفرقان) : هذا اللفظ مصدر فرق يفرق فرقا وفرقانا بين الشيئين والاشياء ميز بينها وفصل بعضها عن بعض .

أطلق على القرآن العظيم فصار علماً ثانياً له كالقران ، لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى ، والضلال ، والكفر والإيمان ، وبين كل الملتبسات والمتشابهات مما قد تضل فيه العقول ويلتبس عليها ، وذلك لما فيه من أنواع الهدايات الإلهية العظيمة التى لا توجد في غيره من الكتب السماوية .

(شهد) شهد هنا هو بمعنى حضر الإعلان عن رؤية هلال رمضان سواء رآه بعينه مشاهداً له أو سمع الأخبار برؤيته ، وهو حاضر غير مسافر وصحيح غير مريض فليصم على سبيل الوجوب ان كان بالغاً عاقلاً ، وإن كانت امرأة اشترط في صومها ان تكون طاهرة من دَمَيِ الحيض والنفاس .

(فليصمه) الفاء واقعة في جواب الشرط الذى هو (مَنْ) في قوله فمن شهد منكم الشهر . واللام للأمر الذى هو هنا للوجوب .

ويصمه بمعنى يمسك عن المفطرات من طعام وشراب وغشيان النساء والضمير عائد على شهر رمضان الذى تقدم في أول الآية ، أى يمسك الشهر كله فلا يفطر فيه إلا اذا مرض أو سافر . أو حاضت المرأة أو نفست .

(ومن كان مريضاً) الواو للعطف أو الاستئناف ، ومن كان مريضا اى ومن قام به مرض والمرض هو انحراف الأمزجة المسبب لضعف القوة ، وذهاب القدرة على تحمل مشقة التكليف الذى هو الصوم هنا .

(أو على سفر) أو حرف عطف ، وعلى حرف جر واستعلاء والسفر مشتق من سفر اذا ظهر . فمن ظهر من البلد الذى يسكنه بحيث خرج منه وتجاوز دياره ولو حكماً جازله ان يفطر ، ودل حرف على في الآية على انه لابد من السفر الفعلى فلا يكفى مجرد النية او مباشرة بعض أسباب السفر بل لابد من التمكن من السفر ، وذلك لا يتم حقيقة إلا إذا خرج من البلد وتجاوز دياره ، وبذلك يكون قد تمكن المسافر من السفر تمكن الراكب من ظهر دابته . أو ما يركبه ، وهذا هو السر في حرف على في الآية .

والسفر الذى تذكره الآية السفر الشرعى لا اللغوى فليس لمؤمن أن يظهر خارج قريته ويفطر بحجة أنه مسافر ، وإنما يفطر في السفر المباح الهادف الى خير دينى أو دنيوى يتحقق للمسلم ، وان يكون مسافة تحصل معها المشقة الملائمة للرخصة .

(فعدة من أيام أخر) العدة بمعنى العدد ، والأيام جمع يوم وهو هنا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وأخر جمع آخر اى غير التى افطرتم فيها من سائر أيام السنة .

والفاء داخلة على محذوف والتقدير : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه صيام عدة أيام أخر بقدر ما أفطر فيه ، ومن هنا كان القضاء واجبا حتمياً . ومن فرط في القضاء بلا عذر حتى دخل عليه رمضان آخر فقضى بعده فإن عليه أن يطعم مسكيناً كل يوم يقضيه كفارة لتفريطه بلاعذر قام به .

(يريد الله بكم اليسر) إرادة الله تعالى هنا شرعية قدرية واليسر السهولة وهى ضد الشدة المسببة للمشقة . والجملة خبرية . سيقت لتعليل حكم هذه الرخصة للمريض والمسافر وهى مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية .

(ولا يريد بكم العسر) العسر : الشدة والمشقة وهو خلاف اليسر والسهولة والجملة معطوفة على الجملة قبلها ذكرت تقريراً لإرادة الله تعالى اليسر بهذه الأمة المرحومة أمة الإسلام .

(ولتكملوا العدة) الواو للعطف والاستئناف ، واللام للتعليل والإكمال الإتمام ، والعدة مجموعة أيام الشهر ، أى رخص الله تعالى في الافطار للمريض والمسافر واوجب

القضاء عليهما من أجل أن يكمل لهما صوم شهر رمضان فيثابون عليه كله ، وفي ذلك من العناية بهذه الأمة وحسن التشريع لها والرأفة بها واردة الخير لها ما لا يقدر قدره فالحمد لله تعالى على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ! ! !

(ولتكبروا الله) الواو للعطف أو الاستئناف واللام للتعليل وتكبروا بمعنى تعظموا الله تعالى بلفظ الله اكبر . الله اكبر . لا اله إلا الله ، الله اكبر الله اكبر ولله الحمد وذلك ليلة غيد الفطر وعند الخروج إلى المصلى ، وعند انتظار الصلاة به بين هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ، أى شرع الله تعالى لنا الصوم والإفطار فنصوم بأمر الله تعالى ونفطر بإذنه تعالى وفي ذلك مظهرمن مظاهر عظمة الرب تعالى وهنا يتعين التكبير لله والتعظيم فتنطلق ألسنة المؤمنين لاهجة بأعظم لفظ الله اكبر ، الله اكبر . لا اله الا الله . الله اكبر الله اكبر ولله الحمد . .

(على ما هداكم) على هنا تعليلية بمعنى لأجل أى تكبرون الله لاجل ما هداكم إليه من الصيام الذى هو من أعظم العبادات ، والإفطار الذى هو من أكبر النعم على العباد حيث أباح لهم ربهم تعالى الأكل والشرب وما كان ممنوعا بالصوم تعبداً لهم وتربية وتهذيباً فله وحده الحمد والمنة .

(ولعلكم تشكرون) الواو للعطف . . ولعل هى الإعدادية كما قال بعض أهل الذوق القرآني أى تعد المؤمن للشكر . . و(تشكرون بمعنى تظهر ون نعمة الله عليكم بحمد الله تعالى المنعم بها ، والثناء عليه مع طاعته بامتثال امره واجتناب نهيه ، فمن امتثل امر الله فصام رمضان ثم أفطر يوم العيد ولبس صَالِحَ ثيابه وتصدق من طيب ماله وخرج يلهج بذكر اسم ربه وصلى صلاة العيد فقد شكر الله ، وأدى بعض الواجب الذى خُلق لأجله الذى هو الذكر والشكر .

ب : جملها وتراكيبها :

قوله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان) . .

في هذا التركيب العظيم يخبر تعالى ان ما كتبه على عباده المؤمنين من صيام أيام معدودات بقوله في أول السياق : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات) . هو أيام شهر رمضان المبارك الذى هو سيد الشهور

وأفضلها بما خصه الله تعالى به من نزول القرآن سيد الكتب وأفضلها فيه ابتداءً حيث نزل الروح الأمين بأول آية منه وهى (أقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من عاق . أقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) ، في رمضان بلا خلاف ، وانتهاء حيث نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، وكان ذلك في ليلة القدر من رمضان لقوله تعالى : (إنا انزلناه في ليلة القدر) ، وقوله : (إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، وهى ليلة القدر ويشهد لذلك الاحتفال بها من قبل الملائكة في السماء والمؤمنين من الناس في الأرض كل ليلة قَدْرٍ مِنْ رمضان (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر) . كما أن الله تعالى قد أنزل في شأن صيام رمضان قرآنا ، به وجب صومه وتحتم على المؤمنين قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، وقال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه أى شهر رمضان .

فهذه المعاني الثلاثة أوردناها تتدرج كلها تحت لفظ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .

أما قوله تعالى : (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فإن هذا الجزء من القول أو التركيب هو حال من القرآن أى أنزله تعالى حال كونه هدىً للناس عامة ، فكل إنسان يؤمن به ويقدمه بين يديه نور هداية اهتدى به فارشده الى ما يكمل آدميته ويسعده في الدنيا ويؤهله لسعادة الدار الآخرة وبينات من الهدى والفرقان حيث حوى من التشريع العاصم من الضلال والمنجى من الردى والهلاك ، والموضح لسبل السعادة وطرق الكمال ما لا يوجد في غيره مما سبقه من كتب الله تعالى التى أنزلها على رسله عليهم السلام .

قوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر .

في هذا التركيب الكريم يأمر تعالى المؤمنين الذين أعلمهم بأنه كتب عليهم صيام شهر رمضان المعظم يأمرهم بأن كل من حضر دخول شهر رمضان عليه أن يصومه أمراً لازماً وقضاء محتوما ، اللهم الا من كان منهم مريضاً او على سفر فإن له ان يفطر دفعاً للمشقة التى قد تلحقه بالصيام ، وإذا هو افطر فإن عليه قضاء أيام أخر بعدد الأيام التى افطرها من رمضان لمرضه او سفره .

وقوله تعالى :

(يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر) .

ان هذا الجزء من التركيب في الآية قد سيق لغرض التعليل لرخصة الإفطار في رمضان بسبب المرض أو السفر . كما فيه بشرى تثلج لها صدور المؤمنين وتقربها أعين المسلمين ، اذ اخبرهم ربهم ان شأنه سبحانه وتعالى معهم دائما ارادة اليسر بهم ، ونفى العسر عنهم في كل ما يشرع لهم ، ويدعوهم إليه ويهديهم الى فعله والقيام به من سائر العبادات والقرب والطاعات .

وقوله تعالى :

(ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون) . .

تضمن هذا الجزء الأخير من الآية ثلاث تعليلات ، الأول التعليل لقضاء ما أفطر فيه المريض والمسافر من رمضان ، فإن العلة في القضاء هى أن يكمل المؤمن عدة صوم رمضان فيصوم تسعة وعشرين يوما او ثلاثين ، فيثاب ثواب من صام كل رمضان ولم يفطر فيه ، وهذا خير عظيم وفضل كبير حيث أيام القضاء وهى قطعاً من غير شهر رمضان بانضمامها إلى عدة أيام رمضان تصبح ذات فضل وأجر كأنما هى من شهر رمضان .

والثاني التعليل لهداية الله تعالى لهذه الأمة إلى أكمل الشرائع واحسنها ، وأجلها وأعظمها مع التوفيق للأخذ بها والعمل بما فيها ، مما يبعث على تكبير الله تعالى وتعظيمه فالقلوب تستشعر عظمة الله تعالى من عظمة علمه وتشريعه ، والألسن تلهج بذكره وتكبيره : الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله لله اكبر ، ولله الحمد .

والتعليل الثالث فإنه مسوق لكل ما تقدم من الإنعامات الإلهية على هذه الأمة فالله تعالى يَخْلُق ليذكر ويُنعِم ليُشكَر ، وتلك الغاية التى من اجلها خلق الخلق ، فإنه ما خلق ولا رزق ولا اكرم ولا أنعم إلا ليذكر بذلك ويشكر فيما أنعم تعالى على هذه الأمة المسلمة من جزيل النعم ، وعظيم الامتنان أعدها لشكره وهو الشكور الحليم .

ج : استخراج احكامها :

ان هذه الآية الكريمة المباركة تعد من آيات الاحكام لاحتوائها على عدة أحكام شرعية منها :

١) وجوب صوم رمضان الدال عليه قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

٢) وجوب ترائي هلال رمضان ، إذ صيام رمضان يتوقف على رؤية هلاله ، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب .

٣) الرخصة في الإفطار لمن لا يطيق الصيام لمرض أو كبر سن ، ولمن تلحقه مشقة لسفر ، أو حمل او إرضاع الدال عليه قوله تعالى (فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر .)

٤ وجوب قضاء ما افطر فيه صاحب الرخصة لقوله تعالى : (فعدة من أيام أخر) .

٥) سقوط سائر التكاليف بالعجز الكامل الذى هو انعدام القدرة على آداء الوايجب أو الانكفاف عن المحظور . دل على هذا الحكم قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وهو قوله تعالى ، (وما جعل عليكم في الدين من حرج) .

٦) وجوب تعظيم الرب تبارك وتعالى الدال عليه قوله تعالى : (ولتكبروا الله على ما هداكم)

٧) وجوب شكر النعم بحمد الله تعالى والثناء عليه وذكره وطاعته الدال عليه قوله تعالى : (على ما هداكم) .

٨) مشروعية التكبير ليلة العيد ويومه عند الذهاب الى المصلى . وهو مظهر من مظاهر تعظيم الرب وشكره وذكره وحسن عبادته ، وفي الحديث (يا معاذ إني احبك فلا تدعن ان تقول دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) . اللهم أعنا على ذلك إنك قوى قدير .

د ـ ما في الآية من هداية :

إن في كل آية من كتاب الله تعالى هداية خاصة تحملها للمؤمنين ، وللناس أجمعين إذ كل آية تدل باللزوم على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وسائر نعوت الكمال له كما تدل على نبوة محمد ورسالته صلى الله عليه وسلم ، وأعظم بهذه الهداية من هداية للعالمين . كما تدل بدلالة الخطاب على هداية خاصة وقد تتعدد وجوه الهداية في الآية الواحدة كما في آيتنا المباركة هذه فتبلغ العدد الكثير وهذا طرف مما حملته هذه الآية من هداية لأمة الإسلام : ـ

١ ـ جمع قلوب المسلمين على تعظيم ما عظم الله تعالى من شهر رمضان ، والقرآن العظيم وفي هذا من الهداية والبركة والخير ما لا يقدر قدره ، ولا يعرف مداه ولا يُطاق حصره .

٢ ـ رفع قيمة أمة الإسلام ، وإظهارها في مظاهر الوحدة والنظام مما يجعلها المثل الكامل بين شعوب العالم وأممه إذا التزمت ذلك .

٣ – تحقيق مبدأ الإيجابية بين أفراد الأمة الإسلامية ، والقضاء على مظاهر السلبية والتواكل تلك المظاهر التي تزرى بالأمم والشعوب ، وتقودها إلى هاوية الهلاك والدمار .

٤ – المحافظة على ينابيع الخير والجمال والكمال في امة الإسلام ، وذلك بقيامها بشكر الله تعالى بذكره وطاعته ، والشكر يقيد النعم الواردة ويجلب النعم الشاردة . كما قيل وصح .

٥ – تقرير مبدأ الخير والجمال وهما زينة حياة الأمم والشعوب وسرّ مجدها وعنصر بقائها حية قوية نامية صالحة تنفع وتضر ، وتهدى الحيارى إلى سبل الخير والسلام .

وأخيراً نشير إلى مكامن هذه الهدايات الخمس من الآية الكريمة فنقول :

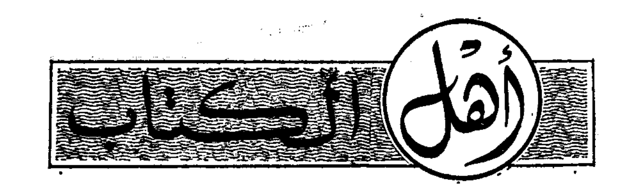
إنها في تعظيم رمضان والقرآن .

إنها في سرعة الامتثال والطاعة الصادقة .

إنها في جلال التشريع وجماله وسره وشموله .

إنها في الوفاء الكامل بالالتزام أى التزام كان مما هو شرع وطاعة لله ورسوله .

إنها في الذكر والشكر وهما علة الحياة وسر كل الوجود .



في القرآن الكريم

— ٤ —

لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

لايبعد عن الصواب من يرى « المنافقين » جرثومة يهود ، وان افرد الله في صدر سورة البقرة الحديث عن المنافقين بعد حديثه عن الذين كفروا » . والامام القرطبى يقول في قوله تعالى :

« وإذ قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء » الآية (١) . .

« وروى الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس أنها نزلت في شأن اليهود ، أى وإذا قيل لهم — يعنى اليهود — آمنوا كما آمن الناس : عبد الله بن سلام وأصحابه ، قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء يعنى الجهال والخرقاء » (٢) . .

إن اليهود يجامعون المنافقين بما استوجبوه بكفرهم في عاجل أمرهم وآجله ، ويذهبون بعد كل خسيسة ونقيصة تطالع القارئ لآيات سورة البقرة تحدثت عن بنى اسرائيل باعتبارهم أصل اليهود والنصارى ، وكأننا نرى تلكم الآيات تمسك بمخانقهم ، وتكشف عن خبيئتهم وتدعهم تفسيرا حيا ، وواقعا بشريا لما ترويه إلى أبد الدهر من صفاتهم وتصرفاتهم .

فإذا انتهينا من كلام الله عن المنافقين ، دورنا بخشوع ويقين على مشاهد وجود الله ، وشواهد نسبة القرآن إلى من أنزله معجزة خالدة تالدة على مصطفاه ، وفي ذلك ما يسكت المتكلمين بالانكار والمحاراة في هذه الحقائق المجلوة البينة ، وإن كان الذى يعلم من خلق قد قضى فيهم قضاءه بقوله : « فإن لن تفعلوا ولن تفعلوا . . » ، قال الامام القرطبى : « وهذا من الغيوب التى يضربها القرآن قبل وقوعها » (٣ .

واجهنا معجزة القرآن في عرضه لأمور كثيرة تكون بين الغرض الواحد التفاته عقلية وروحية هادية وتنقلا يجمّ الخواطر ، وينعش البصائر فتستقبل الكلام في السياق الأول

(١) البقرة / ١٣ .   (٢) تفسير القرطبى جـ١ ص ٢٠٥ طبعة دار القلم . .   (٣) الكتاب السابق جـ١ ص ٢٣٤ .

أقدر ماتكون تفهما واستيعابا « قلْ أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض أنه كان غفورا رحيما » (٤) :

والمفسرون يرون في قوله تعالى : « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما . . » الآية /٥/ أن اليهود هم المرادون بقوله تعالى : « واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا .

قال الحسن وقتادة : « لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ، ضحكت يهود ، قالوا : ما يشبه هذا كلام الله فنزلت الآية .

والآيات — بعد — وإن ذكر الله فيها صفات « الفاسقين » الخارجين عن طاعة الله تعالى كفراً أو عصيانا فلا يمتنع أن تكون في يهود (٦) فهم — لا ريب — ناقضوا العهود ، وما أقطعهم لمن كان ينبغى أن يصلوه وقد عرفوه كما عرفوا أبناءهم ، مما تحدثت به كتبهم وأنبياؤهم ، وتأمل مثل قوله تعالى « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » (٧) « وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافرين » (٨) : حلقات في سلسلة تأخذ من القوم بالنواصى والأقدام . .

وكم هى لمحة ذكية أن يقول الأمام القرطبي في قوله تعالى :

« كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم . . (٩) .

« فإن قيل : كيف يجوز أن يكون هذا الخطاب لأهل الكتاب وهم لم يكفروا بالله ؟ !

« فالجواب ما سبق من أنهم لما لم يثبتوا أمر محمد عليه الصلاة السلام ولم يصدقوه فيما جاء به فقد اشركوا ، لأنهم لم يقروا بأن القرآن من عند الله ، ومن زعم بأن القرآن كلام البشر فقد أشرك ، وصار ناقضا للعهد . . » (١٠) .

وتتصل الآيات في بيان مقاصد عليا وغايات رفيعة ، ثم ترانا من الآية ٤٠ حتى نهاية كلام الله تعالى عن تحويل القبلة امام صور احسان الله الى بنى اسرائيل ، وأنعمه عليهم الى مدى لم يكن من قبل لغيرهم ، وإن لم يثن منهم إلى الله عنانا ، ورحم الله ابن قيم الجوزية فقد قال :

(٤) الفرقان / ٦ . (٥) البقرة / ٢٦ .

(٦) قال ابن الجوزى فى تفسيره للآية « وفى المراد بالفاسقين هنا ثلاثة أقوال : أحدهما أنهم اليهود كما قال ابن عباس » ا هـ جـ ١ ص ٥٦ وهم راحلون فى القولين الآخرين .

(٧) البقرة . (٨) البقرة . (٩) البقرة . (١٠) تفسير القرطبى جـ١ ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .

« فالأمة الغضبية هم اليهود ، أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل ، قتلة الأنبياء وأكلة السحت — وهو الربا والرشا ، أخبث الأمم طوية ، وأردأهم سجية ، وأبعدهم من الرحمة ، وأقربهم من النقمة ، عادتهم البغضاء ، ودينهم العداوة والشحناء ، بيت السحر والكذب والحيل ، لا يرون لمن خالفهم — في كفرهم وتكذيبهم الانبياء — حرمة ، ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة ، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصَفة ، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة ، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة ، بل اخبثهم أعقلهم ، واحذقهم أغشهم ، وسليم الناصية — وحاشاه أن يوجد ببنهم — ليس بيهودى على الحقيقة ، أضيق الخلق صدورا ، وأظلمهم بيوتا ، وأنتنهم أفنية ، وأوحشهم سجية ، تحيتهم لعنة ، ولقاؤهم طيرة ، وشعارهم الغضب ، ووثارهم المقت » (١١) .

ان ابن القيم رحمه الله يقدم بهذه العجالة دراسة فاحصة مستوعبة عن يهود ، مبدؤها ومستمدها كتاب الله ، ابتداءً من قوله تعالى : « غير المغضوب عليهم » من سورة الفاتحة ، فقد سماهم النبي صلوات الله عليه ، وما لعاقل مَعْدِل عما سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عدى بن حاتم ، كما أخرجه الامام احمد وغيره باسناد حسن ، وقال الامام القرطبي « ويشهد لهذا التفسير قوله سبحانه في اليهود : « وباءوا بغضب من الله » (١٢) .

وقال : « وغضب الله عليهم » (١٣) . ا هـ . « وقال من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير » (١٤) .

إن القوم محجوبون بقبائحهم عن رضوان الله ، فكم حرفوا كلامه ، وعصوا رسله وقتلوا أنبياءه والذين يأمرون بالقسط من الناس ، وكانوا من خلال كل جريمة خلقية ، وكأنما قدت قلوبهم من الحجر ، وإن تراءوا في صور البشر ، فلا عجب أن يضرب الله فيهم الأمثال في غير مجال وما يزال قيد الخاطر قول الله في المنافقين « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا . . » وما وراءه فهى ليهود أشبه ، وهم في قصة البقرة التى أمرهم موسى أن يذبحوها فجادلوا أول الأمر فيها حتى ذبحوها ، وما كادوا يفعلون حتى انجلى حكم الله وحكمته . . على طبيعتهم في التعنت وسوء الأدب واللجاج مع نبيهم ، ألا تراهم يقولون غير مرة لموسى عليه السلام « أدع انا ربك » وهو تعالى ، ربه وربهم ورب كل شئ ،

---

(١١) كتابه « هداية الحيارى » ص ٨ توزيع الجامعة الاسلامية .
(١٢) البقرة / ٦١ .
(١٣) الفتح / ٦ – تفسير القرطبي ١٤٩ – ١٥٠
(١٤) المائدة / ٦٣ .

بعد أن جهلوا أمر نبيهم عن ربهم « لو أن يذبحوا بقرة » ونسبوا اليه للاستهزاء بهم ؟ ! إنها طبيعة القوم مذ كانوا إلى اليوم وما بقي منهم واحد ، وشديد عادة منتزعة . وليس عجبا أن ينتهى ذلك السياق بقوله تعالى فيهم :

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يسقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » (١٥) .

ومهما تعددت أقوال المفسرين في الذين قست قلوبهم ههنا ، فإن قوم موسى هم المرادون أولا وأخيرا وعلى كل حال ، فما كان أهل القتيل إلا نفرا من بنى اسرائيل ، « قال ابن عباس المراد قلوب ورثة القتيل لأنهم حين حَيِيَ وأخبر بقاتله وعاد إلى موته أنكروا قتله ، وقالوا : كذب بعد ما رأوا هذه الآية العظمى . . أن يضرب القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فيتكلم . . لم يكونوا قط أعمى قلوبا ولا أشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك . . » (١٦)

والقوم يتجاهلون حقائق وحقوقا بغياً وعدوا ، ويصور لهم ضلالهم ، ووهمهم وباطل فهمهم أن الوجود كلّه لهم ، وليس لسواهم حق في شئ ، فيفضح الله دخيلتهم ، ويهتك استارهم ، ويقلق أسرارهم ، ويقيض للبشرية من يتابع ذلك من رجال السياسة وزعماء الإصلاح في عصر بعد عصر ليكون الناس من هؤلاء القوم أيقاظا حذرين من شرور ومكايد تختفى وتبين بحسب الظروف والأحوال .

وإذا كان الحديث عن أهل الكتاب يهود ونصارى ، وهم وكل مبطل اليوم كما كانوا في كل يوم مضى على قلب رجل واحد في العداوة للاسلام والكيد للمسلمين ، فلا بأس في أن أورد ههنا كلاما لمارتن لوثر الذى يذكر على رأس الثورة التى يسمونها ثورة الاصلاح المسيحى في القرن السادس عشر الميلادى، فهو يقول ،(وأين عقول النصارى — ان كانت لهم عقول) ؟ . . مما يقول . ؟ !

« هؤلاء هم الكذابون الحقيقيون ، مصاصوا الدماء ، الذين لم يكتفوا بتحريف الكتاب المقدس وإفساده ، من الدنة إلى الدفة ، بل إنهم ما فتئوا يفسرون محتوياته حسب أهوائهم وشهواتهم ، وما كل هذه الآهات — والتنهدات والحسرات المتصاعدة من أعماق قلوبهم إلا تعبيرا عن انتظار اليوم الذى يستطيعون فيه معاملتنا ، كما سبق أن عاملوا الوثنيين وعبّاد النار خلال العهود الغابرة أيام الملكة استير في بلاد فارس .

---

(١٥) البقرة / ٧٤ .

(١٦) القرطبى ص ٤٦٣ . .

« أواه لكم هم مغرمون بقصة استير لانسجامها مع أمزجتهم المشغوفة بالدماء ، ونفسياتهم المغرمة بالانتقام ، ومع تعطشهم لجشع للإجرام . . إن التاريخ لم يعرف بعد شعبا مصاصا للدماء ، ولِهاً بالانتقام الدموى كالشعب اليهودى . . أقول وهى اليوم ترمى غيرها بدائها وتذرف دموع التماسيح ودماء غيرهم تتقاطر من بين الأصابع متناسية أن للناس عقولا وأبصاراً وأفئدة ويتابع مارتن لوثر قائلا : « الشعب اليهودى الذى يعتبر نفسه الشعب المصطفى المختار ، كذريعة يتخذها مبررا ليبيح لنفسه قتل الآمنين وسحقهم وشنقهم . .

« إن أول ما ينتظره اليهود من « مسيحهم المرتقب » ، مبادرته إلى ذبح جميع شعوب العالم وإبادتها ، مستخدما سيف الانتقام الدموى « اليهودى » كما حاولوا أن يفعاوا بنا ، نحن المسيحيين ، وكما يودون لو استطاعوا تكرار المحاولة بنجاح » .

وكم هى صيحة تبددت في فضاء الغفلات قول لوثر يومئذ « ولن يعرف التاريخ كذلك شعبا بمستوى الجشع الذى يتميز به اليهود ، فهكذا كانوا ، وهكذا هم اليوم ، وهكذا سيبقون إلى الأبد ، وهم يمنون النفس الآن . . والرجل كان يتكلم في القرن السادس عشر — بأنه حال ظهور « مسيحهم المرتقب » فسيبادر أيضا إلى جمع ذهب العالم وفضته ليوزعها بالتساوى عليهم » .

ويردف لوثر قائلا « وبينما يعفوا الامراء وأصحاب السلطة والمسئولون في العالم ، غافلين عما يدبر حولهم وبين ظهرانيهم يتابع اليهود سرقة وسلب ما يريدون من خزائن هؤلاء وصناديقهم المفتوحة ، والمسئولون بذلك إنما يخاطرون بأنفسهم وبرعاياهم ، حينما يتركون اليهود يمتصون دماءهم ويسلخون جلودهم برباهم الأسطورى الفاحش وأساليبهم الاحتيالية الخادعة . . وهكذا يتحول الامراء والمسئولون . . وهم أصحاب المال الشرعيون أصلا — إلى شحاذين فقراء في بلادهم » .

وكأني بالرجل وبيننا وبينه هذه القرون يرى بعض الواقع في ديارنا بخاصة وفي العالم عامة ! ! « وفي كل واد أثر من ثعلبة » ! . .

ثم يقول الرجل بمرارة وأسىً تعتلج بهما أنفس كثيرين وإن كان الداعى اليوم أمعن وأوجع . . « لقد استولى اليهود على أموالنا وارزاقنا ، فأصبحوا أرباب نعمتنا على أرضنا وفي وطننا ، وهم المنبوذون » . .

أقول : لقد صنع منبوذوا الأمس لأنفسهم وطنا ، واتخذوا القدس له عاصمة ، وهم

يعملون جهرة للانسياب والتسلل إلى مقدسات أخرى وديار ، وما كان شيءٌ من ذلك يكون لولا غيبة الدين وما يستتبعه من أنانيات وغفلات يقول في مثلها علي بن أبي طالب رضى الله عنه : —

« لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق » . .

ومارتن لوثر يذكر يقظة القوم وتناجيهم بصوالحهم الخاصة ، ويبرز بعض مبادئهم وأفكارهم التي يتواصون بها باغين فيقول :

(وهم يتهامسون في مجالسهم الخاصة لترسيخ إيمانهم بأنفسهم وكراهيتهم العميقة لنا) :

« استمروا في تنفيذ خططنا ، وسترون أن الله لن يتخلى عن شعبه المنبوذ المضطهد ، اننا لا نبذل جهدا ولا نعمل ، بل نحن استمرأنا البطالة والكسل ، فمن ليس يهوديا هو الذى يجب أن يعمل ويعرق من أجلنا ، ونحن من تجب أن تجنى ثمار كده وأرباح تعبه وعرقه كي نصبح تدريجيا ، أسياد العالم ، وتتحول شعوب الأرض بدورها إلى عبيد لنا وخدّام . . امضوا في ثبات — هكذا يقول اليهود — يا أبناء اسرائيل الأعزاء ، في السير على هذا الطريق فاليوم الذى سنكون فيه أفضل مما نحن عليه الآن ، آت لا ريب فيه ، إن مسيحنا المنتظر سيظهر إذا واصلنا السير على هذا المنوال ، فنكون دائما من الغانمين الرابحين ، بربانا الفاحش ، وتظفر أيدينا في النهاية بكل أملاك وأموال الوثنيين والملحدين » ويتحدث لوثر بعد أن أورد من تهامس القوم ما أورد . . فيقول :

« لقد لقنهم آباؤهم وحاخاماتهم ، منذ نعومة الأظفار الكراهية السامة لكل غريب عن ملتهم ، لا يدين باليهودية ، وما برحوا حتى يومنا هذا يمضون — دون كلل — تلك الكراهية المجسدة في كل فرد منهم ، حتى إن الكراهية تغلغلت — كما جاء في الزمور ١٠٩ — في أجسادهم ودمائهم ، فسيطرت عليهم ، وغلفت عظامهم وأدمغتهم فغدت منهم وفيهم كما هي حياتهم وكيانهم ، وكما أنه يستحيل عليهم تغيير أجسادهم ودمائهم وعظامهم وأدمغتهم ، كذلك يستحيل عليهم أن يتخلوا عن طباعهم المتأصلة فيهم ، كالتكبر والغرور والجشع والحسد ، لذلك لا مفر لهم من بقائهم على ما هم عليه : طماعون ، حاسدون مرابون — إلى أن تحل الساعة التي يبيدون فيها أنفسهم بأنفسهم أو تقع المعجزة » (١)

وينتهى الرجل وهو لوثر مصلح نصراني فيقول :

---

(١) لقد انتهى زمن المعجزات وعلى المؤمنين وهم يودون التفسير أن يذكروا قوله تعالى « ذلك ولو يشاء الله لا نتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » سورة محمد /٤ .

« فلتكن أيها المسيحى ، على ثقة من أنه ليس هناك من عدو لك مبين ، بعد الشيطان سوى اليهودى السامّ ببغضائة ، القاسى بحقده ، الطافح الناضح بالجشع والطمع والشراهة ، الذى يسعى بكل جهده ، ويتمنى من كل قلبه ، ليكون « يهوديا » حقيقيا بكل ما في الكلمة من معنى .

وكل ذلك يبرهن على أن حكم المسيح فيهم كان عادلا من وصفهم بالسامّين المنتقمين ، الحيات ، الأفاعى الضارة ، القتلة المأجورين ، وأبناء الشيطان ، الذين يقتلون ويلحقون الأذى بالآخرين غيلة وكيدا وغدرا ، لأنهم أضعف وأعجز من أن يفعلوا ذلك علنا وبصورة مكشوفة) ا هـ (١٧) .

إن كلام المصلحين النصارى والحكام عبر القرون في « يهود » يطول ويكثر ، وكلامهم وكلام اليهود « النصارى » كذلك ، وجل الله الذى يقول :

« وقالت اليهود ليست النصارى على شئ ، وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) (١٨) .

« الحديث موصول . .



(١٧) بتصرف من كتاب « اليهود » للأستاذ زهدى الفاتح

(١٨) البقرة / ١١٣ .



د. إبراهيم عبد الحميد سلامه

أسماؤها :

هذه السورة الكريمة ثلاثة أسماء : -

١ - المائدة ، وذلك لأن الله - جل في علاه - قص علينا فيها قول الحواريين لعيسى عليه السلام : (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . .) ؟ وما جرى بين عيسى وبينهم ، حيث نصحهم بتقوى الله ، وأرشدهم إلى ترك اقتراح الآيات المادية على ربهم ، وأنهم بينوا له الغرض من طلبهم هذا فقالوا : (نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أنْ قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين) وهنا رفع عيسى أكف الضراعة إلى ربه قائلا : (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) (١) .

٢ - سورة العقود ، وذلك لقول الله في مطلعها : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم . .) الآية .

٣ - المنقذة ، لأنها تنقذ صاحبها من أيدى ملائكة العذاب ، يقول القرطبي في تفسيره : (روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :) سورة المائدة تدعى (٢) في ملكوت الله المنقذة ، تنقذ صاحبها من أيدى ملائكة العذاب ((٣) .

نزولها : -

هى مدنية بالإجماع ، فقد أخرج ابن المنذر وابن جرير عن قتادة قال : المائدة مدنية) (٤) .

(١) راجع الآيات : ١١٢ - ١١٥ من سورة المائدة .

(٢) يبحث عن درجة هذا الحديث.

(٣) تفسير القرطبي : ٣٠/٦ وانظر الآلوسى : ٤٧/٦ .

(٤) فتح القدير للشوكاني : ٣/٢ ، والقرطبي : ٣٠/٦ .

بل إن سورة المائدة من أواخر سور القرآن نزولا فقد أخرج أحمد والنسائي وا · المنذر والحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقي في سننه عن جبير بن نُفير قال : (حججتُ فدخلتُ على عائشة ، فقالت لى : يا جبير ، تقرأ المائدة ؟ فقلتُ نعم فقالت : أما إنها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم من حرام فحرموه) (١) .

وأخرج أبو عُبيد عن محمد بن كعب القرظى قال : (نزلت سورة المائدة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته ، فتصدعت كتفها ، فنزل عنها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وذلك من ثقل الوحى) (٢) .

وإذا فمدنية هذه السورة بناء على أرجح مذاهب العلماء وأشهرها من أن المدني ما نزل بعد الهجرة ، ولو كان نزوله بمكة أو في الطريق بين مكة والمدينة ، فالحد الفاصل بين المكى والمدني هو وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكل ما نزل قبله من القرآن فهو مكي ، وكل ما نزل بعده فهو مدني ولو كان نزوله بمكة (٣)

عدد آياتها :

هى مائة وعشرون آية عند الكوفيين ، ومائة وثلاث وعشرون عند البصريين ، ومائة وثنتان وعشرون آية عند غيرهم .

وسبب هذا الاختلاف ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا قرأ على أصحابه السورة لأول مرة — بعد أن يكتمل نزولها — يقف على رأس كل آية للتوقيف وإعلامهم برءوس الآيات والفواصل ، فإذا قرأ السورة نفسها مرة أخرى فإنه قد يصل بين آيتين منها ، لأن الثانية تتم معنى الأولى ، فيظن من لم يسمع القراءة الاولى لهذه السورة ، أن هاتين الآيتين آية واحدة فيترتب على هذا الاختلاف في عدد الآيات : .

وهناك سبب آخر لاختلاف الكوفيين والبصريين وغيرهم في عدد الآيات القرآنية ، هو الاختلاف في البسملة وهل هى آية من كل سورة ، أو لا ؟ فمن عدّها آية تكون السورة عنده أزيد آية واحدة بالنسبة لغيره الذى لا يعتبرها كذلك (٤) .

وعلى كل فالخطب في مثل هذا الاختلاف يسير هين ، لأنه لا يترتب عليه زيادة ولا نقص في القرآن الكريم ، فمن قال : إن سورة

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه ، انظر فتح القدير : ٣/٢ وتفسير ابن كثير : ٢/٢ .
(٢) تفسير الآلوسى : ٤٧/٦ ، وفتح القدير : ٣/٢ .
(٣) راجع : مناهل العرفان للشيخ الزرقاني : ١٨٦/١ — ١٨٨ .
(٤) انظر : الاتقان للسيوطي : ٦٧/١ ، والبيان للشيخ غزلان : ٢٢٣ ومناهل العرفان للشيخ الزرقاني : ٣٣٧/١ ،

المائدة مائة وعشرون آية ، لا ينكر ثلاث آيات منها بناء على الـرأى الآخر الذى يقول : إنها مائة وثلاث وعشرون آية وصاحب هـذا القـول الأخير لا يضيف إلى السورة ثلاث آيـات ، لا يقول بها صاحب الرأى الأول — وإذاً فلا ضرر من هذا الاختلاف ، لأنه لا يترتب عليه زيادة ولا نقص في النص القـرآني ، وإنما هو خلاف في عدد الآيات فقط وإن كان الكل مجمعين على آيات كل سورة بلا خلاف

علاقتها بسورة النساء :

إن المتأمل في هاتين السورتين ليرى أن الثانية تناسب الأولى وترتبط بها من وجوه عديدة : —

الأول : أن سورة النساء قد اشتملت على عدة عقود ، صراحة أو ضمناً فالصريح عقد النكاح والصـداق والحلف والمعاهدة ، والضمنى عقد الوصية والوديعة ، والوكالة والعارية ، وغير ذلك مما هو داخل في عموم قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . .) فناسب ذلك أن تُتبع هذه السورة بما يناسب ذلك وهو الأمر بإيفاء العقود والحفاظ عليها والالتزام بموجبها وذلكم قوله تعالى في مطلع سورة المائدة : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . .) فكأنه قيل : يا أيها الناس أوفوا بالعقود التى فرغ من ذكرها في السورة السابقة ، وان كان في هذه أيضا عقود ، ذكر هذا الوجه الآلوسى نقلا عن الجلال السيوطى (١) .

الثاني : أنه سبحانه لما ختم سورة النساء آمـراً بالتوحيد والعدل ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، حيث بين أنصبة الورثة ، وحذر من تجاوز ما شرعه وبينه حيث قال : (يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شئ عليم) ناسب ذلك أن تفتتح هذه السورة بالأمر بالإيفاء بالعقود والمواثيق والحفـاظ عليها ، وعدم التحلل منها بحال .

الثالث : أن سورة النساء مهدت السبيل لتحريم الخمر ، حيث جاء فيها قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون . .) الآية (٢) ، وسورة المائدة حرمتها ألبتة . فكانت متممة لشئ فيما قبلها ، وذلكم قوله تعالى : في المائدة (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصـاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (٣) .

الرابع : أن معظم سورة المائدة في محاجة اليهود والنصـارى ، مع ذكر

(١) الآلوسى : ٦/٤٨ .

(٢) النساء /٤٣

(٣) المائدة /٩٠ الخمر كل ما يخمر العقل أى يغطيه ويستره والميسر : القمار. والأنصاب : الأصنام المنصوبة للعبادة ، والأزلام : قداح الميسر .

شيء من أمر المنافقين والمشركين ، وذلك ما تكرر في سورة النساء، ولا سيما في آخرها ، فذلك من أقوى المناسبات وأظهر وجوه الاتصال بين السورتين ، كأن ما جاء منه في المائدة مكمل ، ومتمم لما جاء في النساء .

هذا وفي كل من السورتين — فوق ما تقدم — طائفة من الأحكام العملية في العبادات ، والحلال والحرام ، كآيتى التيمم والوضوء ، وحكم حل المحصنات من المؤمنات ، والأمر بالقيام بالقسط ، والشهادة بالعدل ، من غير محاباة لأحد ، والوصية بتقوى الله تعالى .

وهنا سؤال يفرض نفسه وهو : لماذا يحرص كثير من المفسرين على ذكر العلاقات والمناسبات التى تربط بين سور القرآن الكريم بعضها ببعض ؟ وهل يلزم وجود مثل هذه العلاقات والمناسبات ، بين آيات القرآن بعضها مع بعض ؟ على معنى أن تكون هناك مناسبة بين كل آية وسابقتها ولاحقتها ومناسبة وصلة بين كل سورة وسابقتها ولاحقتها كذلك ؟

والجواب على ذلك أن المفسرين ، يحرصون على ذكر هذه المناسبات ، ليظهروا للناس كلهم ، وخاصة من عنوا بالدراسات القرآنية ، ما في هذا الكتاب العزيز ، من إحكام وترابط والانسجام وتآلف فهو : (كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أى أنه منظم رصين ، متقن متين ، لا يتطرق إليه خلل لفظى ولا معنوى ، كأنه بناء مشيد محكم ، يتحدى الزمن ، ولا ينتابه تصدع ولا وهن . مصداقاً لقول الله فيه : (وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٢) .

وإذا كان الأمر على ما ذكر فإنه يلزم أن تكون هناك مناسبات وعلاقات بين الآى والسور القرآنية ، ويتحتم أن يكون هناك ترابط وانسجام وتآلف بين كل آية وسابقتها ولاحقتها، وكل سورة وسابقتها ولاحقتها كذلك ، لأنه كلام الله المعجز للبشر الذى أعجز الفصحاء والبلغاء بأسلوبه الفذ ، وأعياهم عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٣) .

ومن العجيب أن الامام الشوكاني وهو علم في التفسير ، يعيب على المفسرين هذا المسلك ، ويقلل من قيمة هذا العمل وهو بيان التزام الربط بين الآيات القرآنية وسورها ، بل إنه يصرح بعدم وجود العلاقة والمناسبة بين آيات نزلت في مناسبات مختلفة ،

---

(١) هود / ١ (٢) فصلت : ٤١ – ٤٢ . (٣) الاسراء / ٨٨ .

وظروف متباينة ، ويستدل على قوله هذا بأن ترتيب السور القرآنية في المصحف مغاير لترتيب نزولها ، وإذا كان الأمر كذلك : (فأى معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخرا ، وتأخر ما أنزله الله متقدما ، فإن هذا عمل ، لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن ، بل إلى ما وقع من الترتيب ، عند جمعه ، ممن تصدى لذلك من الصحابة ، وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته ، وأحقر فائدته . .) (١) .

والناظر في كلام الامام الشوكاني يجد أنه مبنى على أمرين اثنين :

هما نزول القرآن مفرقا ومنجما حسب الحوادث والأسئلة ، والقضايا التى كانت تثار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — وأن ترتيب المصحف مغاير لترتيب النزول وهو من عمل الصحابة (٢) رضوان الله عليهم أجمعين

والحق أن ذلك كله لا يمنع من وجود الترابط والانسجام والتآلف بين الآيات والسور القرآنية ، التى بلغت أعلى درجة في البلاغة والفصاحة والإحكام .

ذلك أن القرآن الكريم ، وإن نزل منجماً ومفرقاً حسب الحوادث والوقائع إلا أن جبريل عليه السلام كان يوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع الآية من السورة ، وكان صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه ، وخاصة كتاب الوحى إلى ذلك ، فيقول : ضعوا هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ، أو بين آيتى كذا وكذا من سورة كذا ، وذلك ، لأن ترتيب آيات القرآن من النظم المعجز ، ولذلك لم يقل أحد بأنه من صنع البشر

وإذا كان ترتيب الآيات في سورها توقيفيا — فإنه من غير شك — يكون على أعلى درجات الإحكام والترابط والانسجام والتآلف .

وأما ترتيب السور القرآنية في المصحف وكونه من عمل الصحابة ، فإن ذلك أيضا لا يمنع وجود المناسبات والعلاقات بين السور القرآنية لأن الصحابة — رضوان الله عليهم اجمعين — كانوا في عملهم هذا ملتزمين الترتيب الذى علموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يتلو القرآن أمامهم في الصلاة وخارجها .

وخلاصة ما تقدم أن الآيات القرآنية قد رتبت في عهد رسول الله وبتوقيت منه عن جبريل عليه السلام — حفظا

(١) انظر : فتح القدير للشوكاني : ١/٧٢ – ٧٣)
(٢) بل ان ترتيب الآى في مصحف عثمان (رضى الله عنه) توقيّى لا بد للصحابة فيه . وهذا ما عليه أهل العلم ومن أدلته قراءته ﷺ بمصحف زيد آخر حياته، وقول ابن مسعود رضى الله عنه اخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة.

في الصـــدور ، وكتابة في السطور وأما السور ، فقد رتبت في عهده حفظا فقط ، ولم ترتب كتابة لعدم جمع القـــرآن كله في مصحف واحد في عهده صلى الله عليه وسلم ، فقام أصحابه رضوان الله عليهم بهذا العمل على النحو الذى كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولعل الامام الشوكاني يريد أن يقول إن المناسبة بين بعض الآيات قد لاتكون واضحة ، أو أن العقول البشرية قد تقصر أو تعجز عن إدراكها ، وفي مثل هذه الحالات فإنه يحسن عدم التكلف والتعسف في إظهارها تنزيها لكلام الله تعالى عن محض الرأى المنهى عنه .

والذى يدفعنى إلى هذا الفهم من كلام الشوكاني أمران :

الأول : أنه إمام من أئمة التفسير وعلم من أعلامه المبرزين فيبعد على مثله أن ينكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره فيما يظهر لى ولو أن كلامه يبدو منه الإنكار .

الثاني : أن الدارس لتفسير الشوكاني يجد أنه كثيرا ما يذكر المناسبات والعلاقات التى تربط آيات القـــرآن الكريم بعضها ببعض ، في عبارة واضـــحة ، لا لبس فيها ولا خفـــاء واكتفى بذكر مثال واحد يؤكد هذه الحقيقة :

— عند شرحه لقوله تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار . .) من سورة البقرة ، ذكر علاقته بما سبقه فقال : (لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقبه بجزاء المؤمنين ، ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد كما هى عادته سبحانه في كتابه العزيز لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعاته ، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه (١) .

إلى غير ذلك من المثل العديدة البارزة في تفسير الامام الشوكاني والتى جعلتنا نفهم كلامه على النحو السابق ، وإن كانت عبارته ظاهرة في إفادة عدم التناسب بين الآيات حيث يقول : (. . وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ، ومتباينة هذا التباين الذى لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها ، هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها ، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون ، والماء والنار والمـــلاح والحادى ، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك ، وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض ؟) (٢)

وفي ختام هذه الدراسة نحب أن نقف وقفة متأنية مع قصة ولدى آدم عليه

(١) المرجع نفسه / ٣٨ .

(٢) فتح القدير : ٧٢/١ – ٧٣ .

السلام التى قصها الله علينا في هذه السورة الكريمة لنقف على بعض ما فيها من عظات وعبر ، وإليك البيان : —

قال تعالى : (واتل عليهم نبأ ابنىْ آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، قال : لأقتلنك قال : إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ، ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ، إني أريد أن تبوء بإثمى وإثمك ، فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ، قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخى ، فأصبح من النادمين) (١) .

معاني المفردات :

(اتل) الأصل في هذه المادة التبع ، فالتِلو — بالكسر ولد الناقة والشاة ، إذا فطم وصار يتبعها ، وكل ما يتبع غيره في شئ يقال له تلوه ، والتلاوة — بالكسر — القراءة ولا تكاد تستعمل إلا في قراءة كلام الله تعالى ، وسميت قراءته تلاوة ، لأنه مثاني ، كلما قرئ منه شئ أتبع بقراءة غيره ، أو بإعادته ، أو لأن شأنه أن يُقرأ ليتبع ، بالاهتداء والعمل به .

(نبأ) : النبأ هو الخبر العظيم الذى له شأنه

(بالحق) : أى تلاوة متلبسة بالحق والصحة ، لأنها من عند الله

(قربانا) : هو اسم لما تتقرب به إلى الله من ذبيحة أو صدقة أو غير ذلك

(بسطت إلى يدك) : مددتها لقتلى وإراقة دمى .

(وتبوء بإثمى وإثمك) ، أى ترجع بإثم قتلك لى ، وإثمك الخـاص بك، الذى كان من شؤمه عدم قبول قُرُبانك

(فطوعت له نفسه قتل أخيه) : أى زينته وسهلته ، وشجعته عليه .

(سوأة أخيه) أى جسده ، وقيل عورته ، لأنها تسوء ناظرها ، وخصت بالذكر ، وإن كان المطلوب مواراة جميع الجسد لأن سترها آكد . (٢) .

علاقة الآيات بما قبلها :

بعد أن ذكر — عز اسمه — موقف اليهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإعراضهم عن دعوته على الرغم من وضـوح البراهين الدالة على صدقه ، حتى هم قوم منهم أن يبسطوا أيديهم لقتله ، وقتل كبار أصحابه ، مصداقا لقوله تعالى : (يا أيها

---

(١) المائدة : ٢٧ — ٣٠ .

(٢) انظر : المنار : ٣٤٠/٦ . والآلوسى : ٣١٤/٦ .

الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم).(١)، وما ذاك إلا حسداً منهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام، على ما آتاه الله من الدين الحق، وذكر كذلك تمردهم على نبيهم موسى عليه السلام ، ونكوصهم عن قتال الجبارين وذكر بعد ذلك قصة ولدى آدم عليه السلام اللذين قتل أحدهما صاحبه ، بيانا لكون الحسد الذى صرف هؤلاء عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وحملهم على عداوته عريقاً في الآدميين ، فالداء قديم ، والشر أصيل ، وإن كان هؤلاء اليهود قد ورثوا عن أسلافهم من هذا الداء الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر مصداقا لقوله تعالى : فيهم (بئسما اشتروا به أنفسهم ، أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) (٢) . وقوله : (وكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق .)(٣)

قال القرطبي : وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ، التنبيه من الله على أن ظلم اليهود ، ونقضهم المواثيق والعهود ، كظلم ابن آدم لأخيه : (٤) .

في ظلال النص الكريم :

يأمر الله – جل في علاه – رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، أن يتلو على الناس عامة وأهل الكتاب خاصة ، ذلك النبأ العظيم ، نبأ ابنى آدم ، تلاوة متلبسة بالحق ، مظهرة له ، لأنها من عند الله عالم الغيب والشهادة ، مبينة لغرائز البشر وطبائعهم وأنهم جبلوا على التباين والاختلاف ، الذى يفضى إلى التحاسد والتقاتل ، ليعلموا الحكمة فيما شرعه الله ، من عقوبات رادعة للبغاة الظالمين ، الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ، وليعلم أهل الكتاب صدق محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ، لاشتمال كتبهم على هذه القصة ، وهو لم يطلع على هذه الكتب فتعين أن يكون علمها عن طريق الوحى ، فتقوم بذلك الحجة عليهم ويعرف الجميع أنهم ضلوا على علم ، وجحدوا عن بينه .

وخلاصة نبأ ولدى آدم أن كلا منهما قرب لربه قربانا ، فتقبل من أحدهما ، لتقواه وإخلاصه ، وطيب نفسه بما قدم ، ورفض قربان الآخر ، لأنه كان على العكس من ذلك كله ، عندئذ ثارت ثائرته ودب الحسد في قلبه ، وحمله على البغي والعدوان فقال مهدداً ومتوعداً أخاه الذى تقبل الله قربانه : (لأقتلنك) فأجابه بقوله : (إنما يتقبل الله من المتقين) أى إنما يتقبل الله الصدقات وغيرها من الأعمال ،

(١) المائدة : ١١ .
(٢) البقرة / ٩٠ . (٣) البقرة / ١٠٩ . (٤) تفسير القرطبى : ١٣٣/٦ .

القبول الحسن المقترن بالرضا والمثوبة من عباده المتقين المخلصين .

فهذا الجواب يتضمن بيان سبب قبول قربان أحدهما ورفض قربان الآخر وكأن هذا الابن البار ، يقول لأخيه : إنى لم أرتكب ذنبا في حقك لتقتلني ، فإن كان الله تعالى لم يتقبل منك ، فارجع إلى نفسك فحاسبها على السبب ، فإنما يتقبل الله من المتقين ، الذين يتقون الله ولا يقعون في المعاصى — فاحمل نفسك على تقوى الله ، والاخلاص له في العمل ، ثم تقرب إليه بصالح الأعمال فإنه عندئذ يتقبل أعمالك ، ويرضى عنك ، ويجزيك خيراً (١) .

ثم بين الابن البار لأخيه الحاقد حقيقة أخرى هى حرمة إراقة الدماء فقال : (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين) أن يراني باسطا يدى إلى الإجرام ، وسفك الدم بغير حق فإن ذلك يسخطه ويوجب عقابه ، ونقمته ، لأنه رب العالمين ، الذى يغذيهم بنعمه ويربيهم بفضله وإحسانه ، فالاعتداء على أرواحهم أعظم مفسدة لهذه التربية .

وهذا الجواب من الأخ البار التقى ، يتضمن أبلغ موعظة ، وألطف استعطاف لأخيه الحاقد العازم على إراقة الدم بغير حق

ثم يواصل الابن البار نصح أخيه وإرشاده عله أن يرعوى ويعود إلى رشده ، فيكف عن تهديده ، وتوعده له بالقتل ، مذكرا إياه بعذاب الآخرة ، فيقول : (إني أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين) .

قال الفخر الرازى : كيف يعقل أن يبوء القاتل بإثم المقتول مع أنه تعالى قال : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

والجواب من وجهين :

الأول : قال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة — رضى الله عنهم — معناه : تحمل إثم قتلى ، وإثمك الذى كان منك قبل قتلى .

والثاني : قال الزجاج : معناه ، ترجع إلى الله بإثم قتلى ، وإثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك (٢) .

وهناك وجه آخر في الجواب وهو أن القاتل يحمل في الآخرة إثم المقتول إن كانت له آثام ، وذلك (يعارض قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لأن تحمل القاتل لآثام المقتول إنما هو بسبب قتله له فالقاتل بهذا لا يحمل إلا أوزار نفسه .

ونلاحظ من هذه المواقف أن الأخ التقى البار قد ترقي في نصح أخيه الحاقد

---

(١) انظر : تفسير المنار للشيخ رشيد رضا : ٣٤٣/٦ .
(٢) الفخر الرازى : ١٩٩/١٢ .

وصرفه عن عزمه على النحو التالى : —

١ — بين له أنه أُتِيَ مِنْ قبل نفسه، لعدم تقواه (إنما يتقبل الله من المتقين)

٢ — نزه نفسه عن مقابلة الجناية بمثلها : (لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك) .

٣ — ذكره بما يجب عليه من خوف ربه واتقاء عذابه (إني أخاف الله رب العالمين) .

٤ — ذكره بأن المعتدى يحمل وزر نفسه وأوزار المعتدى عليه وإني أريد أن تبوء بإثمى وإثمك) .

٥ — ذكره بعذاب النار وكونها مثوى للظالمين الفجار (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) .

ولكن هل أثرت هذه المواعظ وتلك النصائح الغالية في نفس ذلك الأخ الحاقد الباغى ؟ ذلك ما بينه ربنا بقوله : (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) لقد كان بفطرته البشرية ، يتخوف من قتل أخيه ، ويتهيب هذا الأمر العظيم ، ولكن نفسه الأمارة بالسوء ، ما زالت به ، تسهل له هذا المنكر ، وتزينه وتشجعه عليه ، حتى تجرأ وأقدم على هذه الجريمة النكراء جريمة قتل أخيه ظلماً وعدواناً ، بلا تفكر ولا تدبر ، فأصبح بعمله هذا من الذين خسروا أنفسهم حيث عرضوها لعقاب الله ونقمته ، وخسروا أقرب الناس إليهم ، وأبرهم بهم ، وخسروا نعيم الآخرة ، إذ لم يعودوا أهلا لدار المتقين ، بل صاروا أهلا لجهنم وبئس مثوى الظالمين .

قال الشوكاني في تفسيره : (وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل » (١) .

ولما كانت هذه أول جريمة قتل ترتكب على ظهر هذه الأرض ، فإن هذا القاتل الأثيم لم يعرف كيف يتخلص من جثمان أخيه ، فشاءت حكمة الله أن يكون تلميذاً للغراب ، حيث يتعلم منه سنة الدفن ومواراة جسد الميت في التراب ، فكان ما قصه الله بقوله : (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ، قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ، فأصبح من النادمين) .

وقول هذا الأخ القاتل : (يا ويلتى) يدل على شدة تحسره وتألمه ، لأن هذه الكلمة لا تقال إلا عند حلول الدواهى العظام ، والمصائب الكبار ، ولكن هذا التحسر لم يكن ندماً وتوبة وخوفاً

(١) فتح القدير : ٣٢/٢ ، وانظر القرطبى : ١٤٠/٦ .

من الله ، ولكنه كان لإحساسه بأنه صار دون الغراب علماً وتصرفاً ، ولو كان ندمه ندم توبة لقبل الله توبته ، ولكن الله أخبر عنه أنه صار بعمله هذا من جملة الخاسرين ، وكذلك دلت السنة المطهرة على أنه سيتحمل كفلا من دم كل نفس تقتل ظلما وعدوانا ، لأنه أول من سن القتل ، فدل ذلك كله على عدم توبته .

وإذاً فتحسر هذا الأخ وندمه إنما كانا لعدم انتفاعه بقتل أخيه ، وإحساسه بأنه صار دون الغراب علما وتصرفا كما أسلفنا .

قال الفخر الرازى : (فلما كان من النادمين كان من التائبين ، فلم) تقبل توبته ؟ أجابوا عنه من وجوه : —

الوجه الأول : أنه لما لم يعلم الدفن إلا من الغراب صار من النادمين .

الثاني : أنه صار من النادمين على قتل أخيه ، لأنه لم ينتفع بقتله ، فضلا عن أن قتل الابن يثير غضب والديه وإخوته فكان ندمه لهذه الأسباب ، لا لكونه معصية .

الثالث : أن ندمه كان لأجل أنه تركه بالعراء استخفافاً به بعد قتله . . فكان ندمه لذلك ، لا لأجل الخوف من الله تعالى ، فلا جرم ان لم ينفعه ذلك الندم . (١) .

وقد أختلف أهل العلم في ابنى آدم المذكورين ، هل كانا لصلبه أولا ؟ فذهب الجمهور إلى الأول ، وذهب الحسن والضحاك إلى الثاني ، وقالا : إنهما كانا من بنى إسرائيل ، فضرب بهما المثل في إبانة حسد اليهود ، وكانت بينهما خصومة فتقربا بقربانين ، ولم تكن القرابين إلا في بنى إسرائيل والحق أن هذا كلام بعيد عن الصواب .

قال ابن عطية : (وهذا وهم ، أى من الحسن والضحاك إذ كيف يجهل صورة الدفن أحد من بنى إسرائيل حتى يقتدى بالغراب في ذلك) (٢)

ولكن ما هو سبب تقديم ولدى آدم عليه السلام لهذين القربانين ، وهو قربان كل منهما ؟ وكيف علما أنه تقبل من أحدهما دون الآخر ؟ وكيف تم تنفيذ هـذه الجريمة وهى الأولى من نوعها على ظهر هذه الأرض ؟ ومتى وأين وقعت ؟ وما هو اسم كل من هذين الأثنين ؟ .

أسئلة كثيرة لم يعطها القرآن أدني اهتمام ، لأنه لا تتعلق بها فائدة ، وإنما ركز القرآن على مواطن العظة والاعتبار ، التى تفيد البشرية المعذبة لو أنها أرادت لنفسها الهداية والاستقامة على الطريق بتطبيق شريعة الله .

ولكن المفسرين قد أثاروا بعض هذه الأسئلة ، وذكروا في الاجابة عليها

(١) الفخر الرازى : ٦/٢٠٢

(٢) انظر فتح القدير : ٢/٣٠ .

أقوالا عديدة ، واستندوا إلى روايات لا تعلم صحتها وجلها منقول عن أهل الكتاب :

فمثلا يقول صاحب روح المعاني : أخرج ابن جرير عن مجاهد وابن جريج أن قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل ، فتمثل له إبليس اللعين في هيئة طير فأخذ طيرا فوضع رأسه بين حجرين فشدخه فعلمه القتل ، فقتله وهو مستسلم

ويقول كذلك : واختلف في موضع قتله ، فعن عمرو الشيباني عن كعب الأحبار أنه قتل على جبل دير المران ، وفي رواية عنه أنه قتل على جبل (قاسيون) وقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة ، في موضع المسجد الأعظم (١)

وكذلك ذكر المفسرون روايات كثيرة كهذه يجيبون بها على الأسئلة التى تثار حول هذه القصة القرآنية المنزلة بالحق من عند الله رب العالمين لبيان أن الحسد يجر على صاحبه خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، ويجر صاحبه على البغى وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق .

قال صاحب المنار :

(ولكن هذه الروايات من الأخبار الاسرائيلية ، وقد اختلفت فيها روايات السلف ، وبعضها يوافق ما عند اليهود ، وبعضها يخالفه ، وليس فيها شئ مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعول عليه) . (٢) .



(١) الآلوسى : ١١٤/٦ - ١١٥

(٢) تفسير المنار : ٣٤٣/٦ .

ما ترشد إليه القصة من عظات وعبر

١ ـ أن الناس جبلوا على التباين والاختلاف وذلك يفضى إلى البغى والحسد وإراقة الدم ظلما وعدوانا .

٢ ـ أن الحسد مرتعه وخيم ، ويجلب على صاحبه خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

٣ ـ أن الله لا يتقبل الأعمال إلا من عباده المتقين المخلصين .

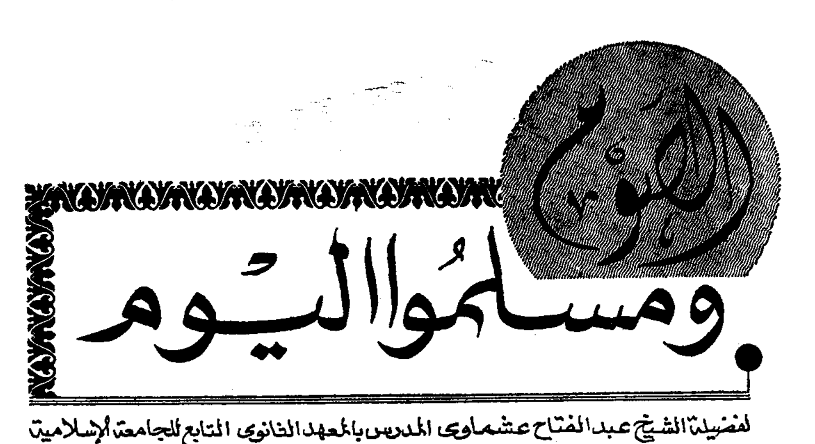
٤ ـ أن خوف الله تعالى يحجز الانسان عن محارم الله ومقابلة الشر بمثله ، ويضبط سلوكه وتصرفاته وفق ما شرع الله .

٥ ـ حرمة الدماء بغير حق ، ووجوب الحفاظ عليها ، وعدم الاعتداء على أحد ، لأن حياة الانسان لها حرمتها العظيمة في نظر الاسلام الحنيف .

٦ ـ وجوب مخالفة النفس الأمارة بالسوء ، لأنها تزين لصاحبها الشرور ، وتغريه بالمنكرات ، حتى تورده موارد الهلكة والبوار .

٧ ـ في اشتمال القرآن على هذه القصـــة دليل على صدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في دعوى الرسالة ، فتكون هذه القصة حجة على أهل الكتاب الذين ضلوا على علم وجحدوا عن بينة مصداقا لقـــول الله فيهم : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .

٨ ـ أن الحسد الذى صرف اليهود عن رسول الاسلام وحملهم على عداوته ، عريق في الآدميين فالداء قديم والشر أصيل ، وإن كان اليهود المعاصرون لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد ورثوا عن أسلافهم من هذا الداء أكبر حظ وأوفر نصيب والله أعلم ـ وصلى الله على نبينا محمد النبي الأمى ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين . .



لفضيلة الشيخ عبد الفتاح عشماوى المدرس بالمعهد الثانوى التابع للجامعة الإسلامية

وقبل الحديث عن الصـــوم مع مسلمى اليوم ، نـــقدم عنه مع مسلمى الماضى كلمات في قليل من الأسطر ، ذلك لأن الصائب من الأمور لا يقال أو يكتب عنه كثير لوضوحه ، خاصة لدى من يعقلون

فمسلموا الماضى أدركوا رهبة وهيبة نداء عُلْوى وجه مباشرة إلى أهل الإيمان ، فلم يأمر نبيه صلوات الله عليه أن يقول لهم ، بنحو ، (قل للمؤمنين (، كما ورد في مواضع عدة في القرآن الكريم ، وما كان على الموحى إليه صلى الله عليه وسلم إلا نقل هذا النداء المهيب إلى من عُنوا به ، (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) فأدركوا على الفور خطر الأمر ، أدركوا أن هذا المنادى من أعلى لا جواب على ندائه إلا بلبيك يا أجل المنادين ، وأدركوا أنه شرَّفهم بندائه المباشر ، فأعدوا انفسهم ليقابلوا هذا التشريف بأسرع ما تكون الطاعة ، وأدركوا أنه وصفهم بالإيمان وهو يناديهم ، فعزموا على أن يكونوا جديرين بهذا النعت العظيم الذى أضفاه عليهم ، ومن هذه الإدراكات من أهل اللب النابهين ، قدروا جلل الأمر الذى كتب عليهم ، وأنه لابد سامق المكانة عند كاتبه سبحانه (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) ، فعلموا من المنادى ، أنه الآمر المطاع ، وعلموا إلى من وُجِّه النداء، إلى المؤمنين السبَّاقين إلى الطاعة ، وأن المأمور به، فرضٌ له عند الله خصوصية ، (إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به) . .

أدرك مسلموا الماضى هذه المعاني العجب ، التى في أول آيات الصوم ، فتتبعوا بعد ذلك متلهفين بقية آياته المنظمة لأدائه ، حتى قوله تعالى : (تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) ، فأصبح شهر رمضان عندهم أحب شهورهم ، وربيع سنتهم ، وخير ما يعيشون من أعمارهم ، يتعجلون قدومه ليسعدوا بعز الذكر الذى نزل فيه ، وليشمتوا بعدوهم الذى يكبل فيه وليزيدوا من سخاء أكفهم ليستزيدوا من مثوبة ربهم وسعة فضله ، ويستعيدوا بشهرهم أمجاد نصرهم لما سحقوا فيه عدوهم ،

فبقيادة نبيهم صلى الله عليه وسلم وقعت فيه اثنتا عشرة ملحمة ، اثنتان فاصلتان قادهما بنفسه ، بدر والفتح ، والباقي سرايا سيرها وحدد وجهتها وعين قادتها ، ثلاث منها بقيادة على ، واثنتان بقيادة خالد ، وقاد كلاً من الخمس الباقية ، عبد الله بن عُتَيْك ، وعبد الله بن رواحة ، وأبو قتادة ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن زيد ، رضى الله عنهم أجمعين ، صوام الماضى كانوا يتعجلون شهر الصوم ليجعلوا منه لجام المتقين ، فتصبح شهوة الفرج لديهم ذليلة ، ورغبة البطن معافة ، والنظرة في دنياهم زهيدة ، يتعجلون قدومه ليصوموه ليلا ونهارا ، ففى النهار صادوه مادة ومعنى ، لما صوَّموا معهم آذانهم وأبصارهم وألسنتهم عن اللغو والتأثيم ، وفي الليل جعلوا الصوم عن النوم ، فتجافت جنوبهم عن مضاجعهم قياما ودعاء وبكاء ، وكان أكثر ما تفيض به أعينهم من الدمع عند وداعه في عشرته الأخيرة ، يتحسرون لفراق شهرهم الحبيب ، فهو موسم أرواحهم وواصلهم بربهم ، لهذا منحوا الفرحتين ، وجنوا شهى الحسنيين ، تلك فكرة ضئيلة عن رمضان مع مسلمى الماضى ، وما رمضان مع مسلمى اليوم . ؟ !!

أولاً : قيل إن نسبة الذين لا يصومونه مطلقا من المجموع العددى المنتسب إلى الإسلام بالإسم ، تزيد بأكثر من النصف عن الذين يصومون (١) ، إذاً فإلى الأقل الذى نفترض أنه يصوم نوجه حديثنا هذا ، لأن هذا الأكثر الذى لا يصوم لا حديث لنا معه بعد ذلك ، لما حادّ الله الذى ناداه، فما كان الجواب إلا ، سمعنا وعصينا ورفض أن يكون من المنادوْن بالإيمان ، فانسلخ منه فأتبعه الشيطان، فلا أملكِ ولا أحدٌ اعتياره مؤمنا البته ، لهذا فلا موضوع له معنا ، أما قسم الصوم من مسلمى اليوم ـ باستثناء القلة المؤمنة التى لا ينعقد بها حكم . فنمشي وإياهم مع كلمات القرآن عن رمضان ، لنرى قربهم منها أو بعدهم عنها ، حيث لا زال نداء الله للمؤمنين بهــذه الآيات قائما ، يسمعهم النبأ العظيم عن الصوم ، وبعــد أربعة عشر قرنا ، وسيظل يناديهم بها ما بقى القرآن المجيد يضىء دياجير هذه الدنيا .

فهل فهمنا نحن صائمى اليوم ، أن الصوم فريضة من القدم منذ وجدت الأمم ، (كما كتب على الذين من قبلكم) إذاً فهو أزلى الكتابة ، غائر الرسوخ لا يخضع للمنسوخ إلى أن تنسخ هذه الدنيا ، ومن هنا كان علمنا بعلو قدره عند مشرعه ، وعِلْمُنا بعظيم نفعه لخلقه لما جعله ماكثا في الأرض بطول مكثها ، (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ولو لم نعرف كل النفع ولا تفاصيله، لأن شرط الإيمان الذى إذا اختل ينحل معه الإيمان كله ، هو ان المؤمن يطيع أمر ربه ولا يقول لماذا هذا ولأى شىء تلك ، يقينا منه بأن الله لا سميّ له فلا يأمر ولا ينهى . إلا لحكمة عليا ثابتة لديه ، بدت لنا أو خفيت عنا (وقالوا سمعنا وأطعنا) ولا يجوز السؤال عما هو الخير الناتج عن السمع والطاعة ، بل قد يؤدى هذا السؤال إلى

(١ـ وهذا ان صح يكون بالنسبةلبعض أقطار معينة · وليس حكماشاملا لجميع المسلمين فى كل قطر · التحرير

ل (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) ، وواضح استثناء السؤال للتعلم والتفقه ليعبد الله على علم ، ولكن المنهى عنه هو ما لم يظهره الله وأبقاه في غيبه ، إذاً فالصوم لما شرع منذ القدم ويبقى إلى أن تصبح الدنيا في العدم له عند الله حكمة بالغة ، بعضها بلغنا ومعظمها أو أعظمها يكشف لنا في فرحة اللقاء (وفرحة عند لقاء ربه) ، فهل صائمو اليوم فهموا ذلك من آيات الصوم ليصوموا بهذه المعرفة رجاء قبول صومهم ؟ ؟ ! ! .

والتقوى وهى خوف ما عند الله من عقاب ورجاء ما عنده من ثواب ، شئ محتم أن يلازم المؤمن طول مقامه في الدنيا ، والتجرد منها مهلكة مؤكدة ، لهـذا قالت الآية بعد ذلك (لعلكم تتقون أياما معدودات) ذلك لأن التقوى تقاوم على الدوام ، وبأشياء عدة تقوم على ركيزتين ، شهوة الإنسان ونزعة الشيطان ، وهما مع العبد طول السنة في مدافعة مستمرة ، فمرة تغلبها التقوى ومرة يغلبانها ، لأن البطن يطلب الطعام في أى وقت من ليل أو نهار فتجده حاضرا من حلال أو من حرام لتمتلئ به معدته ، والفرج يظل يطلب الشهوة لأن البطن غذاه وأمده ، والشيطان طليق يزين الأمرين فوق ما يغمز وينزع ، والتقوى مع هذا كله ترتفع مرة وتنخفض مرات في أغلب أمرها ، أما في رمضان فجاءت (لعل) برجائها مصاحبة لكلمة التقوى ، حيث المرجو أن تكون التقوى في أقوى أيامها وأعز مواسمها ، لما وهنت مقاومة الشهوة بقلة المدد من الطعام والشراب ، ووهنت مقاومة الشيطان لما صُفِّد نوعه المريد ، فخلا الجو للتقوى يعلو بها الصائم على رغائبه السفلى ، والتى طالما اخضعته لها ، فقد زكته تقواه وأدنته من الله ، ويستمر يهنأ بحاله الرباني هذا أياما معدودات هى أيام رمضان فيتمناه العام كله حيث انتقل من ذل المعصية إلى عز الطاعة، فهل فهم صائموا اليوم ذلك لعلهم يتقون أياما معدودات يحصلون بها ما يزيد عن عديد السنوات ؟

وبعدئذ تأتي الرأفة والحنان من لدنه ، حيث انفرد بصفات هو بها واحد ، ليعطى العبد الذى قهره أمر دنيوى عذر التخلى عن الصوم ما بقى في قهره ، فإذا ما زال كان فيه من حال ، فليس عليه إلا صيام عدد ما غلب على تركه ، ولحق في الأجر بمن لم يمنعوا أثناء الشهر وأدركوا معهم مقام الصائمين (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) ، بل وزادت رأفة الرؤوف باللذين يصومونه فعلا يصاحب صومهم نوع من النصب والعنت ، سواء كان ذلك جسـديا ككبر أو مرض خفيف ملازم ، أو نفسياً كمجرد خوف الأم على رضيعها أو جنينها ، وهو ما قالت عنه الآية (وعلى الذين يطيقونه) لأن معنى الإطاقة إتيان الشئ بجهد ، فهذا النوع وما يشبهه أبيح له الإفطار مقابل شئ زهيد ، مُدٌّ من أغلب ما يأكله ناس بلده ، (فدية طعام مسكين) ، ولكن حسن التعامل مع المحسن سبحانه ، يقتضى أن يكون المؤمن مع الله ذا وُدٍّ أكثر من المد ، فدعته الآية إلى أن يزيد تطوعا بأكثر من هذه الحفنة ما دام ذا ميسرة ، (فمن تطوع خيرا فهو خير له) ، فلن يكون الخير من المخلوق مقابلا إلا بما يليق بالذى خلق ، (فهو

خير له) ، بل ودعته الآية إلى خير هو أكثر من خير الزيادة على الحفنة ، وهو القيام بذات الصوم ولو ببعض المشقة ، ما لم تغلبه مشقته على أمره كما أسلفنا (وأن تصوموا خير لكم) أى ولو بتعب يتحمل ، ويحبب سبحانه في الأخير ويرغب فيه قائلا (إن كنتم تعلمون) ، إن كنتم تعلمون حقيقة هذا العمل وإثبات المثوبة لعامله فالحرص منكم على ادراكه أقرب وأوجب ، فالصوم هو المختار على الفدية يا ذا الأعذار الخفيفة (١)

إختار ذلك صوام الماضى ، وصائموا اليوم جعلوا الصداع مرضا فأفطروا ، وجعلوا السفر في مكيف السيارة وبأجنحة الطيارة لساعة أو أقل أمرا شاقا جدا يفطرون له ، والوالدات يرضعن أولادهن من المعلبات ويفطرن على أنهن مرضعات ، خوفا على جمالهن من أن يذبل ، وأولات الأحمال في بداية حملهن ولو لأيام كذلك ، فقد سمع هؤلاء بأن المرض والسفر والرضاعة والحمل وكبر السن يبيح الفطر ، دون تفريق بين الإطلاق والتقييد ، لأن القصد اتخاذ الذرائع والتحايل على أحكام الإسلام ، وحتى بعد هذا التحايل لا افتداء ولا عطاء .

ثم تترى الآيات لتحدد الأيام المعدودات داخل شهر اسمه (رمضان) ، قل أن تكمل أيامه ثلاثين ، وتقدمه الآية بأنه شُرِّف بما هو أعظم من الصوم الذى يقع فيه ، فقد اختير دون اشهر السنة لينزل فيه كتاب الله ، فكتاب الله كل ، والصوم فيه جزء ، والصوم أمره ينتهى في الدنيا ، والقرآن عابر لحدودها فهو الذى نظم أمرها ، ومن هنا عظم شأن رمضان بالقرآن (شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن) ، وما أمر هذا القرآن الذى رفع به ذكر رمضان ، لقد عرفت الآية أمره بأوجز بيان وأوسع معان (هدى للناس،وبينات من الهدى،والفرقان) هدى للناس لمّا علموا منه بديع هذا الملكوت الهائل بسمائه وأرضه وما بينهما وهم ضمنه ، فاهتدوا لما انتهوا بنهيه وائتمروا بأمره ، وكرموا بذلك آدميتهم تمييزا لها عمن هم من الأنعام أضل، رجاء أن يؤمنهم ربهم من خوف الدنيا وفزع الآخرة ، وبينات من الهدى التشريعى والحكم التنظيمى ، والحد الذى يقف كل عنده ، فاستقام أمرهم وطاب زمانهم وتآخى جمعهم ، وكما هو بينات من الهدى التشريعى بينات من الفرقان لما وضع لهم الفوارق الواضحة والضوابط الفاصلة بين ما هو صدق وما هو كذب ، فأشرقت جوانحهم وأنست أفئدتهم للصدق الذى وضحه ، ونفرت من الكذب الذى فضّحه،ذلك هو القرآن الذى نزل في رمضان ، فشمخت به مكانة الشهر وبوركت أيامه ، فأفاض الله على صائميه من خزائن رحمته بما شاء .

إذاً فمن سمع ما ذكر فهفت نفسه إلى جنى الجنتين ، فأتت عليه وهو حى هذه الأيام المعدودات العزيزات فليصمها على الصورة المشروحة آنفا (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ، فليصمه ، أمر قاطع

---

(١) منهم من قال ان هذا اشارةالى بداية تشريع الصوم ثم نسخ،ومنهم من قال ان الحكم كما اوضحناولم ينسخ .

بالعمل بعد تفهيم بالقول ، محتم تنفيذه لا يجرؤ رسول ولا مرسل إليه أن يبدىء فيه أو يعيد ، (ما كان لهم الخيرة) . ولما كانت الكلمة الإلهية (فمن شهد) يخشى معها الظن بأن الله تعالى سلب ما خفف حين رخص لذوى الأعذار الإفطار ، ثم القضاء أو الافتداء ، أعادها سبحانه ثانية هنا ليعلم عباده بأنه القائل الذى لا ينقض ، والمتفضل الذى لا يرجع ، والممد الذى لا يسترد ، فأكد منحته (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) ، فليصمه من شهده معافي مقيما ، ومن كان غير ذلك فرخصتنا له قد أحكمناها وما نسخناها ، ولأى شئ ؟ (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ، وبدهي أن إثبات اليسر هنا ونفي العسر ليس قاصرا على ما يتصل بالصوم وحده ، وإنما هى إرادة مطلقة ، أرادها المتصف بالتيسير والمنزه عن التعسير في كل ما شرع ، وإلا فنبئوني ، ما هو العسر في صلاة صورتها أن تؤدى وهو واقف مكانه، ولا عليه إلا أن ينحنى وينزل ويجلس، تتم جميعها على هذا النحو المريح في دقائق، عددها خمس في أربع وعشرين ساعة ، مجموع زمان الإتيان بهذه الخمس ساعة أو تقل ، وقلَّ أن تزيد ، وما هو العسر في زكاة يخرج بها المزكى اثنين ونصف ، ويبقى لنفسه خمسة وسبعين ، وقد انتفخت الجيوب الآن بالمال مما لا يدع الحاضر والباد ، ونفس التيسير أو أيسر في بقية أنواع الزكاة ، وما هو العسر في حج يؤدى مرة واحدة في العمر كله ، وهكذا كل دين الله أمرا ونهيا ، وعفاالله عن الذين قالوا عن معنى (وأشفقن منها) أى لصعوبة أدائها ، والتأويل الصحيح هو أن الإشفاق من رهبة العهد خشية عدم الوفاء ، وليس بالنسبة للمطلوب صعوبة الأداء ، وإلا فهل يمكن التوفيق بين تأويل ذلك بالمشقة وقوله تعالى : (ما جعل عليكم في الدين من حرج) وقوله في سورة القمر مرات : (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى للعمل به ، وقوله سبحانه لمبلغ هذا الدين صلوات الله عليه (ونيسرك لليسرى (، أى للشريعة السهلة هكذا بحرفيَّة ما في اشهر التفاسير .

وحتى يا من أعذرتم وما قصرتم ، لن نتركم أعمالكم بعد أن تقضوا أو تفدوا سنسويكم في الأجر بمن أتموا الشهر صائمين ، ونعتبركم مكملين لعدته مثلهم (ولتكملوا العدة) ، فالجملة القرآنية هنا أعطت المثوبة كاملة للحريصين الذين قهرهم العذر ، فاكمال العدة إكمال للأجر ، وحيث تمت العدة عددا أو اعتبارا ، ووعدتم بمثل الأجر المعد للصائمين ، وإنه لأجر كبير ، إذاً فجدير بكم أن تكبروا الله شكرا له على هباته (ولتكبروا الله على ما هداكم) ، هداكم لعمل لما أديتموه كبرَّ لكم به الأجر ، كذلك قال العلماء إنه بذلك أصبح من عزم الأمور أن يكثر العبد الصائم من التكبير لعون ربه له على صيام شهره، هكذا صمتم رمضان في الماضى معرفة به وآداء له .

أما صائموا اليوم ، فرمضان عندهم موسم البطون ، تملأ فتتخم فتمرض ، وموسم السهرات (في السينمات) وأمام (التليفزيونات) والجلوس على المقاهى للتلهى بلعب الورق (والدمنة) وما إلى ذلك حتى السحور ، وتتحول مباريات لعب الكرة و (والتنس) وغير هذا من أنواع الرياضة المختلفة إلى الليل بدل

النهار بقرارات حكومية ، أما السهر مع صلاة التراويح ، أو مع بعض ركعات التهجد ، أو مع قراءة القرآن في شهر القرآن ، فهذا غير وارد في الأذهان عند صائمي اليوم إلا ما شاء الله .

وآية الدعاء توسطت آيات الصوم لأنها وإن لم تكن من صميمه فهي جدا على صلة به وثيقة ، لأن الذى صام كما ينبغي بسره وعلنه لا ترد إن شاء الله دعوته بنص أحاديث مشهورة ، فإذا كان العبد في صلاته أثناء السجود إلى ربه أقرب ، والدعاء ساعتئذ للإجابة أيضا أقرب ، لما وضع أشرف أعضائه لربه في حذاء قدمه ، فيلي حال الساجد حال الصائم ، لما قهر شهواته ومقومات حياته طاعة لربه ، فكان أن يُعطى ما يطلب ، وجاءت لهذه آية الدعاء هذه بين آيات الصوم ، ولهذا أيضا انتهت بقوله عز من قائل ، (فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) ، فالصائم استجاب مؤمنا بإخلاص اربه ، فأعطى الرجاء من الله بالرشد ورجاء الله محقق فلما دعا فتحت لدعوته مسالك السماء ، وتحقق له بإذن الله الرجاء .

ولما كان أشد ما يحرم منه الصائم مجافاة الحليلة ، ويتحمل من ذلك العنت الكثير ، فهي معه بالمواجهة طول اليوم أو أكثره ، ونداء الشهوة المتصلة بالفرج قد يعشى العين ويوقر الأذن ، خاصة لدى الإنسان ، فالحيوان عندما تحمل أنثاه لأول يوم لا يقربها حتى تضع حملها ، والإنسان يظل يباشر أنثاه حتى قبل الولادة بساعة ، فشهوة الجنس عنده هى الغالبة على كل شهوة ، ولو نودى للشهوة وهو شديد الجوع شديد العطش لأجاب الأولى وترك الأخيرين ، وقد طلب من الصوام ألا يقربوا نساءهم بعد العشاء ، لكن بعضهم ومنهم مؤمنون أكابر ، غلبهم الأمر عند عودتهم ليلا إلى نسائهم ، فلم يسخط عليهم سبحانه ، ولم يحبط لهم عملا ولم يضيع لهم إيماناً ، فنسخ المنع ومنح الإباحة ، مكتفيا سبحانه من عبده بعدم طاعة الشيطان الذى من أسهل إغرائه تحريك النصف البهيمي في الإنسان ، وهو أقرب ما يلبي ويجاب سحابة نهار الصوم ، فنقل إليهم رسولهم عليه الصلوات قول ربهم : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) فهو سبحانه وإن كان قد أحله متجاوزعما سبق لكن اعتبره رفثا كان يجمل أن يعاف إبان المنع ، (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) . وهذا التصوير باللباس هو ما قوى الدافع إليه وضعف الصبر عنه ، حيث أبيحت الملاصقة أصلا كما يلاصق اللباس الجسد ، فلم يرض بعد ذلك سبحانه أن يباعد أو يشدد، – يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر – (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) ومع وجود معنى الذم واضحا في الآية ، وهو أن خيانة وقعت منهم خانوا بها أنفسهم وليس سواهم ، لما باشر هؤلاء البعض نساءهم حين المنع الليلى ، نقول مع ما فهم من ذم في كلمة (تختانون) فإن وعد الله باليسر هو الذى كان ، فتاب عليكم بل ولم يجعل المنع إلزاما مستمرا ، وعفا عما وقع منكم ، والعفو معناه إلغاء العقاب المترتب على الإثم (فالآن باشروهن) بعد علمنا بما كنتم تختانون ، فباشروهن ولا حرج ، حتى لا يقع بكم كبت أو عنت ، وسدا لأسهل مداخل الشيطان فلا يفسد ما

تجنون من بركات الشهر ، (وابتغوا ما كتب الله لكم) ، أطلبوه يقينا وعملا تجدوه عند الله خيرا وأعظم أجرا .

ولكى تتم لكم الصورة الكاملة لطريقة العمل في رمضان ليلا ونهارا ، فكما أبحنا لكم ملامسة نسائكم يكون نفس الأمر مع الأكل والشرب ، فلا تفعلوا شيئا من ذلك بين الفجر والمغرب ، وبين المغرب والفجر افعلوه (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل) أى بدايته وهو المغرب ، لأن إلى هنا بدائية (١) وليست نهائية وتم لكم بذلك كيف يكون الصوم ، فإذا قصرتم بعد ذلك فعلى أنفسكم وحدها اللوم .

ولما كان الاعتكاف من أحلاف الصوم المشابهة له ، لأن المعتكف صائم نهاره قائم ليله ، إضافة إلى أنه صام عن كل الدنيا التى هى خارج المسجد ، وأنه زهد فيها لما حبس نفسه فيه ، وضمن هذة الدنيا التى تركها خلفه زوجته ، ولأن الصيام يبيح المباشرة في الليل دون النهار ، وحتى لا يظن ذلك أيضا في الأعتكاف وهو أقرب العبادات إلى الصوم كما قلنا ، فأفرد له توضيح خاص به غير ما أبيح في رمضان ، وهو منع مباشرة النساء البتة في الاعتكاف ليلا ونهارا طول المدة المنوية (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) ، حيث كان المعتكف يغادر المسجد إلى بيته ليتغشى أهله ثم يعود ليعتكف ، فينافي ذلك تبتل الاعتكاف والتفرغ لعبادة الله وقد ذهب إليه في بيته يستجديه رحماته ، فإن كان ذلك قد وقع منكم قبل فلا يقع منكم بعد (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) .

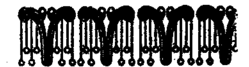
فبعد هذه الأحكام المحددة والتشريعات الميسرة ، نحذركم من أن تتركوها ، أو بزيادة أو نقص تقربوها (تلك حدود الله فلا تقربوها) ، وكلمة (تقربوها) مرهبة حقا ، أى الويل لمن يضيف أو يحيف بأى شئ مهما قل ، متعللا بأن المعنى قريب ، أو القصد متقارب ، وهكذا مما نسمع الآن من قول ابتدع بعد أن أتيي بالبدع ، وتأتي كلمة التقوى في النهاية كما أتت في البداية ، ذلك لأن قصة الصوم كلها تقوى ، لا يتجمل بها ، إلا من خشى الرحمن بالغيب ، حيث كل العبادات ترى من الله والناس ، إلا الصوم ، فقد ترى الشفاه مطبقة ولكن الله رآها وهى تتحرك بالمضغ متوارية ، فلا يرجى من الصائم غير التقوى (كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) ، هكذا كان صوام الماضى ، اتقوا حتى أذلوا دنياهم ليعزوا أخراهم ، فكان لهم من الكريم ما تمنوا .

وصائموا اليوم عاديون وليسوا عباديين مع قلتهم ، يشاركون الكثرة المفطرة في كثير مما يحبط صومهم ، ألسنتهم طول النهار عن ذكر الله صامتة ، وفي الغيبة والنميمة ونهش العرض صامدة ، عيونهم عن النظر

---

١ ـ والذى يظهر ـ كما هـي القاعدة ـ ان (الى) غائبـة للاتمام لان الاتمام ينتهي الى الليل اى الى اوله وهو امر ظاهر ..والله اعلم .
التحريـر

في القرآن والتأمل في عظمة هذه الأكوان غضوها ، وفي النظر إلى المحرمات وتتبع العورات أطلقوها ، خالطوا المفطرين طول الليل في مجالس لهوهم ونوادي شياطينهم ، فالصوم عندهم ساعات محددة لا تبتلع فيها لقمة ولا تحتسى فيها جرعة ، وبعد ذلك انطلاق مع الهوى بغير حدود ، بل وعندما يأمرهم حكامهم الذين يحكمونهم بقوانين الكافرين بأن يفطروا – حتى لا يحول الصوم دون القيام بالعمل – كما حدث من حاكم تونس لقومه ، أطاعوه مسارعين إلى الإفطار طاعة للمخلوق في معصية الخالق ، بل ومن صائمي اليوم من إذا عُزم عليه من صديق السوء بسيجارة قبلها وضيع صومه أو نفسه من أجلها ، بل قد يصل الأمر إلى أن يقبل كأس الخمر بعد أن تسحر ونوى وأصبح صائما ، ذلك لأن بلده الإسلامي غارق في نتن مستنقع من الخمر ، بل وتنتجها مصانعها وتصدره لدول إسلامية أخرى ، إى نعم ، ويصوم صائموا اليوم وهم وهُنّ (بالمايوهات) عراة على شواطئ البحار ، تتلاصق أثناء ذلك الأجسام فوق وتحت الماء ، بل وتراهم في بلادهم الإسلامية صائمين وألسنتهم لا تكف عن سب الله ودينه ورسوله ، إى والله ، وليسوا بالقلة ولا بالندرة ، وإنما هم بالكثرة التى لا يغيب فحشها عن أذنك طويلا ، أما الزواج في شهر رمضان فسرعان ما يتحول من شهر الصوم إلى (شهر العسل)، وهو اصطلاح مشهور عندهم يبيح للعريس أن يظل في ضيافة الشيطان طول النهار ، فلا صوم مع العسل ، وغير هذا كثير حيث كان ولابد من تطوير الصوم بما يتناسب والمدنية والتقدمية، وهم وتاركوا الصوم نهائيا في مرتبة واحدة جهنمية ، بل قد يكون صائموا اليوم بالصورة الآنفة عقابهم أشد ، لتلاعبهم هكذا بأمر ربهم ، أما الفئة التى لا تكاد أن تعرف ممن يصومون على طريقة الماضين من السلف ، وهم الآن في عصر فيه الفتن، فهم الغرباء وهنيئا لهم غربتهم، لأنهم غدا سيكونون أهل الدار .



آيات في حفظ اللسان

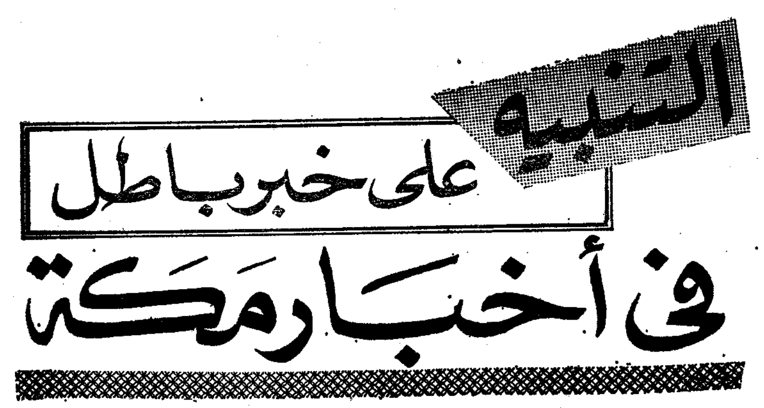
١ – قال الله تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .

٢ – « ولا تقف ما ليس لك به علـــم ان السمع والبصـــر والفـــؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » . .

٣ – « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » . .


مع
الهدى
النبوى





لفضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . .

وبعد فقد ذكر الأزرقي في أخبار مكة في باب ما جاء في ذكر بناء قريش الكعبة في الجاهلية ان النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بمحو الصور التى في الكعبة سوى صورة مريم وعيسى عليهما السلام . وروى الأزرقي ذلك بأربعة اسانيد كلها ضعيفة فلا يغتر بها ولا يعتمد على شئ منها . .

الاسناد الأول قال : حدثني جدى قال حدثنا مسلم بن خالد الزنجى عن ابن ابي نجيح عن ابيه قال جلس رجال من قريش – في المسجد الحرام – فذكر خبرا طويلا في بناء الكعبة وقال في آخره – وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة ، فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمن شيخ يستقسم بالازلام وصورة عيسى بن مريم وامه وصور الملائكة عليهم السلام اجمعين . فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – البيت فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب فبل بالماء وأمر بطمس تلك الصور فطمست . قال ووضع كفيه على صورة عيسى بن مريم وامه عليهما السلام وقال « امحوا جميع الصور الا ما كان تحت يدى » فرفع يديه عن عيسى بن مريم وامه .

الاسناد الثاني : قال : وحدثني جدي قال حدثنا داود بن عبد الرحمن قال اخبرني بعض الحجبة عن مسافع بن شيبة بن عثمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا شيبة

امح كل صورة فيه إلا ما تحت يدى ،» قال فرفع يده عن عيسى بن مريم وأمه .

الاسناد الثالث : قال : حدثني جدي عن سعيد بن سالم قال حدثنا يزيد بن عياض بن جُعْدُبة عن ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة يوم الفتح وفيها صور الملائكة وغيرها فرأى صورة ابراهيم فقال قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم فوضع يده عليها وقال : « امحوا ما فيها من الصور الا صورة مريم » .

الاسناد الرابع : قال اخبرني محمد بن يحى عن الثقة عنده عن ابن اسحاق عن حكيم بن عباد بن حنيف وغيره من اهل العلم ان قريشا كانت قد جعلت في الكعبة صوراً فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام قال ابن شهاب قالت اسماء بنت شقران امرأة من غسان حجت في حاج العرب فلما رأت صورة مريم في الكعبة قالت : بأبي وأمي انك لعربية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمحو تلك الصور الا ما كان من صورة عيسى ومريم .

وهذه الأخبار مردودة من وجوه :

الأول: ضعف أسانيدها. أما الخبر الأول فانه متقطع لأن ابا نجيح لم يدرك زمن الجاهلية ولا زمن النبي صلى الله عليه وسلم . وانما أدرك آخر زمن الصحابة رضى الله عنهم . والمنقطع لا يثبت به شئ . وأيضا ففى اسناده مسلم بن خالد الزنجي وقد وثقه ابن معين وضعفه ابو داود وقال ابو حاتم امام في الفقه تعرف وتنكر ليس بذاك القوى يكتب حديثه ولا يحتج به وقال النسائي ليس بالقوى . وهذا مما يزيد الخبر وهنا على وهنه .

وأما الخبر الثاني فانه أضعف مما قبله لامرين احدهما انه مرسل والمرسل ليس بحجة والثاني ان في اسناده رجلا لم يسم ومثل هذا لا يثبت به شئ . وقد ذكره البخارى في التاريخ الكبير بدون ذكر الزيادة الباطلة فقال : في ترجمة مسافع بن عبد الله عن شيبة بن عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا شيبة امح كل صورة في البيت » .

وأما الخبر الثالث فانه أضعف مما قبله لامرين أحدهما أنه مرسل . والثاني أن في اسناده يزيد بن عياض بن جُعْدُبة بضم الجيم والدال بينهما مهملة ساكنة . قال الذهبي في الميزان قال البخارى وغيره منكر الحديث وقال يحى ليس بثقة وقال على ضعيف ورماه مالك بالكذب وقال النسائي وغيره متروك وقال الدارقطنى ضعيف وروى عباس عن يحى ليس بثقة ضعيف ، وروى يزيد بن الهيثم عن ابن معين كان يكذب ، وروى احمد بن ابي مريم عن ابن معين ليس بشئ لا يكتب حديثه .

وأما الخبر الرابع فإنه ضعيف جدا لأمرين احدهما انه منقطع . والثاني ان فيه رجلا لم يسم . ومثل هذا لا يثبت به شئ .

الوجه الثاني : انه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يمحو الصور التى في الكعبة وانه صلى الله عليه وسلم دخلها وما فيها شئ من الصور ، قال الامام احمد حدثنا روح — وهو ابن عبادة القبسى — حدثنا ابن جريج اخبرني أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم « أمر عمر بن الخطاب يوم الفتح وهو بالبطحاء ان يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ولم يدخل البيت حتى محيت كل صورة فيه » اسناده صحيح على شرط الشيخين .

وقال الامام احمد ايضا حدثنا عبد الله بن الحارث — وهو ابن عبد الملك المخزومى — عن ابن جريج اخبرني ابو اليزيد انه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن الصور التى في البيت ونهى الرجل الذى يصنع ذلك » وان النبي صلى الله عليه وسلم « أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه زمن الفتح وهو بالبطحاء ان يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ولم يدخل البيت حتى محيت كل صورة فيه » اسناده صحيح على شرط مسلم . وقد رواه الامام احمد ايضا باسنادين احدهما صحيح والآخر حسن . ورواه ابو داود في سننه والبيهقى من طريقه واسناده حسن . وفي هذا الحديث رد لما جاء في الاخبار الاربعة لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بمحو الصور التى في الكعبة ولم يستثن شيئا منها وفي هذا أبلغ رد على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم وضع كفيه على صورة مريم وعيسى وأمر بابقائها ومحو ما سواها .

وأيضا فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها وفي هذا رد على ما جاء في خبر ابي نجيح انه صلى الله عليه وسلم أرسل الفضل بن العباس فجاء بماء زمزم .

الوجه الثالث : ما ذكره الزرقاني على المواهب انه وقع عند الواقدى في حديث جابر وكان عمر قد ترك صورة ابراهيم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها فقال : « يا عمر ألم آمرك ان لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام » ثم رأى صورة مريم فقال « امحوا ما فيها من الصور قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون وهذا ظاهر في شدة انكاره صلى الله عليه وسلم للصور التى رآها في الكعبة ومنها صورة

مريم . ويدل على تشديده في الانكار ثلاثة امور احدها انكاره صلى الله عليه وسلم على عمر رضى الله عنه حين ترك بعض الصور فلم يمحها ، والثاني أمره بمحو الصور بدون استثناء . والثالث دعاؤه على المصورين .

وفي معنى قوله « قاتلهم الله » اقوال احدها لعنهم الله قاله ابن عباس رضى الله عنهما واختاره البخارى . الثاني قتلهم الله قال ابن حريج . الثالث انه ليس على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب حكاه البغوى في تفسيره . قال الراغب الاصفهاني والصحيح ان ذلك هو المفاعلة والمعنى صار بحيث يتصدى لمحاربة الله فان من قاتل الله فمقتول ومن غالبه فهو مغلوب انتهى .

الوجه الرابع : ان تصوير الصور واتخاذها من اعظم المنكرات . وتغيير المنكر واجب بحسب القدرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي ومسلم واهل السنن من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح . وفي رواية للنسائي « من رأى منكرا فغيره بيده فقد برئ ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ومن لم يستطع ان يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك أضعف الايمان » .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس غيرة على انتهاك المحرمات وأشدهم في انكار المنكرات وتغييرها . ومن المحال أن يرى المنكر وهو قادر على تغييره فلا يغيره فضلا عن أن يأمر بابقائه . ومن ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر ببقاء شئ من الصور التي في الكعبة ونهى أن يمحى فقد ظن به ظن السوء .

الوجه الخامس : ان النبي صلى الله عليه وسلم : نهى عن التصوير كما في المسند وجامع الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور في البيت ونهى الرجل أن يصنع ذلك » قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وروى الامام أحمد ايضا والبخارى في تاريخه باسانيد جيدة عن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن التصاوير » . وما كان النبي صلى الله عليه وسلم لينهى عن التصوير ثم يقر بعضه ويأمر بأبقائه ، هذا من أبطل الباطل .

الوجه السادس : ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل على عائشة رضى الله عنها ورأى

القرام الذى فيه التصـــاوير هتكه وتلون وجهه ، قالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سترت سهوة لى بقـــرام فيه تماثيل فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال : « يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » رواه الامـــام احمد والبخارى ومسلم والنسائي وابن ماجه وهذا لفظ مسلم . وفي رواية النسائي بقرام فيه تصاوير . وفي رواية ابن ماجه بستر فيه تصاوير . وفي رواية لمسلم قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم علي وقد سترت غطاء فيه تصـــاوير فنحاه فاتخذت عنه وسادتين .

واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد هتك الستر الذى في بيت عائشة رضى الله عنها من أجل التصـــاوير فكيف يظن به انه يقر التصاوير في بيت الله تعالى ويأمر بابقائها .

الوجه السابع : ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن المصـــورين وأخبر انهم من أشد الناس عذابا يوم القيامة كما في حديث أبي جحيفة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم « لعن المصورين » رواه الامام احمد وابو داود الطيالسى .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » ، متفق عليه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فتعذبه في جهنم » رواه مسلم. والاحاديث في الوعيد الشديد للمصورين كثيرة جدا ، وقد ذكرتها في « اعلان النكير على المفتونين بالتصوير » فلتراجع هناك .

وإذا تأمل طالب العلم ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من لعن المصـــورين وما ثبت عنه ايضا من الوعيد الشديد لهم لم يشك في كذب ما جاء في الاخبار الاربعة التى ذكرها الأزرقي في تاريخه وتقدم ذكرها فان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف قوله بفعله ولا يقر المنكر الذى هو من اظلم الظلم ومن كبائر الأثم .

الوجه الثامن : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في عدة أحاديث صحيحة أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة . وروى الامام احمد والبخارى والنسائيُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت فوجد فيه صورة ابراهيم وصورة

مريم فقال : صلى الله عليه وسلم « أما لهم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا ابراهيم مصور فما له يستسقم » وهذا الحديث ظاهر في إنكاره صلى الله عليه وسلم لصورة ابراهيم ومريم حين رآهما في الكعبة . وهذا يرد قول من زعم انه صلى الله عليه وسلم وضع كفيه على صورة مريم وعيسى وأمر بابقائها ومحو ما سواها ، واذا كانت الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه صورة فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه يقر صورة مريم وعيسى في بيت الله الذى هو أشرف البيوت وأعظمها حرمة ويأمر بابقائها ومحو ما سواها . هذا من أسوأ الظن وأبطل الباطل .

الوجه التاسع : ما رواه ابو داود الطيالسى في مسنده باسناد جيد عن أسامه بن زيد رضى الله عنهما قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة ورأى صوراً قال فدعا بدلو ماء فأتيته به فجعل يمحوها ويقول : « قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون » وهذا الحديث ظاهر في إنكاره صلى الله عليه وسلم لما رآه من الصور في الكعبة وأنه لم يستثن شيئا منها . وفي هذا رد على من زعم انه صلى الله عليه وسلم وضع كفيه على صورة مريم وعيسى وأمر بابقائها ومحو ما سواها .

الوجه العاشر : ما رواه ابن ماجه باسناد صحيح عن علي رضي الله عنه قال صنعت طعاما فدعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فرأى في البيت تصاوير فرجع ، ورواه النسائي ولفظه قال صنعت طعاما فدعوت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء فدخل فرأى ستراً فيه تصاوير فخرج وقال : « ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه تصاوير » واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيت على وفاطمة رضى الله عنهما وامتنع من أكل طعامهما من اجل الستر الذى فيه التصاوير فكيف يظن به أن يقر صورة مريم وعيسى في الكعبة . لا شك ان هذا مكذوب على النبى صلى الله عليه وسلم .

الوجه الحادى عشر : ما رواه الامام احمد ومسلم واهل السنن الا ابن ماجه عن ابي هياج الأسدي قال قال لي على بن ابي طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى‌الله عليه وسلم « ان لا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الا سويته » هذا لفظ احدى روايات مسلم .

وهذا الحديث الصحيح يدل على انه يجب طمس الصور أينما وجدت وفي أى شيءٔ كانت . وفيه أبلغ الرد على من زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع كفيه على صورة مريم وعيسى وأمر بابقائها ومحو ما سواها .

ـ وأما ما رواه الأزرقي عن جده قال حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج قال سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن ابي رباح وأنا أسمع أدركت في البيت تمثال مريم وعيسى قال نعم أدركت فيها تمثال مريم مزوقا في حجرها عيسى ابنها قاعدا مزوقا . قال وكانت في البيت أعمدة ست سوارى وكان تمثال عيسى ومريم في العمود الذى يلى الباب قال ابن جريج فقلت لعطاء متى هلك قال في الحريق في عصر ابن الزبير . قلت أعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان ؟ قال لا أدري وأني لأظنه قد كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . قال له سليمان أفرأيت تماثيل صور كانت في البيت من طمسها ؟ قال لا أدرى غير اني أدركت من تلك الصور اثنتين درستا وأراهما والطمس عليهما . قال ابن جريج ثم عاودت عطاء بعد حين فخط لى ست سواري ثم قال تمثال عيسى وامه عليهما السلام في الوسط من اللاتي تلين الباب الذي يلينا اذا دخلنا .

ثم قال الأزرقي حدثني جدي قال حدثنا داود بن عبد الرحمن عن عمرو بن دينار قال أدركت في بطن الكعبة قبل ان تهدم تمثال عيسى بن مريم وأمه .

فجوابه : ان يقال قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ولم يستثنى شيئا من الصور . وثبت أيضا من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت فوجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم فقال صلى الله عليه وسلم « أما لهم فقد سمعوا ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا ابراهيم مصور فما له يستقسم » وثبت ايضا عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة ورأى صوراً قال فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها ويقول « قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون » . وقد تقدم ذكر هذه الاحاديث الثلاثة قريبا . وتقدم ايضا ما ذكره الزرقاني على المواهب انه وقع عند الواقدي في حديث جابر وكان عمر قد ترك صورة ابراهيم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها فقال « يا عمر ألم آمرك ان لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام ثم رأى صورة مريم فقال محوا ما فيها من الصور قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون » . .

وعلى هذا فيحتمل ان تكون صورة مريم وعيسى محفورة في عمود البيت بحيث لا يذهبهما الغسل بالماء فلهذا بقيت الى ان احترق البيت في عهد ابن الزبير . ويحتمل ان تكون مصبوغة بصبغ ثابت لا يذهبه الماء أو أنه قد ذهب بعض الصبغ حين محيت بالماء في زمن النبي صلى

الله عليه وسلم وبقى منه بقية تظهر منه الصورة ، وقد تقدم عن عطاء انه ادرك ايضا صورتين من الصور التي كانت في الكعبة وأنهما قد درستا وأنه رأى الطمس عليهما . فلعل صورة مريم وعيسى كانت كذلك . ويحتمل ان يكون قد ألزق عليهما ما يمنع من رؤيتهـا فخفيت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفـاء الراشدين وعلى غيرهم من الصحابة ورآها عطاء وعمرو بن دينار بعدما ازيل عنها ما يمنع من رؤيتها .

ويحتمل ان يكون بعض النصارى وضعها بعد زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعد زمان الخلفاء الراشدين ولا سيما في زمن الفتنة التي كانت في زمن يزيد بن معاوية فقد يتسمى بعض النصارى بالاسلام بحيث لا يرد عن دخول مكة ودخول الكعبة فيصور صورة مريم وعيسى ليفتن المسلمين بذلك ويوهمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أقر صورتهما ويحتمل ان يكون ذلك من عمل بعض من أسلم من النصارى بعد زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمان الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم والله أعلم .

وليس في بقاء صورة مريم وعيسى في الكعبة بعد زمان النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقر ذلك فانه صلى الله عليه وسلم لا يقر المنكر ولا يرضى به وقد قال الله تعالى في صفته (الذين يتبعون الرسول النبيَّ الامي الذي يجـدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) .

والمقصود هنا أنه لا يجوز أن يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه يقر شيئا من الصور أو يأمر بابقائها ، ومن ظن ذلك فقد ظن بالنبي صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به والله اعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

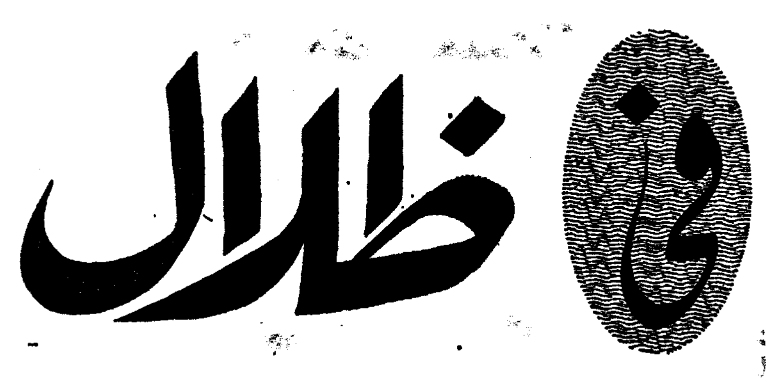
١٣٩٨/٤/١٥ هـ حمود بن عبد الله التويجري

● ★ ●

تعليق :

ذكر فضيلة الكاتب بعد حديث عمر الذى هو أقوى دليل في الموضوع عدة أحاديث تعارضه وحاول التوفيق بينها وبين حديث عمر بذكر عدة احتمالات ولكن الذى يبدو أن القارئ لا يقتنع بهذا الصنيع . فترى المجلة أن يعيد فضيلة الكاتب النظر في التوفيق بين تلك الأحاديث التى ظاهرها التعارض .

وبالله التوفيق . .


في ظلال


العقيدة


الإسلامية







بقلم سعد ندا . المدرس بالجامعة الإسلامية "المعهد الثانوي"

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيــآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فقد بدا لى أن موضوع « الربوبية » له أهميته من حيث تعلقه بنقطة البدء في حياة المسلم ، والمدخل الوحيد للعقيده الصحيحة — عقيدة التوحيد — التى يتحتم عليه اعتناقها وتنفيذ متضمناتها والتى لا يقبل الله تعالى منه أى عمل يؤسس على غيرها — وكذلك من حيث أنه لا يُعقل أن يوجه فردٌ ما أى عبادة إلى إلهٍ لا يؤمن بوجوده ، بل إن العبادات توجه دائما إلى إلهٍ يبدأ العابد بالإقرار به وبصفات كماله المطلقة التى لا تماثلها صفة واحدٍ من خلقه .

ومن ثم برزت عندى أهمية هــذا الموضوع ، وآثرت أن أدخل في شئ من معالجته بقد ما ييسر الله تعالى لى ، خاصة وأن موجة الإلحاد وإنكار وجود الله قد اجتاحت معظم بلاد العالم ، وزحفت على شطر ليس بالقليل من قلوب من ينتسبون إلى الاسلام ، وخاصة القلوب الغضة التى يحملها بين جنبيه شباب الإسلام الذى تحير فتذبذب بدفعات عنيفة من تيارات الملحدين تارة ، والمبتدعين تارة أخرى ، حتى أصبح كريش تلعب به هبّات الرياح .

وفي معالجتى لهذا الموضوع ، أتناول إن شاء الله بحث : معنى الربوبية — وتوحيد الله تعالى في الربوبية إقراراً وإنكاراً وأثر ذلك . وبيان نظرة المنكرين للخالق سبحانه والرد عليهم بالأدلة العقلية والنقلية ، ثم علاقة توحيد

الربوبية بأقسام التوحيد المختلفة .

ومن الله عز وجل استمد العون والتوفيق

معنى الربوبية لغة (١) :

الربوبية مصدر من رَبَبَ . ومنه الربّ .

والربّ هو الله عز وجل ، هو ربّ كل شئ أى مالكه ، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له ، وهو رب الأرباب ، ومالك الملوك والأملال .

ورب كل شئ مالكه ومستحقه ، وقيل : صاحبه — ولا يقال الربُّ في غير الله إلا بالإضافة : فيقال : فلان ربُّ هذا الشئ أى ملكه له . وكل من ملك شيئا فهو ربُّه . يقال :

هو ربُّ الدابة ، وربُّ الدار ، وفلان ربُّ البيت ، وهن ربَّات الحمال . ويقال : ربٌّ مشدد ، وربُ مخفف .

وأنشد المفضل :

وقد علم الأقوال أن ليس فوقه
ربُ غير من يعطى الحظوظ ويرزق

وفي حديث أشراط الساعة (وأن تلد الأمة ربهَّا أو ربتها) قيل : الرب يطلق في اللغة على المالك ، والسيد ، والمربي ، والقَيّم ، والمنعم . ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل .

وقد أريد به في الحديث المولى أو السيد : يعنى أن الأمة تلد لسيدها ولدا فيكون كالمولى لها ، لأنه في الحسب كأبيه . أراد أن السبي يكثر ، والنعمة تظهر في الناس ، فتكثر السرارى .

وفي حديث إجابة المؤذن (اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة) أى صاحبها ، وقيل المتمم لها ، والزائد في أهلها والعمل بها والإجابة لها .

وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه (لا يقل المملوك لسيده : ربيِّ) كره أن يجعل مالكه ربا له لمشاركة الله في الرُّبوبية .

أما في قوله تعالى : (اذكرني عند ربِّك) فإنه خاطبهم على المتعارف عندهم وعلى ما كانوا يُسمونهم به .

فأما الحديث في ضالة الإبل (حتى يلقاها ربُّها) فإن البهائم غير متعدية ولا مخاطبة فهى بمنزلة الأموال التى تجوز إضافة مالكيها إليها ، وجعلهم أربابا لها .

وقوله عز وجل (إنه ربيِّ أحسن مثواى) قال الزجاج : إن العزيز صاحبي أحسن مثواى . قيل : ويجوز أن يكون : الله ربي أحسن مثواى .

وربَّه يَرُبُّه ربّاً : مَلَكَه .

ومربوب : أى مملوك ، أى بيِّن الربوبية .

(١) لسان العرب المحيط في معنى كلمة (ربب) .

والعباد مربوبون لله عز وجل ، أى مملوكون .

ورَبَبْتُ القوم : سستهم ، أى كنت فوقهم .

والعرب تقول : لأن يَرُبَّنى فلان أحب إلى من أن يربنى فلان . يعنى أن يكون ربّاً فوقي وسيداً يملكنى .

ويقول ابن الانبارى : الرب بنفسه على ثلاثة أقسام :

١ — الرب المالك .

٢ — والرب : السيد المطاع . يقول تعالى (فيسقى ربَّه خمرا) أى سيده .

٣ — والرب : المصلح .

وربَّ الشئ : إذا أصلحه .

وربَّ ولده والصبى يربُّه ربّاً ، وربَّبَه تربيبا وتَربيةً بمعنى ربَّاه .

وفي الحديث (لك نعمة تربُّها) أى تحفظها وتراعيها وتربِّبها كما يربي الرجل ولده . وتربَّاه : أحسن القيام عليه ، ووليَهُ حتى يفارق الطفولية ، كان ابنَه أو لم يكن . والصبي مربوب وربيب ، والمربوب هو المربَّى .

معنى الربوبية اصطلاحا :

الربوبية من الربِّ .

والربُّ في الاصطلاح الشرعى : هو السيد ، المنعم ، الخالق ، البارئ ، المصور ، المالك ، الرازق ، المعطى ، المانع ، النافع ، الضار ، المحيي ، المميت ، المدبر لأمر هذا الكون كله .

□■□

توحيد الله تعالى في ربوبيته إقراراً وإنكاراً وأثر ذلك :

معنى توحيد الربوبية :

يقصد بتوحيد الربوبية : أن يقر العبد ويشهد بقلبه ولسانه وجوارحه بأن الله تعالى تفرد بالربوبية المطلقة وخصائصها من : سيادة ، وإنعام ، وإبراء ، وتصوير وملك ، ورزق ، ومنع ، واعطاء ، ونفع ، وضر ، وإحياء ، وإماتة ، وتدبير محكم بديع لأمر هذا الكون كله أزلا وأبدا . فلا يشركه أحد من خلقه مهما علا مركزه في هذه الحياة دينا ودنيا في أى من خصائص ربوبيته سبحانه ومن ثم فإن العبد ينبغى عليه أن يعتقد : —

١ — بأن الله تعالى هو وحده السيد ، فلا سيادة في هذا الكون على الخلق إلا له وحده . وإذا أُطلق على الإنسان لفظ (السيد) فذلك من باب التجوز في التعبير ، وحتى مع إقراره له ، فإن سيادته مقيدة بحدود تناسب ذاته ، أما سيادة الله جل وعلا فهى سيادة مطلقة لا حدود لها .

٢ — وبأن الله تعالى هو وحده

الخالق ، أى المقـــدر للأشياء على مقتضى مشيئته ، فلا يملك مخلوق ما أن يخلق ذرة ولاحبة ولاشعيرة. لذا يقول تعالى : (هذا خلق الله ، فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟) (١) فهذا استفهام إنكارى ، يؤكد عجز المخلوق عجزا كاملا عن خلق أى شئ ه وقد ثبت عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا ذرَّةً ، أو ليخلقوا حبَّةً ، أو ليخلقوا شعيرةً) أخرجاه — فهذا الحديث يقرر أن من يحاول مضاهاة خلق الله بالتصوير شديد الظلم ، له شديد العقوبة ، إذ أنه يعجز أن يخلق ذرة أو حبة أو شعيرة .

٣ — وبأن الله تعالى هو وحده البارئ أى المنشئ للمخلوقات ، والموجد لها من العدم — فمن من الخلق هذا الذى يزعم أنه يستطيع أن يبرئ من العدم شيئا ؟ — إنه يستحيل عليه ذلك ، بل إنه كثيرا ما يعجز عن أن يصنع أشياء من مواد متجمعة لديه . لكن رب العالمين سبحانه يخلق دون حاجة إلى سبق مواد يخلق منها — ونجد إشارة الى ذلك فى قوله تعالى: (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) ؟ (٢)

٤ — وبأن الله تعالى هو وحده المصور لصور خلقه على كثرتهم الكاثرة واختلاف انواعهم وأشكالهم — وهو وحده — بعد خلقه وتصويره يجعل في مخلوقاته الأرواح التى تحصل بها الحياة

٥ — وبأن الله تعالى هو وحده الرازق ، وضمن رزق كل مخلوق لديه ، فقال تعالى : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين (٣) — وقال جل وعلا (وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (٤) .

وقال تعالى : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٥) — فلا يملك مخلوق أن يجرى لغيره رزقا لم يقدره الله تعالى له ، ولا أن يمنع عنه رزقا قدر الله تعالى أن يجريه له .

وبأن الله تعالى هو وحده الذى يعطى خلقه من نعمه ما يشاء،وهو وحده الذى يمنعهم إياها كما يشاء ، ولا يملك أى مخلوق ، أن يمنع عطاء الله الذى أراد ولا أن يجرى ما أراد سبحانه أن يمسك . يقول تعالى : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) (٦)

---

(١) سورة لقمان : آية ١١ .
(٢) سورة مريم آية ٦٧ .
(٣) سورة هود آية ٦ .
(٤) سورة الذاريات آية ٢٢ . ٢٣ .
(٥) سورة الذاريات آية ٥٨ .
(٦) سورة فاطر : آية ٢ .

٦ – وبأن الله تعالى هو وحده النافع لعباده بما يشاء ، والضار لمن يستحق منهم الضر بما يشاء سبحانه .

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث القدسي الذى رواه عن ربه عن ابن عباس رضى الله عنهما : (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك – جفت الأقلام وطويت الصحف .

٧ – وبأن الله تعالى هو وحده المحيي ، الذى يقدر أن يمنح الحياة لمن يشاء من خلقه ، ويحدد مدة هذه الحياة ونهايتها في أجل معلوم لديه ، ولا يملك أى مخلوق أن يمنح حياة لغيره – لم يشأها له الله تعالى – ولو للحظات يسيرة .

٨ – وبأن الله تعالى هو وحده المميت ، الذى يقدر أن ينهى حياة من يشاء من خلقه فيقضى عليه بالموت . ولا يملك مخلوق ما أن ينهى حياة غيره الذى يُقَدِّر الله له بقيةً من حياة .

٩ – وبأن الله تعالى هو وحده المدبر لأمر هذا الكون كله ، فيصرف شؤونه على وجه حكيم فيه صلاح خلقه ، بحيث لا يوجد في هذا التدبير تناقضٌ ولا تنافرٌ ، ولا يملك أى مخلوق مهما كان مركزه دنيا ودينا أن يدبر من أمر هذا الكون شيئا – ويشير إلى هذا قوله تعالى : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) (١) .

أهمية هذا الإقرار :

تظهر أهمية الإقرار بتوحيد الربوبية في أنه مقدمة لنتيجة ، فإذا أقر العبد أن الله سبحانه وتعالى هو الرب المتفرد بالربوبية وخصائصها ، استلزم ذلك حتما أن ينتج عن اقراره هذا إقرار آخر بتفرد الرب جل وعلا في ألوهيته ، فَيُجَرِّد له العبادات جميعا ، ولا يصرف شيئا منها لسواه ، إذ أنه لا يصلح أن يُعْبَدَ إلا من كان ربّاً ، سيداً ، خالقاً ، بارئاً ، مصوراً ، مالكاً ، رازقاً ، معطياً ، مانعاً ، محيياً ، مميتاً ، مدبراً لأمر الكون كله ، وما دام أن ذلك جميعه لا يثبت إلا له وحده سبحانه ، فوجب أن يكون هو وحده المعبود ، الذى لا يصح أن يكون لأحد من خلقه شركة معه في أى شئ من العبادات على اختلاف صورها .

ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية ، ثم الخلوص منها إلى الدعوة إلى توحيد الألوهية ، فيجعل توحيد الربوبية مدخلاً لتوحيد العبادة للإله

---

(١) سورة السجدة آية ٥ .

الذى لا يستحقها بأنواعهاجميعاً سواه ؛ كما قال تعالى : (يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (١) وكما قال تعالى (أمَّن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون) . . . (٢)

وأما توحيد الإلهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية ، بمعنى أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد الإلهية ، فإن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا ، لابد أن يكون قد اعتقد أن الله هو ربه ومالكه الذى لا رب له غيره ولا مالك له سواه ، فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده ، وأنه هو الذى يملك ضره ونفعه ، وأن كل ما يُدْعَى من دونه ، فهو لا يملك لعابديه ضرا ، ولا نفعا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا .

ولا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية ، كما لا ينفع توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية ، فإن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا في عبادته ، ولكنه اعتقد مع ذلك أن لغير الله تعالى تأثيرا في شئ ، أو قدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله ، أو أنه يملك ضر العباد أو نفعهم ونحو ذلك ، فهذا لا تصح عبادته ، لأن أساسها يجب أن يكون الإيمان بالله ربّاً متفرداً بخصائص الربوبية جميعاً .

الإقرار بتوحيد الربوبية :

إن الإقرار بهذا النوع من التوحيد وحده لا يكفى لجعل صاحبه موحدا ينجو بتوحيده من عذاب الله تعالى يوم القيامة الذى أعده لغير الموحدين وإنما هو مدخل لأنواع التوحيد الأخرى التى بها جميعا يتحقق النجاة من عذاب الله .

وقد أقر المشركون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بتوحيد الربوبية ، وكذلك أقربه الكفار ، إذ كانوا يقرون بأن الله تعالى هو المالك ، الخالق ، الرازق ، النافع ، الضار ، المحي ، المميت ، المدبر لأمر هذا الكون . ولكن هذا الإقرار وحده لم يجدهم شيئا ، ولم ينقذهم من عذاب الله .

وقد أثبت الله جل وعلا إقرارهم هذا في كتابه ، فقال تعالى :

(١) سورة البقرة آية ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة النمل آية ٦٠ ، ٦٤ .

(ولئن سألتهم : من خلقهم ؟ ليقولن الله) (١) ، وقال : (ولئن سألتهم : من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : خلقهن العزيز العليم) (٢) . .

وقال : (قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ؟ ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟

فسيقولون الله . فقل: أفلا تتقون؟)(٣)

وقال : (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل : أفلا تذكرون ؟ قل من ربُّ السموات السبع وربُّ العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل فأني تسحرون) ؟ (٤) .

وهذا فرعون مع كفره ، وادعائه الربوبية العليا ، بل والألوهية المتفردة يقر بربوبية الله تعالى ، فيقول سبحانه في حق فرعون حاكيا عن موسى عليه السلام (لقد علمتَ ما أنزل هـؤلاء إلا ربُّ السموات والأرض بصائر) (٥) .

وهذا إبليس اللعين يعترف بربوبية الله تعالى فيقول : (ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون) (٦) ، ويقول : (رب بما أغويتنى لازينن لهم في الأرض ولأُغوينهم أجمعين) (٧) ويقول : (إني أخاف الله رب العالمين) (٨) .

فالكفار والمشركون أقروا بأن الله خالقهم ، وخالق السموات والأرض وربهن ورب ما فيهما ورازقهم . لهذا احتج عليهم الرسل بقولهم : (أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون ؟) (٩) .

أثر إقرارهم :

ورغم أن الكفرة والمشركين قد أقروا بتوحيد الربوبية لله تعالى ، فإن هذا الإقرار لم ينفعهم شيئا ، ولم يخرجهم من كفرهم وشركهم ، ولم يصبحوا بهذا الاقرار موحدين لله جل وعلا .

لقد كانوا يوحـــدون الله تعالى في ربوبيته ، وملكه ، وقهره ، وكانوا يعبدونه ويخصون له أنواعا من العبادات وقت الاضطرار ، كما يقول تعالى : (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر ، فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتـــنا

(١) سورة الزخرف آية ٨٧ .
(٢) سورة الزخرف آية ٩ .
(٣) سورة يونس آية ٣١ .
(٤) سورة المؤمنون آية ٨٤ .
(٥) سورة الإسراء آية ١٠٢ .
(٦) سورة الحجر آية ٣٦ .
(٧) سورة الحجر آية ٣٩ .
(٨) سورة الحشر آية ١٦ .
(٩) سورة النحل آية ١٧ .

الا كل ختار كفور) (١) . وكانوا يدّعون أنهم على ملة ابراهيم عليه السلام ، فأنزل الله تعالى : (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنفيا مسلما ، وما كان من المشركين) (٢) .

بل كان بعضهم يؤمن بالبعث والحساب ، وبعضهم يؤمن بالقدر : كما قال زهير :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم حساب أو يعجل فينقم

وكما قال عنترة :

يا عبل أين من المنية مهرب
إن كان ربي في السماء قضاها

ومع هذا الإيمان ، فإن دماءهم وأموالهم قد أبيحت ، لإشراكهم في توحيد العبادة الذى هو معنى لا إله إلا الله) ، ولم ينفعهم إقرارهم بتوحيد الربوبية وحده دون توحيد الله تعالى في عبادته .

ولذلك ما اعترضوا على توحيد الربوبية حين ذكرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان اعتراضهم وإنكارهم وتعجبهم على دعوته لهم إفراد الله تعالى بالعبادة — وذلك فيما حكاه الله جل وعلا عنهم في قوله (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن هو لشئ عجاب ، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إنّ هذا لشئ يراد ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق) (٣) .

فكانت النتيجة لاقتصارهم على هذا الاقرار بالربوبية أنه أبيح قتالهم وعدم رفع السيف عنهم حتى يقروا بشهادة أن لا إله إلا الله تلفظا ، وفهم معنىً ، وتنفيذ مقتضى ، والكفر بما يعبد من دون الله . إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي ، وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله) ، وفيما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله) . وقد أجمع العلماء على أن من قال (لا إله إلا الله) ، ولم يعتقد معناها ، ولم يعمل بمقتضاها ، يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفى والإثبات .

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر (رضى

(١) سورة لقمان آية ٣٢ .
(٢) سورة آل عمران آية ٦٧ .
(٣) سورة ص آية ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

الله عنهما) لما قاتل مانعى الزكاة : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) . فقال أبو بكر رضى الله عنه (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال . والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه) . فقال عمر رضى الله عنه (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق) لفظ مسلم .

فأبو بكر رضى الله عنه فهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد مجرد اللفظ بقول (لا إله إلا الله) باللسان فحسب دون التزام بمعناها وأحكامها . وقد سئل شيخ الإسلام احمد بن تيمية رحمه الله عن قتال التتار مع التمسك بالشهادتين ولما زعموا من اتباع أصل الإسلام ، فقال (١) : (كل طائفة ممتنعة من التزام شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم أو غيرهم ، فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه ، وإن كانوا ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه ، كما قاتل أبو بكر والصحابة رضى الله عنهم مانعى الزكاة وعلى ذلك اتفق العلماء بعدهم . فأيما طائفة ممتنعة عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام ، أو الحج ، أو عن التزام تحريم الدماء ، أو الأموال أو الخمر ، أو الميسر أو نكاح ذوات المحارم ، أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب ، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التى لا عذر لأحد في جحودها أو تركها ، التى يكفر الواحد بجحودها فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها . وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء . وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة ، بل هم خارجون على الإسلام بمنزلة مانعى الزكاة) :

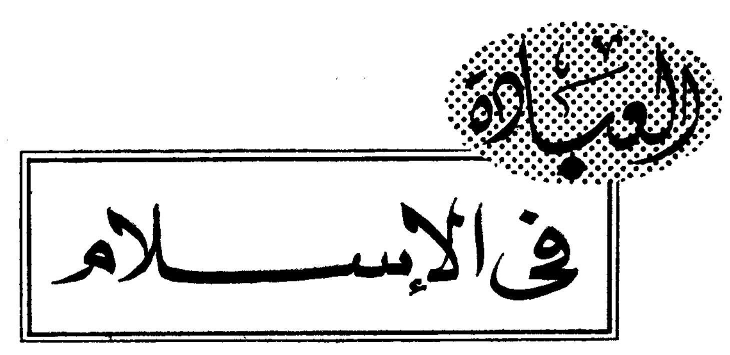
أما ما ورد في حديث (أمرت أن أقاتل الناس . .) من قوله (وحسابهم على الله) (٢) أى أنه تبارك وتعالى هو الذى يتولى حساب هذا الذى يشهد بلسانه بهذه الشهادة ، فإن كان صادقا جازاه بجنات النعيم ، وإن كان منافقا عذبه العذاب الأليم :

وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر ، فمن أتي بالتوحيد ، ولم يأت بما ينافيه ظاهرا والتزم شرائع الإسلام ، وجب الكف عنه :

يخلص من ذلك أن الاقتصار على توحيد الربوبية : من باب أولى — لا أثر له في عصمة الدم والمال —

(١) فتح المجيد ص ٩٢ ، ٩٣

(٢) المرجع السابق ص ٩١ .



بقلم أحمد عبد الرحيم السايح

قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . .(١)

فهذه الآية الكريمة . . تحدد غاية الخلق . . كما تبين الحكمة الشرعية الدينية من خلق الجن والإنس . والتي هي وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، وافراده بتلك العبادة .

والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .(٢)

وأصل العبادة : التذلل والخضوع . . وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها ، خاضعين متذللين لله تعالى (٣) .

والعبادة في اللغة ـ من الذلة . . يقال طريق معبد . أى مذلل . وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف (٤) . .

والعبادة في الإسلام . . تؤكد إقرار المرء إقراراً كاملاً بقلبه وجوارحه ، وخضوعه خضوعاً مطلقا ، يطغى على كل خضوع ، لله الخالق الباقي من وراء كل وجود زائل (٥) . .

ويقوم التصور الإسلامى ، على أن هناك ألوهية وعبودية . . ألوهية يتفرد بها الله سبحانه . . وعبودية يشترك فيها كل من عداه ، وكل ما عداه . .

وكما يتفرد الله سبحانه بالألوهية . .

---

(١) سورة الذاريات . . الآيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ . .

(٢) من كلام ابن تيمية . انظر في ذلك كتاب « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » ص ٣٠ للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب . مكتبة الرياض الحديثة .

(٣) راجع : تفسير القرطبى لسورة الذاريات . الآية رقم ٥٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم . للإمام ابن كثير . . المجلد الرابع . .

(٥) معالم الثقافة الإسلامية . للدكتور عبد الكريم عثمان . ص ١٤٧ الطبعة الثالثة الناشر : مؤسسة الأنوار بالرياض .

كذلك يتفرد تبعا لذلك بكل خصائص الألوهية . . وكما يشترك كل حى ، وكل شئ بعد ذلك في العبودية ، كذلك يتجرد كل حى وكل شئ ، من خصائص الألوهية . .

فهناك إذن وجودان متميزان : وجود الله ، ووجود ما عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين . هى علاقة الخالق بالخلق والإله بالعبيد (٦) . . والله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان في هذا الكـــون . . ليعبث ، أو يلهو ، أو يلعب ، أو ليتمرد على الإنسانية . . ولم يخلق الله الإنسان ليطغى ويتمرغ في وحل الإلحاد . . ولم يخلق الله الإنسان ليعيش في أحضان الجـــهل والتبعية العمياء . .

قال تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » . .

وقال تعالى : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور » (٨) . .

فالإنسان خلقه الله وركب فيه ماركب من قوى الإدراك والعلم والفهم والتفكير والعمل . . ليكون خليفة في الأرض . .

والخلافة في الأرض . . ليست مجرد الملك والرياسة والقهر والغلبة . . وليست البطش بالأبرياء والزج بهم في المعتقلات وسجون التعذيب . . وليست سفكا للدماء ، وقطعا لرءوس المؤمنين . . ولا هى كذلك دعوة إلى الإلحاد وعبادة الطواغيت (٩) . . ولا هى التسلط على الناس والتحكم فيهم بغير ما أنزل الله . .

إذن هى القيام بمسئولية التكليف . والتكليف حجة على المكلفين فيما يعينهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء . . وهى آداء رسالة الإسلام ، وتحقيق المنهج الذى رسمه الله للإنسانية ،

قال تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (١٠) . .

والخلافة في الإسلام حقيقة ضخمة ، تستغرق النشاط الإنساني كله . . وتوجه النشاط الإنساني كله . .

فهى قدرة على التفوق العلمى . . وقدرة على مواجهة التحديات الشركية . وقدرة على الصمود أمام الأحداث . .

---

(٦) خصائص التصور الاسلامى . سيد قطب . ص ٢١٥ طبع دار الشروق .

(٧) سورة المؤمنون الآية ١١٥ . (٨) سورة الملك . الآيتان الأولى والثانية .

(٩) قال ابن القيم : « الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم ، من يتحاكون إليه غير الله ورسوله . أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله . أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله . فهذه طواغيت العالم . . » . .

(١٠) سورة الأنعام . الآية رقم ١٥٣ .

وقدرة على محاربة الإلحاد والأحزاب الحمراء . . وقدرة على تحقيق الطمأنينة ، والأمن ، والعدل ، والخير ، والسلام . .

« وإن النظرة القرآنية تجعل هذا الإنسان بخلافته في الأرض عاملاً مهما في نظام الكون . . ملحوظا في هذا النظام . . فخلافته في الأرض تتعلق بارتباطات شتى مع السماوات ، ومع الرياح ، ومع الأمطار ، ومع الشموس والكواكب وكلهـــا ملحوظ في تصميمها امكان قيـــام الحياة على الأرض ، وإمكان قيام هذا الإنسان بالخلافة . فأين هذا المكان الملحوظ ، من ذلك الدور الذليل الذى تخصصه له المذاهب المادية ، ولا تسمح له أن يتعداه » (١١) .

والإنسان أعز وأكرم وأغلى من كل شئ مادى ، ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعا . ولا يجوز إذن أن يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية ، أو شئ مـــادى . ولا يجوز أن يعتدى على أى مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة . ولا أن تهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق أى كسب مادى ، أو إنتاج أى شئ مادى ، أو تكثير أى عنصر مادى . .

فهذه المـــاديات كلها مصـــنوعة من أجله . من أجل تحقيق إنسانيته ، من أجل تقرير وجوده الإنساني . . فلا يجوز أن يكون ثمنها هو سلب قيمة من قيمه الإنسانية ، أو نقص مقوم من مقومات كرامته . . (١٢)

والإنسان أكرمه الله بالعبادة ، وأمره بها ، ليكون صالحا ، مصلحاً ، قال تعالى : « قل إن صلاتي ونسكى ومحياى ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »(١٣) . .

وإذا كانت العبـــادة غاية الوجود الإنساني . كما هى غاية كل وجود . فإن مفهومها لا يقتصر على المعنى الخاص الذى يرد إلى الذهن ، والذى يضيق نطاقها ، حتى يجعلها محصورة بأنواع الشعائر الخاصة التى يؤديها المؤمن ، إن حقيقة العبادة تبدو في معنيين . . أولهما عام . والآخر خاص . .

أما العبادة بالمعنى العام . . فإنها تعنى السير في الحياة ابتغاء رضوان الله ، وفق شريعة الله . فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى ، والقيام بآداء حق الناس استجابة لطلب الله تعالى بإصلاح الأرض ومنع الفساد فيها ، يعد عبادة وهكذا تتحول أعمال الإنسان مهما حققت

---

(١١) انظر : تفسير « في ظلا ل القرآن » للشهيد سيد قطب . المجلد الأول ص ٧١ الطبعة الرابعة . الدار العربية للطباعة والنشر . بيروت .

(١٢) في ظلا ل القرآن . المجلد الأول ٧٠ .

(١٣) سورة الأنعام . الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

له من نفع دنيوى إلى عبادة إذا قصد بها رضاء الله (١٤) .

فالعبادة . . ما تكاد تستقر حقيقتها في قلب المسلم ، حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ، ونشاط ، وحركة ، وبناء .

عبادة تستغرق نشاط المسلم . . بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه ، وأشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه ، وسلوكه مع الناس . .

وبهذا الاستغراق ، وهذا الشمول يتحقق معنى الخلافة في الأرض ، في قوله تعالى : « إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . . » (١٥)

لأن الخلافة في الأرض هى عمل هذا الكائن الإنساني . . وهى تقضى ألوانا من النشاط الحيوى في عمارة الأرض والتعرف إلى قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ، وتحقيق إرادة الله في استخدامها وتنميقها ، وترقية الحياة فيها . . كما تقتضى الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض ، لتحقيق المنهج الإلهى الذى يتناسق مع الناموس الكوني العام . .

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التى هى غاية الوجود الإنساني ، أو التى هى وظيفة الإنسان الأولى . . أوسع وأشمل من مجرد الشعائر . وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعا . .

وإن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين :

الأول : هو استقرار معنى العبودية لله في النفس . أى استقرار الشعور على أن هناك عبدا وربا . . عبداً يعبد . . وربّاً يُعبد . . وأن ليس وراء ذلك شئ . وأن ليس هناك إلا هذا الوضع ، وهذا الاعتبار . ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود . وإلا رب واحد ، والكل له عبيد . .

الثاني : هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير ، وكل حركة في الجوارح ، وكل حركة في الحياة . . التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر . ومن كل معنى غير معنى التعبد لله . .

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة .

قال تعالى : « إيـــاك نعبد وإيـــاك نستعين » (١٧) والعبادة هى العبودية المطلقة ، معنى وحقيقة . . وكل ما يأتي به المسلم في طاعة الله فهو عبادة لذا كانت جملة « إياك نعبد . . » كليه اعتقادية . . فلا عبادة إلا لله . ولا استعانة إلا بالله . .

(١٤) معالم الثقافة الاسلامية . الدكتور عبد الكريم عثمان . ص ١٤٨ .

(١٥) سورة البقرة . جزء من الآية رقم ٣٠ .

(١٦) انظر : في ظلال القرآن . المجلد السابع ص ٢٨ الطبعة الرابعة . بيروت .

(١٧) سورة الفاتحة .

وفي هذا مفرق طريق . . « مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد .

وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشرى الكامل الشامل . . التحرر من عبودية الأوهام ، والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الأوضاع . . وإذا كان الله وحده هو الذى يعبد ، والله وحده هو الذى يستعان فقد تخلص العبد من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص . كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات . (١٨)

أما العبادة بالمعنى الخاص : فهى إقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً . . وهى نوع من التربية على العبادة الكاملة الحقة (١٩) . .

ففرائض الاسلام تخاطب كل الجوانب في الإنسانية ، وتفى بكل الحاجات ، وتصحح كل الاتجاهات . .

ومن وراء كل ذلك . . نجد أن العبادات في الإسلام تدعو إلى الوحدة والجماعة ، وهى أساس لوحدة التفكير ، ووحدة المفاهيم الأساسية في الحياة . بل ووحدة القيم ، والمقاييس الخلقية ، والنظر إلى الخير والشر ، والفضائل والرذائل . . وقواعد السلوك . . (٢٠)

والعبادات في الاسلام تنتهى إلى نتيجتين

أولاهما : الاتجاه إلى تربية الوجدان الدينى الذى يجعل المؤمن بالإسلام مؤتلفا مع غيره ، ليتكون من هذا الائتلاف مجتمع إنساني متواد متحاب . .

والثانية : أن غاية العبادات في الإسلام ليست مجرد التقوى السلبية ، لأنها تتجه إلى النفع الإنساني العام ، وإلى إيجاد مجتمع متحاب ، غير متباغض ولا متنازع . . فعلاقة الإخلاص لله فيها أن تكون مطهرة للقلب . قاضية على الشرفيه ، مؤلفة بينه وبين الناس من غير مراءة ولا مغالاة (٢١) . .

ويوم أن يدرك المسلمون حقيقة العبادة في الإسلام . . ويوم أن يقتنع المسلمون بأن الإسلام هو المنهج الأمثل . . ويوم أن تكون الفرائض الإسلامية عملاً بناء . . لا حركات تؤدى . . ويوم أن تكون « لا إله إلا الله » المنطلق الوحيد للمسلمين . . يومها وبكل تأكيد سوف يتحقق للمسلمين بإذن الله تعالى نجاح رائع في كل نواحى الحياة . .

والله ولى التوفيق . .

بقلم : احمد عبد الرحيم السايح

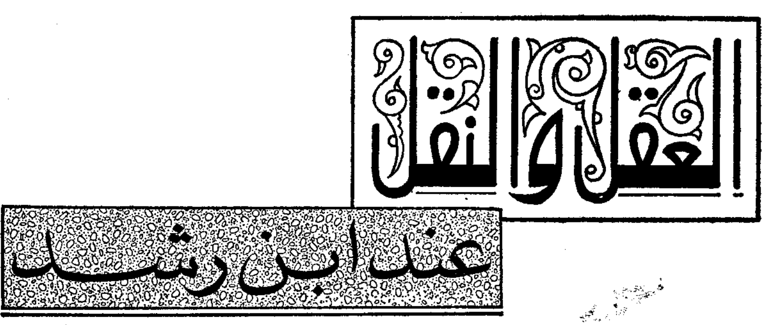
---

(١٨) في ظلال القرآن . المجلد الأول ص ١٩ .

(١٩) مبادئ الاسلام . للاستاذ أبو الأعلى المودودى ص ٩٤ . .

(٢٠) من وحى السماء . لأحمد عبد الرحيم السايح . ص ٤٦ ، ٤٧ . الطبعة الأولى القاهرة .

(٢١) المجتمع الاسلامى في ظل الاسلام . للشيخ العلامة محمد أبو زهرة ص ٩٦ . . القاهرة .



بقلم فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي
عميد كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

تمهيـــــــد

من هو ابن رشد ؟

قبل أن نتحدث عن موقف ابن رشد من العقل والنقل يحسن بنا أن نقول شيئا عن ابن رشد :

عن حياته ، عن فلسفته ، لكى نعرف الظروف التى نشأ فيها حتى صار احد أساطين الفلسفة ، وما الذى عرضه لذلك الاضطهاد والعسف والتشريد . والاتهام بالالحاد والزندقة أحيانا ؟ ! !

ولد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد في مدينة قرطبة سنة خمسمائة وعشرين من الهجرة الموافق عام ستة وعشرين بعد الالف ميلاديا ، وترعرع في حب العلم وأهله في كنف والده الذى كان من كبار علماء قرطبة وقضاتها ، وشغف في حداثة سنه بدراسة الطب والشريعة وتطلع الى العلوم الماورائية ، فظهر منه نبوغ عجيب لفت اليه الانظار ، والعجيب من أمر هذا الفيلسوف الكبير أنه لا يُدرَى أين درس الفلسفة والعلوم الماورائية ، ومن أستاذه في هذه العلوم ؟

يرى بعض الناس أنه أخذها عن ابن ماجه – الفيلسوف المشهور – الا أن الواقع التاريخى يأبي ذلك ، لان وفاة ابن ماجه كانت سنة ١١٣٨ م وكان ابن رشد في هذا التاريخ في الثانية عشرة من عمره ، فليس في الامكان أن يدرس الفلسفة في هذا السن المبكر ، بل كان يدرس مبادئ العلوم الشرعية في هذا التاريخ كالفقه وعلم الكلام على والده . ويرى البعض الآخر أنه تتلمذ على ابن طفيل ولكن التاريخ يثبت ان ابن طفيل ، ما كان يعرف ابن رشد معرفة شخصية الا في الوقت الذى ذاعت فيه شهرته وطار صيته في الآفاق ، كفيلسوف وطبيب ، هذا ما يستنتج من وصفه لحاله عندما دخل على السلطان يوسف

بن يعقوب لأول مرة ، وعنده ابن طفيل ، يقول ابن رشد:(لما دخلت على أمير المؤمنين ابن يعقوب وجدته هو وأبا بكر بن طفيل ، فأخذ أبو بكر يثني عليّ ويذكر بيتي وسلفي ، ويضم الى ذلك بفضله أشياء لا يبلغها قدري)، الى آخر كلامه . .

وهذا يدل على أن ابن طفيل إنما عرف ابن رشد من صيته الطويل ، ولا يعرفه قبل ذلك ، فضلا عن أن يتتلمذ عليه .

هكذا يثبت بالواقع التاريخي ان ابن رشد لم يأخذ فلسفته عن ابن طفيل كما اثبت من قبل أنه لم يأخذها عن ابن ماجه ، فيبقى أستاذه في الفلسفة غير معروف ولعله بعد دراسته لمبادئ العلوم الشرعية وعلم الكلام عكف على دراسة كتب أرسطو وتتلمذ عليه بواسطة كتبه ، كما يظهر من تأثره البالغ بفلسفته ، وعلى أى حال فهو فيلسوف كبير يكتنفه الغموض وتحيط به الاستفهامات من كل جانب ، أهو فيلسوف متهور ؟ كما يقول بعض الكتاب ؟ أهو فيلسوف جامع بين الفلسفة والدين كما يظهر من بعض كتبه ؟ أهو أشعرى في عقيدته؟ أو واقفيٌ؟ أومفوض؟ أو هو.. أوهو..أهوباطنيٌ الخ. والذى جعل ابن رشد يقع تحت هذه الاستفهامات ويعيش هذا الغمـــوض أنه كان كثير المداراة ويحاول أن يعيش مع الجمهور بظاهره ، وأما في حقيقته فهو في عالم آخر . . عالم الخواص ، الذى يزعم أنه يفهم من نصوص الشريعة فهما خاصا لا يفهمه الجمهور ويعذر الجمهور في مفهومه السطحي – على زعمه – ولا يبيح للعلماء أو الخواص ، أن يقفوا عند مفهوم الجمهور ، ولابن رشد اصطلاح خاص قد ينفرد في هذا المعنى ، وهو أنه يثبت فريقا ليسوا من العلماء ، وهم فوق الجمهور ، وهم علماء الكلام من المعتزلة والاشاعرة والماتريدية ومن يدور في فلكهم ، يطلق عليهم (جدليون) ويتبعون ما تشابه من النصوص ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

فابن رشد شخصية غريبة يحتار المرء في تحديده ، فتراه فقيها واسع الاطلاع على أقوال الفقهاء و كثيرا ما يحاول ترجيح قول على قول ، أو تقديم رأى على رأى فيقارع الحجج بالحجج ، وقد تراه يتحدث عن مذهب السلف حديث مطلع ومقتنع ويثني عليه خيرا لأنه لا يأول النصوص بل يبقيها على ظاهرها على ما يليق بالله . ثم تراه وقد انزلق مع الفلاسفة المتهورين ويدعو الى تحكيم البراهين . ويعتبرها هى الأصل في باب الألهيات مع الاكتراث بالأدلة النقلية ، و يقول بقدم العالم كما يبدو من بعض كتبه (١) .

بين يـــدى البحث

قبل أن أشرع في البحث أحب أن أضع بين يدى القارئ النقاط التالية : –

١ – مما يجب الاتفاق عليه بين المسلمين (وحدة المصدر في معرفة العقيدة الاسلامية) واعتماد ذلك

---

(١) منهاج الأدلة

المصـــدر في بحث أى معنى من معاني العقيدة الاسلامية ، وعدم إغفاله ، وبذلك تسلم عقيدة المسلم من الزيف والالحاد والضلال .

٢ — لا يجوز تعطيل العقل في مجال العقيدة وغيرها لأن العقـــل أساس التكليف ومناط الأهلية الا أنه لا يجوز أن يتجاوز العقل حدوده ويتجاهل وظيفته ويجمح في مجال الخيال الفاسد والأوهام الكاذبة، والخيالُ والوهمُ لا يصلحان أساسا للعقيدة والمعرفة الصحيحة حتما .

٣ — دعوتنا الى وحدة المصدر للعقيدة الاسلامية حقيقة دل عليها الشرع بالقواطع من الأدلة النقلية ، والعقل السليم لا يعارضها ، على القاعدة التى تقول :

« العقـــل الصريح لا يخالف النقل الصحيح »

٤ — اذا كان العقل هو الذى دلنا على معرفة الله عز وجل وعلى أن محمداً رسول الله حقا فأى معارضة تفرض بين العقل وبين ما جاء به الكتاب والسنة ، أوردَ خير الله وخبر رسوله بحجة مخالفتهما للعقل ، يعتبر كل ذلك مناقضة صريحة لما دل عليه العقل نفسه .

٥ — العقل نور جعله الله في قلبك ليكشف لك عن الأشياء الموجودة والحقائق الواقعة ولتفهم به عن الله ورسوله ، هذه وظيفة العقل ، فلو أردت منه أن يريك كل ما تحبه وتتخيله من المعدومات فلا يجد الى ذلك سبيلا ، اللهم الا اذا كان على سبيل الوهم والخيال، وسبق أن قلنا : ان الوهم والخيال لا يصلحان للمعرفة الصحيحة والعقيدة السليمة ، والله هو الهادى الى سواء السبيل (١) .

تعريف العقـــل

يقال : عقل الشئ فهمه معقول أى مفهوم ، العقل نور روحانيّ تدرك به النفس الأمور الضرورية ، والفطرية ، وابتداء وجوده عند اجتنان الولد في الرحم ، ثم لا يزال ينمو الى أن يكمل عند البلوغ (٢) .

ويقال للأدلة النظرية الأدلة العقلية : لانها تدرك بالعقل ، حيث ان الانسان يستعمل العقل في ترتيبه وتكوينه وتنظيمه ، وسمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه لئلا يقع فيما لا ينبغى من اعتقاد فاسد أو فعل قبيح ، ومن ذلك « اعقلها وتوكل على الله » أى احبسها .

تعريف النقـــل

يقال : نقل الشئ أى أخذه من مكان الى مكان ، ونَقَلَةُ الحديث هم الذين يدونون الآحاديث وينقلونها ويسندونها الى مصادرها .

---

١) من كتاب القضاء والقـــدر للدكتور عبد الكريم زيدان بتصرف

٢) قاموس المحيط ..

ويقال لأدلة الكتاب والسنة : الأدلة النقلية ، ويقال لها السمعية ويقال لها : الخبرية والأدلة المأثورة ، وكلها بمعنى واحد ، وهى الأدلة المسموعة المنقولة عن كتاب الله العزيز والسنة المطهرة أو الأدلة التى نقلها الينا نقلة الحديث والرواة .

العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح

هذا العنوان يجب أن يكون المحور لبحثنا وقاعدة ننطلق منها في دراستنا لآراء أبي الوليد في الالهيات ومناقشتها ، لنتبين مذهبه على حقيقته ان استطعنا الى ذلك سبيلا ، وهو أمر عسير غير يسير .

وذلك لأن العقـــل هو الذى دلنا على وجود الخالق ، وصحة رسالة رسوله الذى أيده بالمعجزات ، تلك المعجزات التى تدل على صدق نبوة الأنبياء باستعمال الفكر والنظر ويقول شيخ الاسلام بن تيمية : (المعقول الصريح لا يخالف المنقول الصحيح) وله كتاب خاص بهذا المعنى تحت عنوان: « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ، وقد يسايرنا أبو الوليد في هذا الخط فترة من الزمن غير طويلة الا أنه لا يستطيع أن يواصل سيره معنا بل سرعان ما يتركنا في وسط الطريق ، ليعود الى غموضه متناقضا ، ومُطْلِقاً على ما نحن عليه مذهب الجمهور أو مذهب العـــوام . الواقع ان ابن رشد يساير أيضا علماء الكلام بل يوافقهم في الحقيقة ، ويتظاهر بمخالفتهم في الظاهر أو في طريق التطبيق ، فتجده يعتب على علماء الكلام في تأويلهم لنصوص الكتاب والسنة ، ويعلن أمام الرأى العام أن تأويلهم هو الذى غير الشريعة وبدل معالمها وأفسد على الناس مفهومها . وإذا قلبت النظر في أمره فتجد أن عتابه لا ينصب على التأويل من حيث هو تأويل . ولكنه ينصب على التصريح به للجمهور ، فهو يبيح من التأويل للعلماء ما لا يبيح للجمهور شريطة ألا يصرح العلماء للجمهور بذلك التأويل لأنهم حرفيون على حد تعبيره .

هكذا عاش ابن رشد غير واضح في عقيدته وفلسفته ويسمى هذا الموقف : التوفيق بين الفلسفة والشريعة أو بين الحكمة والدين ، وكان مقتنعا بصحة هذا المذهب ولذا نراه يعتب على الامام الغزالى وينقم منه تصريحه امام الجمهور ما لا ينبغى أن يصرح به الا امام الخواص في منهج القوم ! !

فلسفة ابن رشـــد

مما لا يختلف فيه اثنان أن ابن رشد فيلسوف كبير وخطير ، ومن الصعوبة بمكان أن يحدد المـــرء معالم فلسفته ومذهبه كما قلت آنفا حيث اختار لنفسه الغموض في حياته ، ولا أقول إن ابن رشد لا يملك الجرأة الكافية التى تمكنه من الاعلان عما يتفاعل في نفسه من آراء عرفانية ولكنى أقول: إن ابن رشد لم يستخدم أو لم يرد أن يستخدم جرأته في الاعلان عن مذهبه .

والثبات عليه بشكل واضح ودائم بل قد اضطر أحيانا الى مسايرة الناس في خلاف ما يعتقدْ وخصوصا بعد أن نكب على يد السلطان المنصور ابن أبي يعقوب ، سلطان الموحدين وأحرقت كتبه في الفلسفة ، ورمى

بالألحاد ، ومما يروى في سبب تلك النكبة أنه أنكر بحضرة والي قرطبة وجود قوم عاد الذين ورد ذكرهم في الكتاب العزيز ، هكذا الرواية — والعهدة على الراوى — وعلى الرغم مما قيل فان الدارس لآراء ابن رشد يشهد له بالعمق وأنه من أوسع الفلاسفة الاسلاميين في العلوم الماورائية . وله محاولة في ربط الفلسفة بالشريعة في حدود تصوره للشريعة .

وقد قام ابن رشد بشرح عدة كتب من كتب الفلاسفة الاسلاميين وغيرهم ، وانتقد بعض أولئك الفلاسفة وفند آراءهم ونظر في علم الكلام فوقف عنده كثيرا ولم يستسغ آراءهم وتأويلهم فأخذ ينقد تأويل الاشاعرة والمعتزلة والماتريدية وحكم عليهم كلهم بأنهم خصـــمون يجادلون بالباطل حتى تخضع النصوص لآرائهم وعقلياتهم ، فرأى أنه لابد له أن يشق له طريقا وحده ويطلق العنان لجواد فلسفته لينطلق كما يريد الا أن جواده لم يسلم من كبوة — لكل جـــواد كبوة — ومن كبوة جواده وهفوة ذهنه أنه يرى :

اذا وجدت بعض الآيات في الكتاب العزيز تضاد الفلسفة يجب تفسيرها تفسيرا شعبيا باعتبار أن لكل آية معنيين : حرفي شعبي وروحي خاص ، فالحرفي للشعب ، والروحي للفلاسفة بل يقول ما هو أدهى من هذا وأمر — إذ يقول : كما ان الأنبياء يتقبلون الوحي فيبلغونه للشعب وكذلك الفلاسفة وهم انبياء الطبقة العالمة .

لذلك يجب أن يوفق بين الدين والعلم ، وعلى العلماء أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة وأن يعملوا من الشريعة بما يوافق الحكمة حتى يكون عملهم في كل شيء موافقا للحكمة . ومن أقواله المأثورة « الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له » .

هذه — كما ترى — كبوة خطيرة ، بل انزلاقة قاتلة ، وقولة منكرة في الاسلام ، لا أعلم أنه سبق اليها ، اذ هي سخرية ساخرة من مقام النبوة . والنبوة منزلة خاصة لا تنبغي الا لأولئك المصطفين المختارين الذين اختارهم الله وجعلهم واسطة بينه وبين عباده في تبليغ الرسالة اليهم ونصحهم وهدايتهم أولهم آدم وآخرهم خاتم النبيين محمد بن عبد الله العربي الهاشمي وقد صرح الكتاب العزيز انه خاتم النبيين حيث يقول الرب تعالى :

« ما كان محمد أبـــا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . .

وادعاء النبوة لأحد بعده مصادمة لهذه الآية والآحاديث الصحيحة التى جاءت في هذا المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام : « انا خاتم النبيين لا نبي بعدى » وابن رشد قد قال قولا شططا بادعاء النبوة للفلاسفة ، بل انه يجعلهم نخبة ممتازة من الأنبياء ومرسلة الى نخبة ممتازة من الناس — إذ يقول : « وكذلك الفلاسفة

وهم أنبياء السبقة العالمة ولست أدرى ما مفهوم النبوة عند ابن رشد ؟ حتى تبيح له فلسفته مثل هذا الأدعاء علما بأنه من الفلاسفة الذين يشملهم ادعاؤه فلاسفةُ اليونان من غير المسلمين مثل أستاذه أفلاطون ومثل أرسطو فهل تبيح فلسفة ابن رشد أن يكون أمثال هؤلاء من قدماء الفلاسفة وحدثائهم من المسلمين وغير المسلمين من أنبياء الله تعالى ؟ ! ! والله المستعان .

نعود الى قول ابن رشد « الحق لا يضاده الحق بل يوافقه ويشهد له » . وهو حق بقطع النظر عما أراد به أبو الوليد ، وسبق ان نقلنا عن بعض المحققين قوله : « العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح » (١) ، وعندما يحصل الاختلاف بين العقل والنقل لابد من أحد أمرين :

أحدهما : أن النقل غير صحيح في نفسه أو أسيئ فهمه وفسر تفسيرا غير صحيح .

ثانيهما : المعقول الذى ادعى أن النقل يخالفه غير صريح وغير سليم . بل انه أصيب بأدران الشبهة أو الهوى الذى غيَّرَهُ حتى فقد العقل سلامته . بل هو إما مريض أو ملوث ولا محالة ، ولو كان العقل يتمتع بعافيته وسلامته والنقل يتمتع بصحته وقوته لا يكاد ان يختلفان .

وهذه قاعدة عظيمة ونافعة باذن الله ، ومقبولة لدى العقلاء المنصفين ، بل لا يكاد يتردد فيها كل من نظر في العقليات ، وله اطلاع على النقليات . ورزق التجرد عن التعصب والهوى والتحيز .

وقد أشار ابو الوليد بن رشد الى هذه القاعدة في كتابه « منهاج الأدلة » في غير ما موضع في أثناء مناقشته لبعض علماء الكـــلام في تأويلهم البعيد عن روح الاسلام وفي رد شبههم التى عرضوها على الشريعة ليعارضوها بها ، ومما قاله ابو الوليد في هذا الصدد قوله :

« وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيرا مما ظنوه ليس على ظاهره . وقالوا ان التأويل ليس هو المقصود به . وانما أتي الله به في صورة المتشابه ابتلاء لعباده «واختباراً لهم ثم قال ابو الوليد : نعوذ بالله من هذا الظن بالله . بل نقول : « ان كتاب الله العزيز انما جاء معجزا من جهة الوضوح والبيان » الى أن قال : « ما أبعد عن مقصد الشرع من قال : فيما ليس بمتشابه انه متشابه . ثم انه أول ذلك المتشابه بزعمه ، وقال بجميع الناس : إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل ، مثل ما قالوه في آية الاستواء على العرش . وغير ذلك مما قالوا إن ظاهره متشابه » يشير أبو الوليد الى بعض آيات الصفات التى حرفها كثير من علماء الكلام ، وتبعهم كثير من الناس في تحريفهم باسم التأويل كآية مجيئ الرب يوم القيامة « وجاء ربك والملك صفا صفا » وصفة المحبة « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، وصفة الرحمة التى دل عليها قوله عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن » ، « ارحموا من في الأرض

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ـــ لابن تيمية .

يرحمكم من في السماء ، وصفة الرضاء المأخوذة من قوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وغير ما ذكر من نصوص الصفات التى جاءت في الكتاب العزيز والسنة المطهرة . والتى سلط عليها أهل الكلام وكثير من الفلاسفة صنوف التأويل البعيدة عن مراد المتكلم بها ، والتى أبعدت كثيراً من الناس عن المفهوم الصحيح لنصوص الصفات ويضرب أبو الوليد مثالا رائعا لهذا الصنف من الناس فيقول : (ومثال من أول شيئا من الشرع وزعم أن ما أوله هو ما قصده الشرع ، وصرح بذلك التأويل للجمهور – مثال من أتي الى دواء قد ركبه طبيب ماهر ليحفظ صحة الناس أو الأكثر فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الأعظم لرداءة مزاج كان به ليس يعرض الا للأقل من الناس فزعم أن بعض تلك الأدوية التى صرح باسمه الطبيب الأول في ذلك الدواء ، العام المنفعة المركب لم يرد به ذلك الدواء الذى جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك الاسم عليه وانما أريد به دواء آخر مما يمكن أن يدل عليه بذلك الاسم باستعارة بعيدة ، فأزال ذلك الدواء الأول عن ذلك المركب الأعظم ، وجعل فيه بدله الدواء الذى ظن أنه الذى قصده الطبيب وقال للناس هذا هو الذى قصده الطبيب الأول ، فاستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذى تأوله عليه هذا المتأول ففسدت به امزجة كثير من الناس فجاء آخرون شعروا فساد أمزجة الناس عن ذلك الدواء المركب ، فراموا اصلاحه ، بأن بدلوا بعض أدويته بدواء غير الدواء الأول فعرض للناس من ذلك نوع من المرض غير النوع الأول ، فجاء ثالث فتأول من أدوية ذلك المركب غير التأويل الأول والثاني فعرض للناس من ذلك نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقدمين فجاء متأول رابع فتأول دواء آخر غير الأدوية المتقدمة ، فلما طال الزمان بهذا المركب الأعظم وسلط الناس التأويل على أدويته وغيروها وبدلوها عرض للناس منه أمراض شتى ، حتى فسدت المنفعة المقصودة بهذا الدواء المركب في حق اكثر الناس . وهذه هى حال الفرق الحادثة في هذه الطريقة مع الشريعة ، وذلك أن كل فرقة منهم تأولت في الشريعة تأويلا غير التأويل الذى تأولته الفرقة الأخرى ، وزعمت أنه الذى قصده صاحب الشريعة حتى تمزق الشرع كل ممزق وبعد جدا عن موضعه الأول .

ولما علم صاحب الشرع – عليه الصلاة والسلام – أن مثل هذا يعرض ولابد في شريعته قال : « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة » يعنى بالواحدة التى سلكت ظاهر الشرع ولم تأوله تأويلا صرحت به للناس ، واذا تأملت مافي هذه الشريعة ، في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل تبينت ان هذا المثال صحيح ، وأول من غير هذا الدواء الأعظم هو الخوارج ، ثم المعتزلة بعدهم ، ثم الاشعرية ، ثم الصوفية) . الى آخر كلامه في هذا المعنى ، حقا انه لمثال صحيح وسليم لو سلم من شئ واحد وهو ما جاء في تفسير أبي الوليد للحديث الذى استشهد به ، إذ يقول : وهو يصف الفرقة التى تنجو من النار وتفوز بدخول الجنة وحدها « يعنى بالواحدة التى سلكت ظاهر الشرع ولم تأوله تأويلا صرحت به للناس » يفهم من هذا التفسير الغريب أن التأويل المذموم– في نظر ابن رشد – هو التأويل

الذى يصرح به للجمهور فقط ، وأما لو أول العلماء نصوص الكتاب والسنة في دائرتهم الخاصة وخرجوا بها عن ظاهرها ، واعتقدوا صحة ذلك التأويل مع مخالفته لظاهر الشرع ومصادمته له فلا حرج عليهم ، ولا يخرجهم عن عموم الفرقة الناجية ، انها لفلسفة جريئة وابن رشد — كما علمنا — يثبت للشرع مفهومين اثنين ، وكلاهما صحيح في بابه ، مفهوم يخص العلماء (١) وهو الذى يتم بتأويل نصوص الشرع ليوافق الحكمة مع عدم التصريح به للجمهور وهم عامة الناس غير العلماء بل هو مفهوم خاص بالخاصة ولا يجوز لهم البقاء مع ظاهر الشرع حين يخالف ظاهر الشرع الحكمة — في زعمهم — ويسمى ذلك عندهم التوفيق بين الشريعة والحكمة .

المفهوم الثاني : مفهوم يخص الجمهور ، وهم عوام الناس غير العلماء كما تقدم وواجبهم التمسك بظاهر الشرع قبل أن يحيدوا عنه ، ولا يجوز لهم التأويل بل لا يخبرون عنه . هذه هى فلسفة ابن رشد في هذه المسألة ، وقد وقع فيما هو أقبح مما عابه على أهل الكلام حيث زعم أن للشريعة الاسلامية معنيين ، معنى جمهورى أو شعبي ومعنى فلسفي خاص بالحكماء ، وادعى أن كلا المعنيين صحيح ، ومراد للشارع ، وسبق أن صرح — فيما نقلنا عنه — أن مثل هذا الأدعاء تغيير للشريعة وافساد على الناس ، ويعد ابن رشد علماء الشريعة من العوام أو الجمهور ولا يطلق لقب العلماء الا على الفلاسفة الذين يسمونهم حكماء أحيانا .

ولست أدرى كيف غاب عن هذا الفيلسوف الكبير أن الحق لا يتعدد ، بل هو واحد بلا نزاع ، فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ ! ! .

يذكرني موقف ابن رشد هذا قول الشاعر العربي :

لا تنه عن خــلق وتأتي مثله　　　عــار عليك اذا فعلت عظيم

بل ما فعله ابن رشد أقبح مما فعله علماء الكلام في هذا المقام بالذات . قبل أن نضيف سخريته من علما الشريعة والاستخفاف بهم حيث يعدهم من العوام .

وجــود الله عند ابن رشد

لم أعثر فيما قرأت لابن رشد على رأى صريح ينكر فيه وجود الله الخالق المصــور المبدع بل على العكس من ذلك نراه يرسم معالم الطريق لمعرفة الله تعالى ، ويقيم الأدلة العقلية على وجود الله وينبه على الآيات الكونية الا فقية والنفسية ، بصورة واضحة ولكنه — كما قسم الناس في مفهوم الشريعة — كما رأينا آنفا — يقسمهم مرة أخرى في مجال الاستدلال بالآيات الكونية على وجود الله فيقول : « ان الأدلة على وجود الله الصــانع تنحصر في هذين الجنسين :

١) العلماء فى اصطلاح ابن رشد: الحكماء اى الفلاسفة .

١ – دلالة العناية .

٢ – دلالة الاختراع .

يقوم دليل العناية على أن يفكر الانسان جيدا وينظر فيما يحيط به من حماية وعناية ربانية ونعم لا تعد ولا تحصى ، وقد خلق الله من أجله أكثر الموجودات ، بل جميع ما في السموات وما في الأرض ، وذلك في قوله تعالى : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه » .

ويقوم دليل الاختراع على النظر الدقيق في الموجودات والمصنوعات التى تدل لا على وجود الخالق فحسب بل على قدرته وعظمته ووحدانيته كأثر يدل على المؤثر وصفة تدل على الصانع الحكيم ، ويرى ابو الوليد ان لكل دلالة من الدلالتين جماعة من الناس تفهمها وتختص بفهمها وادراكها ، ويجعل دلالة العناية طريقة الجمهور لأنها حسية كما يجعل دلالة الاختراع خاصة بالعلماء والخواص ، لأنهم يزيدون على ما يدركه الحس . ما يدركونه بالبرهان الذى يتم بالنظر واستعمال الفكر والنظر ويرى أنه لا يجوز للعلماء أن يقفوا عند دلالة العناية مع الجمهور بل عليهم أن يستعملوا الفكر ، وينظروا في ملكوت السماوات والارض . والى هذا الأشارة بقوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » . ليستدلوا على وجود الله وقدرته وحكمته بالنظر في أسرار هذه المخلوقات اذ كان ذلك في استطاعتهم دون الجمهور (لا يكلف الله نفسا الا وسعها (ولنستمع الآن الى ابي الوليد وهو يتقدم الى الجمهور بارشاده كي يعرفوا الاستدلال على وجود الله تعالى : فيقــول :

« الطريق التى نبه بها الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها تنحصر في جنسين :

١ – في العناية بالانسان وخلق جميع الأشياء من أجله ، ولنسم هذا دليل العناية .

٢ – ثم ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء مثل اختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل ، ولنسم هذا دليل الاختراع .

ويرى ابن رشد ان هذين الدليلين هما دليل الشرع ، ثم يقول (ابو الوليد إن جميع الموجودات في هذا الكون مناسبة ومفيدة لوجود الإنسان ، كوجود الشمس والقمر والنبات والحيــوان والامطار والبحار والهواء والنار – بل في أعضاء الانسان ذاتها دليل على أن موجد هذا العالم قدير حكيم عليم لطيف بعباده، ثم يواصــل تحليله البديع فيقول لما كانت جميع هذه الموحودات مخترعة من العدم محدثة بعد أن لم تكن دل ذلك على أنه لابد من وجود مبدع صانع لهذا الكون قادر على الاختراع لاستحالة تحولها من العدم إلى الوجود بنفسها وذلك المبدع الخالق هو الله لا اله إلا هو ولا رب سواه .

تبينا فيما سبق أن ابن رشد لا يثار الغبار حوله في باب اثبات وجود الله تعالى ، لا أقول : انه على يقين تام من وجود الله فحسب بل هو على استعداد تام لاقناع غيره ممن يخالطه شك أو ليس على يقين من وجود الله تعالى بأدلة عقلية وآيات كونية بأسلوبه القوى الممتاز كما رأينا فيما سبق من الأبواب فلنستمع اليه وهو يسوق الأدلة النقلية والعقلية ويحلل المسألة كعادته اذ يثبت بأنه تعالى واحد فرد صمد اعتمادا على الآيات القرآنية مثل قوله تعالى « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » ، ويقول أبو الوليد إن من نظر في كلمة « لا اله الا الله » وصدق المعنيين الواردين فيها وهما الاقرار بوجود البارى ونفى الالهية عما سواه ، فهو المسلم الحقيقى ويثبت ابن رشد من ناحية ادراكه الفلسفى ، بأن الله هو الصانع الخالق الأول . صنع كل ما في العالم لحكمة على نظام وترتيب وقانون ، صدرت عنه جميع الموجودات المتغايرة صدورا أوليا أزليا ودفعة واحدة ويرى ابن رشد أن الفاعل الأول واحد ، والوحدانية ذاتية فيه ، اذ لا يمكن أن تكون الوحدانية زائدة على ذاته . التى هى في الوقت نفسه وجوده .

وهذا يعنى أن الصفات قائمة بذات الله ومتحدة معها وليست زائدة عليها ، وسيأتي لهذه المسألة مزيد إيضاح ان شاء الله — ماذا يريد أبو الوليد بهذه (الرطانة الفلسفية) ، بعد أن أثبت وجود الله ووحدانيته اعتمادا على الآيات القرآنية ، وبعد أن وفق في تفسير كلمة التوحيد تفسيرا سلفيا أثبت فيه الربوبية والالوهية معا بطريقة رائعة ودقيقة ، وصرح بأن المسلم الحقيقى ذلك الذى يقر بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته .

بعد هذا كله أبت عليه فلسفته بألا أن يستعمل أسلوبا مغلقا ملتويا ينبئ بأن الفيلسوف قد اختلط عليه الأمر ، ولعل هذا التخبط أثر من آثار فلسفة أرسطو وزملائه الذين تتلمذ على كتبهم وتأثر بهم . وهم يعتقدون بقدم العالم وأزليته ويثبتون تأثيرا لغير الله في هذا العالم في الأفلاك وغيرها على سبيل الاستقلال ويشبهون الله عز وجل بملك في مدينة ما يعطى الاستقلال في التصرف في المدينة لمن تحته لحاجته اليه في التعاون معه . . سبحان الله عن الشريك والوزير المساعد ! ! بل هو الواحد الأحد سبحانه . وهؤلاء الفلاسفة الذين تأثر ابن رشد بفلسفتهم يعتقدون بأن الله انما خلق العقل الأول فقط ، والعقل الأول خلق العقل الثاني ، وهكذا الى آخر كلام ركيك وملئ بالالحاد والقول على الله بغير علم ، وليس فيه مسكة من تقدير الله حق قدره سبحانك ما احلمك يارب العالمين ! !

وقد تورط ابن رشد في هذا الاعتقاد في هذه المسألة كما ترى وكما سيتضح فيما سيأتي من كلامه . ثم اخذ ابن رشد يخوض في مسألة طالما خاض فيها علماء الكلام ، وهى هل الصفات زائدة على الذات أم هى عين الذات ، اذ يقرر أن ذات الله ووجوده ووحدانيته كلمات يختلف معناها ، ولكن دلالتها

فيما يتعلق بالله واحدة . فالله قديم لأن الواحد بما هو واحد سابق على كل مركب ، وهذا الأول القديم بذاته باق مطلقا وصفات الله من الحكمة والقدرة والوحدانية وغيرها ليست زائدة على الذات .

وتحقيق هذا المقام يتطلب نوعا من التفصيل حتى يتضح الحق باذن الله .

فنقول : يمكن أن يقال : الصفة عين الذات ويصح هذا الحكم — بمعنى ان الصفات لا تنفك عن الذات اذ لا نستطيع أن نتصور علما بغير عالم وقدرة قائمة وحدها بغير قادر أو ارادة قائمة بنفسها دون مريد ، وهكذا وبهذا الاعتبار نقول : الصفات عين الذات .

كما انه من الممكن ان نقول : الصفة غير الذات فيصح الحكم ايضا باعتبار آخر وهو ان للصفة معنى وللذات معنى مغاير لمعنى الصفة وبهذا الاعتبار ان الصفة غير الذات قطعا، وما قيل في هذه المسألة يقال في مسألة هل الاسم عين المسمى أم غير المسمى؟ وعلى هذا المعنى يخرج كلام ابي الوليد ، اذ يقول انصفات الله ليست زائدة على الذات ، والله اعلم .

ومثل هذا البحث يعده ابو الوليد اذا صدر من غيره بدعة محدثة غيرمعروفة عند السلف اذ لا يكادون يزيدون على ما دل عليه الكتاب والسنة ، بل يؤمنون بان الله موصوف بصفات الكمال كالعلم والقدرة والرحمة والاستواء وغير ذلك من الصفات ذاتية أو فعلية ، ولا يسألون هل هى عين الذات أو غير الذات .

وهى الطريقة السليمة ، وتدل على عمق علم السلف ودقتهم وبعدهم عن التكلف والقول على الله بغير علم ، والمعـــروف عنهم انهم لا يتجاوزون الكتاب العزيز والسنة المطهرة في المطالب الالهية خشية القول على الله بغير علم ، والخوض في حقائق ذاته وصفاته واسمائه وتسليط الوهم والخيال عليها فأمر جد خطير ، اذ لا يصف الله أعلم من الله ، ولا يصفه من خلقه أعلم من رسوله عليه الصلاة والسلام الذى أذن له أن يصفه وأمره أن يبلغ عنه ما نزل عليه ، ومن جملة ما نزل عليه صفات الله عز وجل ، ومن بعدهم عن التكلف أنهم لا يتطلعون الى ادراك حقائق الصفات والاسماء ايمانا منهم بأن المخلوق لا يحيط بالخالق علما مهما أوتي من علم وذكاء لأن علم المخلوق محدود « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ولا يقاس بغيره بأى نوع من أنواع القياس ، اذ « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » ، « هل تعلم له سميا » ، « ولم يكن له كفوا أحد » ، والملاحظ أن ابن رشد قد يتسامح مع نفسه ما لا يتسامح مع غيره كما رأينا فيما سبق ، فيطلق لنفسه حرية الخوض والتأويل بينما هو يعيب كل ذلك لو صدر من غيره ، ويعده بدعة محدثة .
ومن الانصاف — والانصاف من الايمـــان — أن يعد هذا التصرف بدعة في حق كل أحد حتى في حق أبي الوليد ، وعلى العموم يلاحظ الدارس لكتب ابن رشد أنه يورد من الأدلة العقلية والنقلية في حواره ونقاشه في الالهيات ما يدل على اطلاعه الواسع ومقدرته الرائعة وذكائه الخارق .

يقول أبو الوليد في بعض كتبه : أما الأوصاف التى صرح بها الكتاب العزيز التى وصف الصانع الموجد للعالم بها ، فهى أوصاف الكمال الموجودة للانسان ، الى أن قال : أما العلم فقد نبه الكتاب العز ز على وجه الدلالة عليه في قوله تعالى: « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » وهى أن المصنوعات تدل — من جهة الترتيب الذى في أجزائه ، ومن جهة كونها صنع بعضها من أجل بعض آخر ومن جهة موافقتها جميعها للمنفعة المقصودة بذلك المصنوع أنه لم يحدث عن صانع هو « طبيعة » كما لم يحدث (صدفة) وانما حدث عن صانع رتب ما قبل الغاية قبل الغاية فوجب أن يكون عالما به ، مثال ذلك :

ان الانسان اذا نظر الى البيت فأدرك أن الأساس انما صنع من أجل الحائط ، وأن الحائط انما أقيم من أجل السقف ، يتيقن ان البيت انما وجد عن عالم بصناعة البناء .

يقول أبو الوليد : إن من نظر في أجزاء الموجودات وفي ترتيبها ، وتنظيمها وارتباط أجزائها وحاجة بعض أجزائها الى البعض الآخر ، يدرك تماما ان هذا المصنوع انما صنعه صانع عليم حكيم ، هذا الدليل الذى ساقه ابن رشد والمثال الذى ذكره والأسلوب الذى استعمله يقطع مجموع ذلك دابر ذلك الزعم بأن العالم وجد (صدفة) أو أوجدته (الطبيعة) اذ يأبي العقل الصريح والفطرة السليمة صدور هذا المصنوع العجيب عن طبيعة ليست هى أكثر من الشئ نفسه ، أو صفة من صفات الشئ ، والشئ لا يوجد نفسه ، وأما صفة الشئ فهى تابعة للشئ لأنها عرض قائم بالشئ ، كما هو معروف لدى العقلاء ثم يواصل ابن رشد حديثه في صفة العلم فيقول :

وهذه الصفة هى صفة قديمة ، اذ كان لا يجوز عليه سبحانه الا يتصف بها وقتا ما ، ولكن لا ينبغى أن يتعمق في هذا ، فيقال : ما يقوله المتكلمون ، ثم أخذ أبو الوليد يناقش أهل الكلام في بدعتهم التى أحدثوها في هذه الصفة كعادتهم : وهى قولهم :

« هل الله يعلم المحدث في وقت حدوثه بعلم قديم أو بعلم حديث » ؟ ! ! الى آخر خوضهم الذى يدل على عدم تقديرهم الخالق حق قدره فيقول أبو الوليد في تعليقه على هذا الخوض « وهذا شئ لم يصرح به الشرع ، بل المصرح به خلافه — وهو أنه تعالى يعلم المحدثات حين حدوثها كما قال تعالى : « وما تسقط من ورقة الا يعلمها » .

هكذا يقرر أبو الوليد شمول علم الله تعالى ، وأنه يعلم الأشياء قبل أن تكون على أنها ستكون، وكيف تكون ، واذا كانت على انها كانت ، وهو بكل شئ عليم ، كيف لا ؟ وهو الخالق البارى المصور ، وهذا مفهوم علم الله عند المسلمين سلفا وخلفا ، بعيدا عن تكلف المتكلفين وتشبيه المشبهين ، وتنطع اهل الكلام الذين يهرفون ما لا يعرفون ، وقد ابتليت الأمة الاسلامية بهذه الطائفة أيما بلاء — والله المستعان .

محاولة ابن رشد الحل الوسط في
قضية قـــدم العالم

ناقش ابن رشد الخلاف القائم بين القائلين بأن العالم مخلوق محدث بعد أن لم يكن ، وبين الفلاسفة القائلين بأن العالم قديم أزلى مع الاعتراف بأنه مخلوق . فيقول ابن رشد ان الخلاف في هذه المسألة يعود الى اللفظ ، أى خلاف لفظى غير جوهرى ، لأن في الوجود طرفين وواسطة لقد اتفق الجميع على الطرفين وهمـــا :

أولا : هناك واحد بالعدد قديم – الأول الذى ليس قبله شئ .

ثانيا : هناك على الطرف الآخر كائنات مكونة ، وهى عند الجميع محدثة ، ولكنهم اختلفوا في هذا العالم بجملته أقديم هو أم محدث ؟ فيواصل الفيلسوف مناقشته قائلا : ان العالم في الحقيقة ليس محدثا حقيقيا ولا قديما حقيقيا لأن القول : إنه محدث حقيقى فاسد ضرورة لأن العالم ليس من طبيعته أن يفنى أى لا تنعدم مادته ، والقدم الحقيقى ليس له علة والعالم له علة ! ! .

اذاً العالم محدث اذا نظرنا اليه من أنه معلول من الله ، والعالم قديم اذا اعتبرنا أنه وجد عن الله منذ الأزل من غير تراخ في زمن ، الخلاصة ان العالم بالاضافة الى الله محدث ، وبالاضافة الى أعيان الموجودات قديم .

هكذا ينهى الفيلسوف ابن رشد مناقشته لهذه القضية العويصة حقا . وقد اضطرب فيها كثير من حذاق الفلاسفة وأساطين أهل الكلام ، والخوض في مثل هذه المسألة يعد من فضول الكلام ، كما قال غير واحد من المحققين المعتدلين ، ويكفى المرء أن يقول جملتين اثنتين مع الفهم والفقه وهما :

١ – الله خالق كل شئ وهو المبدء المعيد .
٢ – ما سوى الله مخلوق محدث بعد أن لم يكن – وكفى . .

وشبهة ابن رشد في تردده في هذه المسألة في أمرين اثنين – هما :

١ – ان الله لم يزل فعالا وخلاقا .
٢ – ان مادة العالم باقية ولا تفنى .

الجواب عن الشبهة الأولى أن يقال ان الله تعالى له معنى الربوبية قبل أن يخلق المربوب ، وله معنى الخالق قبل أن يخلق ، وهو الرزاق قبل أن يخلق الرزق والمرزوق ، أى هو موصوف بجميع صفات الكمال أزلا وأبدا ، ولم تتجدد له بايجاد خلقه صفة لم تكن له ولا يجوز ان يعتقد بأنه تعالى تجددت له صفة لم يكن متصفا بها من قبل لأن صفاته تعالى صفات كمال وفقدها صفة نقص ، ولا يجوز ان يعتقد انه حصل له الكمال بعد أن لم يكن .

وهذا واضح في الصفات الذاتية ، وأما الصفات الفعلية كالخلق والتصوير والاحياء والاماتة والمجئ والنزول والاستواء والغضب والرضاء،وان كانت هذه الأحوال والأفعال تتجدد وتحدث في وقت دون كما في حديث الشفاعة ، حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله » لأن هذا التجدد والحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن ، ألا ترى أن من (١) تكلم اليوم وكان متكلما بالأمس لا يقال بأنه حدث له الكلام ، بل في حال تكمله يقال : انه متكلم بالفعل ، وفي حال سكوته يقال : انه متكلم بالقوة ، وكذلك من كان قادرا على الكتابة يقال : كاتب بالفعل في حال كتابته وفي الحالة الأخرى يقال : كاتب بالقوة ، فالله تعالى : خالق . رازق . محي ، مميت معط . قبل أن يخلق خلقه وعباده الذين يرزقهم ويعطيهم ويحييهم ويميتهم ، لأنه قادر علي ذلك كله أزلا ولم يكن فاقدا صفة من هذه الصفات أو عاجزا عن فعل من هذه الأفعال، بل هو على كل شئ قدير ، ولعل في هذا المقدار غنية لطالب الحق ، ومحاولة الاحاطة بالله تعالى محاولة فاشلة لقصور علمنا وعجزنا الذاتي (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ،(ولا يحيطون به علما) ، (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) هكذا يتم الجواب على الشبهة الأولى من الشبهتين اللتين جعلتا ابن رشد يتردد في هل العالم محدث أو قديم، فانجب الآن على الشبهة الثانية بمعونة الله وتوفيقه، وهى أن مادة العالم لا تفنى ولا تنعدم وذلك دليل قدم العالم ، كأن ابن رشد يحاول أن يستنتج من بقاء شئ من أجزاء العالم وعدم فنائه يستنتج من ذلك ان العالم قديم أزلى .

الجواب : صحيح أن بعض المخلوقات لا تفنى بل تبقى بابقاء الله اياها ، ويجاب عن بقائها بجوابين :

أولا : لا يلزم من عدم فنائها أزليتها ، اذ لا تلازم بين عدم فنائها وأزليتها .

ثانيا : أن بقاء ما يبقى من المخلوقات ليس بقاؤه ذاتيا ، وانما يبقى بابقاء الله اياه كالجنة واهلها والنار وسكانها ، وعجب الذنب من ابن آدم ، واما الباقي الذى البقاء وصف ذاتي له فهو الله ، لا يشاركه أحد في بقائه كما لم يشاركه أحد في سائر صفاته وان اتحدت الاسماء أحيانا في بعض الصفات .

فهو الأول الذى ليس قبله شئ ، وهو الآخر الذى ليس بعده شئ ، هذا والأمر في غاية الوضوح لطالب الحق والحمد لله رب العالمين وله المنه وحده .

صفة الحياة والقـــدم والارادة عند الفيلسوف ابن رشد

يثبت ابن رشد عددا معينا من صفات الله تعالى ، على الطريقة الأشعرية على الرغم من الحملات العنيفة التى يشنها عليهم أحيانا .

١) من شرح الطحاويه بتصرف

ومن الصفات التى يثبتها : صفة الحياة والارادة والقدم ، يثبت هذه الصفات بدليل عقلى مؤيد بالأدلة النقلية ، وان كان الاعتماد عنده على الأدلة العقلية على طريقة أهل الكلام .

بل يرى ان الاعتماد على الأدلة النقلية والوقوف عندها طريقة الجمهور. والجمهور في اصطلاح ابن رشد هم من ليسوا بالفلاسفة الذين يسميهم (الحكماء) .

فيقول : في اثبات هذه الصفات بعد أن تحدث عن صفة العلم ، ان صفة الحياة والارادة والقدرة ، وجودها ظاهر من صفة العلم ، وذلك يظهر في الشاهد أن من شرط العلم الحياة والارادة والقدرة، والشرط عند المتكلمين يجب أن ينتقل فيه الحكم الى الغائب ، وما قالوه صواب وهذا التصويب يعتبر انصافا من ابن رشد، وعلى الرغم من كثرة مناقشته الحادة للاشاعرة والمعتزلة يعترف لهم بالفضل فيما أصابوا فيه لان الحق ضالة المؤمن أخذها أين وجدها ولو كانت عند المتكلمين .

وبعد : فقد لاحظنا فيما سبق أن الفيلسوف بن رشد كثيرا ما يناقض نفسه ، اذ رأياه غير مرة يقف مواقف كان يعيبها على أهل الكلام ، من التأويل ودعوته المعنى الجمهورى ، والمعنى الخاص لبعض النصوص ، ولا عجب في ذلك لان التناقض يكاد يكون وصفا ذاتيا للفلاسفة كلهم . الا ما شذ أو من شذ وقليل ما هم .

فليس أبو الوليد بدعا من الفلاسفة ، هذا ما يهون الأمر علينا ، وقديما قيل (اذا عمت هانت)

الكـــلام عند ابن رشد

يسلك ابن رشد في اثبات صفة الكلام ، المسلك الذى سلكه في اثبات صفة الحياة والقدرة والارادة وهو الاستدلال بثبوت صفة العلم لأن الكلام في فلسفة ابن رشد ليس شيئا أكثر من أن يفعل المتكلم فعلا يدل به المخاطب على العلم الذى في نفسه أو الفعل الذى يصير المخاطب بحيث ينكشف له ذلك العلم الذى في نفسه ، وذلك فعل جملة الأفعال وأغرب من هذا قوله : « وقد يكون من كلام الله ما يلقيه الله الى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بواسطة البراهين ، وبهذه الجهة صح عند العلماء أن القرآن كلام الله » .

وقد توسع ابن رشد في مفهوم الكلام الى أن أدخل في مسمى كلام الله ما يتكلم به علماء الفلاسفة بدعوى أن الله ألقى اليهم الكلام بواسطة البراهين .

يقف أبو الوليد في هذه المسألة موقفا شاذا وخطيرا ، لم يسبق اليه — فيما نعلم — وذلك أنه خالف الأشعرية القائلة بالكلام النفسى واللفظى معا على أن النفسى هو الكلام الحقيقى لله ، واللفظى دال عليه

أو ترجمة له ، أو عبارة عنه ، والقرآن عند الأشعرية ليس بكلام الله حقيقة ولكنه دال على كلام الله الحقيقي الذى هو الكلام النفسى فلذا يجب احترامه الى آخر الكلام المعروف عندهم .

وأبو الوليد لم يلتزم هذا المذهب التزاما كليا ولم يرفضه رفضا باتا وهو في الوقت نفسه يخالف المعتزلة التى لا تثبت كلاما نفسيا ، بل تصرح بأن كلام الله مخلوق ، ومعنى أن الله متكلم عندهم أنه خالق للكلام فالقرآن مخلوق من مخلوقات الله عندهم وعند الأشعرية ونقطة الخلاف بينهم ، التصريح بالقول بأنه مخلوق وعدم التصريح به ، فالطائفتان متفقتان في العقيدة الداخلية – ان صح التعبير – ومختلفتان في السياسة الخارجية .

اذ ترى المعتزلة ان يصرح بذلك لدى الجمهور لأن القضية قضية العقيدة يستوى فيها العامة والخاصة ، بينما ترى الأشعرية عدم التصريح الا في مقام التعليم وكأنها عقيدة تخص الخاصة دون العامة ، وهو موقف يشبه موقف ابن رشد من حيث التفريق بين العامة والخاصة، في بعض الواجبات والاعتقادات – كما رأينا – الا أنه يختار لنفسه طريقة أخرى في هذه المسألة كما أشرنا ، وكما سيأتي بيان ذلك ان شاء الله ، هذا ما عنيناه بقولنا : ان موقفه شاذ وخطير . وأما أهل السنة والجماعة الذين اكتفوا بما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، الذين لا يتجاوزون الكتاب العزيز والسنة المطهرة فهم يعتقدون بأن الله يتكلم حقيقة كما يليق به بكيفية لا نعلمها اذ لا نحيط به علما « ولا يحيطون به علما » ، « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » وهم لا يخوضون في كيفية تكلمه كما لم يخوضوا في كيفية جميع صفاته وكيفية ذاته تعالى ، واذا كان إيمانهم بالله إيمان تسليم لا إيمان تكييف فيجب أن يكون ايمانهم بصفاته كذلك ايمان تسليم بما في ذلك صفة الكلام ، لأن الكلام في الصفات كالكلام في الذات والكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر يحذو حذوه فلا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ، أو تحريف .

أما القرآن فمن جملة كلام الله غير مخلوق كسائر كلامه ، وقد أخبرنا الله في الكتاب العزيز أن القرآن كلامه ، حيث يقول : « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » (١) وما من شك أن الكلام الذى سمعه ذلك المشرك المستأمن هو هذا القرآن الذى في المصحف المحفوظ في الصدور ، المكتوب في الألـــواح ، ولذلك نستشهد به قائلين قال الله تعالى : كذا وكذا . . وكلماته تعالى لا نفاد لها اذ يقول الرب جل من قائل : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » (٢) .

هذا هو اعتقاد أهل السنة في كلام الله وموقفهم من القرآن الكريم . وهم – كما لا يخفى على المنصف – خير هذه الأمة على الاطلاق بشهادة المصطفى الذى لا ينطق عن الهـــوى عليه الصلاة والسلام فهو يقول

١) سورة براءة
٢) سورة الكهف

عنهم : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » والخيرية تستلزم قطعا صلاح العقيدة وصحتها ضرورة ، بحكم أنهم شافهوا صاحب الرسالة محمدا عليه الصلاة والسلام وأخذوا عنه دينهم وعقيدتهم .

واذا كنا نؤمن بأنه عليه الصلاة والسلام بلغ رسالة ربه كاملة قبل أن يكتم شيئا منها في أصول الدين وفروعه ، ونؤمن ثانيا بأن الصحابة فهموا ما يلغهم الرسول عليه الصلاة والسلام فهما صحيحا وشاملا وتحملوا أمانة التبليغ لمن بعدهم فبلغوهم فعلا قبل أن يكتموا شيئا مما بُلِغُوا ، اذا كنا نؤمن ايمانا كهذا يلزمنا أن نعتقد أن كل خير في اتباعهم فيما كانوا عليه لأنهم على هدى وعلى صراط مستقيم ومخالفتهم تعد إحداث بدعة في الدين مع ادعاء ان الدين لم يتم بعد بل هو في حاجة الى زيادة او تعديل أو تحسين ، وكل ذلك تحدٍ سافرٌ لشهادة الله تعالى لنبيه وأتباعه أنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم نعمة الاسلام اذ يقول الله جل من قائل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » وقد نزلت هذه الشهادة من السماء في آخر حياته عليه الصلاة والسلام ، وكان نزولها في حجة الوداع على رووس الاشهاد في أعظم تجمع حصل في تاريخ الاسلام .

وكل الذى أقصده بهذا الاستطراد ، أن الصواب في هذه المسألة وغيرها من مسائل الدين بما في ذلك البحث الذى حول القرآن هو ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وكل ما خالف ما كانوا عليه فهو باطل ضرورة (ان الحق واحد لا يتعدد) هذه هى الطوائف الثلاثة في هذه المسألة ، ولا نعلم لها رابعة — فيما نعلم — ولكننا فوجئنا في أثناء دراستنا لكتب ابن رشد بقول غريب لم يسبق اليه ، وذلك في تعريفه للكلام — وقد ذكرناه فيما تقدم — وقد انتهى كلامه الى القول : بأن حروف القرآن التى في المصحف انما هى من صنعنا نحن باذن الله ، وانما وجب لها التعظيم لأنها دالة على المخلوق لله ، وعلى المعنى الذى ليس بمخلوق (١) .

مناقشة ابن رشد في رأيه

يمكن أن نوجز فلسفة ابن رشد في هذه المسألة في نقطتين اثنتين :

١ — تعريفه للكلام بأنه فعل يفعله المتكلم الى آخر كلامه . .

٢ — الادعاء بأن الحروف التى في المصحف صنفان ، صنف مصنوع لنا ، وصنف مخلوق لله وأن الصنف الذى من صنعنا يدل على اللفظ المخلوق وعلى المعنى غير المخلوق .

تعليقى على النقطة الأولى : بأنه كلام لا معنى له ، بل تأباه اللغة العربية ويأباه الواقع اذ لا يعرف

١) منهاج الادله لابن رشد

في اللغة العربية : أن الكلام هو الفعل ، فيقول النحاة عندما يعرفون الكلام : هو اللفظ المركب المفيد بالوضع وذلك يعنى أن الكلام هو ذلك الملفوظ المنطوق ، وفي الواقع أن الناس يفرقون بين الكلام والفعل طبعا ، واكتفى بهذا المقدار في هذه النقطة لوضوحها فيما أحسب .

وأما النقطة الثانية : فادعاء ابن رشد صنفين من الحروف للقرآن فكلام خال وفارغ عن المعنى في نظرنا ، وعلى أى حال فقد وقع ابن رشد في البدعة التى كان يشنعها على أهل الكلام ، ولم يقف مع ظاهر الشرع كما يدعو اليه وكما هو المتحتم على كل مسلم وبعد :

فكم كان جديرا بابن رشد أن يطبق القاعدة التى يذكرها دائما في بحثه وهى : « لا يحق للباحث في مسائل الدين أن يطبق الاعتبارات الانسانية على الأمور الالهية » ، ولكنه خالفها ولم يلتزم بها – وللأسف – والملاحظ ان ابن رشد قد خالف علماء الكلام في مواقفهم من صفات الله ، وأنكر عليهم تأويلهم وشدد الانكار عليهم وكان يرى أن تبقى نصوص الصفات على ظاهرها – كما يليق بالله – ويدعو الى ذلك بكل صراحة ، وهى دعوة حق طبعا ، ولكنه قلب ظهر المجن – كما يقولون – لهذه الطريقة في صفة الكـلام وانحاز الى الطريقة الأشعرية وهى القول بخلق القرآن مع اثبات الكلام النفسى بل زاد عليهم حيث ادعى أن للقرآن حرفين ، حرف مخلوق لله وحرف مصنوع للعباد دال على الحرف المخلوق ، وهو موقف – كما ترى – في غاية الغرابة ، بل انزلاقة خطيرة يخشى منها على ايمان صاحبها ، والله المستعان .

موقف ابن رشد من مثبتة الصـفات

جرت عادة معطلة الصفات الذين تعودوا أن يسلطوا ألوانا من التأويل على صفات الله تعالى ، إذا خالفت المعقول وأوهمت التشبيه – في زعمهم – جرت عادة هؤلاء بأن يلقبوا مثبتة الصفات بالألقاب التالية : –

أ – المشبهة .
ب – المجسمة .
ج – الحشوية .

وفي زعم هؤلاء أن الاثبات يستلزم التشبيه والتجسيم ، وهو زعم فاسد لا يعتمد على قاعدة علمية ونظر سليم ، وانما هو زعم يتوارثه أهل الكـلام بعضهم من بعض مبعثه إما الجهل ، أو هوى في النفس ، والا فان التشبيه أو التجسيم أمر زائد على الاثبات فلا يلزم من اثبات العلم لله مثلا – تشبيه الله بخلقه في علمه ، ضرورة أن علم الخالق ليس كعلم المخلوق ، لأن علم المخلوق علم يناسب حال المخلوق محدث مثله ، محـدود لا يحيط بالمعلومات ، ومعرض للنسيان والغفلة والذهول ، ثم انه غير باق ، ضرورة زوال الصفة بزوال الموصوف ، وهذه الأعراض التى ذكرناها لعلم المخلوق ينزه

عنها علم الخالق لأنه علم يليق به تعالى قديم قدم ذاته ، محيط بكل شئ لا يلحقه نسيان أو ذهول ، أو غفلة، وهو باق بقاء الذات العلية ، فاثبات صفات الله تعالى عند المثبتة على غرار قوله تعالى : « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » « ولم يكن له كفوا أحد » ، « ولا يحيطون به علما » ، « هل تعلم له سميا » . وماقيل في صفة العلم يقال في سائر الصفات الذاتية والفعلية ، هكذا يثبت لدى المصنف أن الاثبات شئ والتشبيه شئ آخر والله ولى التوفيق .

وقد استخدم أبو الوليد بعض تلك الألقاب التى تقدم ذكرها في حق المثبتة جريا على عادة القوم ، وكان المتوقع من أبي الوليد أن يقف موقف البصير المنصف فيضع الأمور في نصابها ، ويلحق الألقاب بأهلها ، فيقول لمن اثبت صفات الله كما يليق به انه مثبت ، ولمن أول وحرف أنه مؤول ، ولمن شبه صفات الله بصفات خلقه انه مشبه .

وقد اثبتنا – فيما سبق – أن المثبتة ليسوا بمشبهين ولا مجسمين ، بل طريقتهم وسط بين التشبيه والتعطيل ، كما وضحنا آنفا ، واذا كانت المشبهة قد غلت في اثبات صفات الله فأثبتوها معتقدين أنها صفات كصفات المخلوقين ، بدعوى أنهم لا يعقلون من صفات الله الا كما يعقلون صفات المخلوقين ، فقدرة الله عندهم كقدرة المخلوقين وارادته كارادتهم واستواؤه كاستوائهم ، كذلك محبته ورضاؤه ، وغلت المعطلة في التنزيه من الطـرف الآخر فنفت وعطلت صفات الله تعالى أو بعضها ، بدعوى التنزيه معتقدين ان اثبات الصفات يؤدى الى التشبيه فأهل السنة والجماعة فقد هداهم الله سواء السبيل ووفقهم فسلكوا مسلكا وسطا ، فاثبتوا ونزهوا – اثبتوا لله ما أثبت لنفسه أو اثبته له رسوله من صفات الكمال – وجميع صفاته كمال – اثباتا بلا تشبيه أو تمثيل في ضوء قوله تعالى : « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » .

وقد أثنى أبو الوليد على هذه الطريقة في غير ما موضع في بعض كتبه (١) ولكنه يراها أنها انما تناسب الجمهور فقط دون العلماء فانهم لا يقفون عندها ، بل عليهم أن يغوصوا في بحار الفلسفة ، فيكشفوا حقائق لا يدركها الجمهور ، مع التكتم (٢) الشديد وعدم التصريح بتلك الحقائق أمام الجمهور ، فلو التزم أبو الوليد طريقة معينة في اصدار الأحكام على الناس لسهل علينا أن نصغى الى أحكامه ثم نناقشه ، ولكنه صعب المنال وكثير التقلب . فبينما تراه يتحدث في باب الأسماء والصفات حديث سلفى مثبت للصفات واقف مع ظاهر الشريعة فاذا هو يخطب على منصة أهل الكلام فيؤول وينفر عن الاثبات ، ولو عرّجت على نادى الفلاسفة لوجدته في طليعة الحكماء الذين يعيشون في مخيم الغموض ويضربون في

---

١) منهاج الادلة لابن رشد

٢) وهي طريقه الباطنيه

بيداء الأوهام والخيال ، ولا تكاد تفقه كثيرا مما يقولون ، ولو مررت بمجموعة الفقهاء لرأيته في وسطهم يقارع الحجج بالحجج فيأصل ويفرع ، وربما دخل مجالس المحدثين ليتشبه بهم ، على حد قول القائل :

تشبهوا ان لم تكــونوا مثلهم فان التشبه بالــرجال فلاح

والصفة البارزة في ابن رشد انه يرى نفسه أنه محلق في سماء الفلسفة مع مجموعة الحكماء تاركا الجمهور في سذاجتهم — فيما يظن — .

ابن رشد يثبت المعاد بالأدلــة العقلية والنقلية

يقول أبو الوليد : (والمعاد مما اتفقت على وجوده الشرائع ، وقامت عليه البراهين عند العلماء ، وانما اختلفت الشرائع في صفة وجوده ، ولم تختلف في الحقيقة في وجوده) يشير ابن رشد الى أن المعاد لم يكن محل نزاع بين الشرائع السماوية ، أو لدى العقلاء والحكماء ، بل كان محل اتفاق في المجالين الشرعي والفلسفي — ان صح التعبير — وانما اختلفت الناس في أمرين في شأن المعاد :

١ — أهو روحاني فقط ، أو روحاني وجسماني معا ، ثم يسوق ابن رشد الدليل فيقول : (والاتفاق على هذه المسألة مبنى على اتفاق روحى في ذلك ، واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك) هكذا يصرح ابن رشد بان الأدلة النقلية المأخوذة من الشرائع السماوية ، والبراهين العقلية اتفقت على ان للانسان سعادتين اثنتين :

(١) دنيــوية (٢) أخروية ، ويحلل ابن رشد المسألة قائلا :

(وانبنى ذلك عند الجميع على أصول يعترف بها عند الكل منها :

أ — أن الانسان أشرف من كثير من الموجودات .

ب — اذا كان كل موجود يظهر من أمره أنه لم يخلق عبثا ، وأنه انما خلق لفعل مطلوب منه ، وهو ثمرة وجوده ، فالانسان أحرى بذلك ، وقد نبه الله تعالى على وجود هذا المعنى في جميع الموجودات في الكتاب العزيز فقال : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » وقال جل من قائل وهو يثنى على عباده الذين يدركون هذه الغاية المطــلوبة من الوجود (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .

ثم يقول أبو الوليد : ووجود الغاية في الانسان أظهر منها في جميع الموجودات ، وقد نبه الله تعالى عليها في غير ما آية في كتابه العزيز فقال (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) وقال : (أيحسب

الأنسان أن يترك سدى) ، وقال : (وما لى لا أعبد الذى فطرني واليه ترجعون (، وقال : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ، ثم يقول أبو الوليد : وهو يبين اتفاق الأدلة النقلية والعقلية على المعاد :

ولما كان الوحى قد أنذر في الشرائع كلها بأن النفس باقية ، وقامت البراهين عند العلماء على ذلك ، وكانت النفوس يلحقها بعد الموت أن تتعرى عن الشهوات الجسمانية فان كانت زكية تضاعف زكاؤها بتعريتها عن الشهوات ، وان كانت خبيثة زادتها المفارقة خبثا لأنها تتأذى بالرذائل التى كانت قد اكتسبت وتشتد حسرتها على ما فاتها من التزكية ، عند مفارقتها البدن ، لأنها لا يمكنها الاكتساب الا مع هذا البدن ، والى هذا المقام الاشارة بقوله تعالى : (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الخاسرين) هكذا يقرر أبو الوليد : أن المعاد مما جاءت به الشرائع ونادت به الأدلة النقلية والعقلية بيد أن الموضوع لم يسلم من الاختلاف فيه ، بل اختلفوا ، ويمكن أن توجز اختلافهم في الآتي : —

١ — هل ذلك الوجود الذى بعد المـوت هو هذا الوجود بعينه ، بمعنى أن ما في ذلك الوجود من النعيم واللذات متحد مع ما في هذا الوجود الذى قبل الموت ، وانما يختلفان في الانقطاع والدوام،أى أن ذلك دائم وهذا منقطع ؟ ؟ ! ! .

٢ — أن الوجود الجسماني الذى هناك مخالف لهذا الوجود ، وانما يتفقان في اسم الوجود الجسماني فقط ، مع اختلاف الحقائق مستدلين بقول ابن عباس فيما روى عنه :
(ليس في الدنيا مما في الآخرة الا الأسماء) . ويرى أبو الوليد أن هذا الرأى الثاني أليق بالخواص .

٣ — ترى طائفة من الفلاسفة : أن المعاد روحاني فقط وانما مثل به لارادة البيان ، والعجيب من أمر ابن رشد أنه يرى أصحاب هذا الرأى لهم حجج كثيرة في الشريعة الا أنه لم يذكر منها حجة واحدة مع دعوى الكثرة ، وابن رشد يختلف مع الامام الغزالى في هذه المسألة ، اذ يرى الغزالى وجوب القول بمعاد الأجسام ويحكم بالكفر على من أنكر ذلك وقال بمعاد الأرواح فقط ، وقد كفر الغزالى بعض الفلاسفة بهذا القول — كالكندى والفارابي وابن سينا إضافة إلى قولهم بأن الله يعلم الكليات فقط دون الجزيئات ، وقولهم بقدم العالم وأزليته .

هكذا يتبين أن ابن رشد متساهل ، بل متناقض في هذا الباب على خطورته بل ولم يقف عند التساهل والتناقض ، بل إنه يذهب بعيداً إذ يعد هذه المسألة مسألة اجتهادية اذ يقول :

(والحق في هذه المسألة أن فرض كل انسان فيها هو ما أدى اليه نظره فيها ، بعد الا يكون نظرا يفضى الى إبطال الأصل جملة ، وهو انكار الوجود جملة ، فان هذا النحو من الاعتقاد يوجب تكفير صاحبه لكون العلم بوجود هذه الحال للانسان معلوما للناس بالشرائع والعقول) .

خلاصة رأى ابن رشد في هذه المسألة أن الواجب هو الايمــان بالبعث بعد الموت وأن هناك معادا ، وأما كون المعاد يكون للأرواح أو للاجسام فليس بمهم عند ابن رشد بل لكل انسان أن يعتقد ما أدى اليه نظره واجتهاده .

والحق أن هذه المسألة من المسائل التى لم يوفق فيها ابن رشد بل أخطأ في دعوى أن المقام مقام اجحتهاد بل الصــواب أن المقام مقام نص ، ولا اجتهاد مع النص طبعا ، فنصوص الكتاب والسنة تصرخ دون خفاء وبأعلى صوت : بأن المعاد للاجسام والأرواح معا ، فلنستمع الى الآيات التالية وهى تستنكر على الانسان حين ينسى أو يتناسى بأن الله خلقه من نطفة ويستصعب متسائلا من يحي العظام وهى رميم ! ! ؟ .

« أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم — قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون » (١) والآية التالية وهى تصف يوم القيامة (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب . كما بدأنا أول خلق نعيده . وعدا علينا انا كنا فاعلين) (٢) والى قوله تعالى :(وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه . وله المثل الأعلى) .

واذا انتقلنا الى السنة نجدها تصرح بالمعاد الجسماني بما لا يترك مجالا للشك أو الجدل — من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (تبعث أمتى يوم القيامة غراً محجلين) وقوله : (يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً) .

دلالة الحديث الأول على البعث الجسماني واضحة جدا ، لأن الوصف بالغرة والتحجيل انما هو وصف للجسم والروح تابعة طبعا . !

وأما الحديث الثاني فلا تقل دلالته على المــراد من الحديث الأول ، لأن الأوصاف الأربعة كلها أوصاف لا تليق الا بالجسم كما لا يخفى والروح تدخل تبعا والله ولى التوفيق .

وبعد :

أعتقد أن الموضوع قد وضح ، وليس بحاجة الى تعداد أدلة أخرى غير ما تقدم من أدلة الكتاب والسنة ، والعقل لا يستبعد ذلك طبعا ، لأنه لم يستبعد المبدأ ولقد رأينا كيف ربطت بعض الآيات السابقة المعــاد بالمبدأ : (وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) .

---

١) سورة يس   ٢) سورة الانبياء

الخلاصـــة

١ – ثبت بالأدلة النقلية والعقلية أن المعـــاد جسماني .

٢ – ثبت أن المقام مقام نص لا مقام اجتهاد .

٣ – انكار المعاد الجسماني تكذيب لنصوص الكتاب والسنة وخروج على مقتضى العقل وتكذيب نصوص الكتاب والسنة الصريحة كفر لا ريب فيه . والله المستعان . .

القضـــاء والقدر عند ابن رشد

مما لا يختلف فيه اثنان أن الايمان بالقضاء والقدر جانب مهم جدا من جوانب العقيدة الاسلامية ، ولهذا الايمان أثره الواضح في سلوك المرء وتصرفاته وفي موقفه من الوقائع والاحداث التى تفاجئ الانسان في هذه الحياة ، ويجب أن يقوم هذا الايمان على المعنى الصحيح للقضاء والقدر ، ولا يوجد ذلك المعنى الصحيح الا في الوحى الالهي المتمثل في القـــرآن الكريم والسنة المطهرة ولا يجوز بوجه من الوجوه الاستعاضة عن هذا المصـــدر ولا اشراك غيره معه كمصدر أصيل .

معنى القدر والقضـــاء وأيهما أسبق

إختلف أهل العلم أيهما السابق على الآخر . القضاء أو القدر . .

والذى تطمئن اليه النفس وتؤيده الأدلة ، هو قول أبي حاتم الرازى وغيره من بعض أهل العلم وخلاصته : أن القدر هو التقدير ، وأن القضاء هو التفصيل ، ومن الشواهد التى ذكرها أبو حاتم على ما ذهب اليه قوله تعالى :

« قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » ومعناه الفراغ وقوله تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » أى فرغ منها ، والقضاء والقـــدر بمنزلة الثوب الذى يقدره الخياط فهو قبل أن يفصله يقدره . ويزيد . وينقص . ويوسع ويضيق ، واذا فصـــله فقد قضاه ، وفاته ولا يمكنه أن يزيد أو ينقص وذلك مثل القضاء والقدر والله أعلم ، وهناك تعريفات أخرى ، وقد يعكس بعضهم فيقدم القضاء على القدر والله أعلم .

وسواء كان هذا أو ذاك فان الله تعالى سبق علمه بكل مخلوق وكتب مقاديره . وأوجده وفق ما قدره له . وشاء ما يصدر عنه بعد وجوده من خير أو شر . ولا يخرج عن ذلك شيء لا أفعال الانسان ولا غيرها ، وكذلك ما يصيب الانسان من الحوادث . والكوارث والعبد بجملته مخلوق جسمه وروحه وصفاته . وأفعاله . وأحواله ، فهو مخلوق خلق على نشأة وصفة يتمكن بها من إحداث ارادته وأفعاله .

بتلك النشأة . بمشيئة الله وقدرته ، وتكوينه ، فهو الذى خلقه وكونه كذلك ، فتقع حركته بقدرة العبد المخلوقة . وارادته التى جعلها الله فيه . فالله سبحانه ، اذا اراد فعل العبد خلق له القدرة . والداعى الى فعله فيضاف الفعل الى قدرة العبد إضافة المسبب الى سببه ، ويضاف الى الله إضافة المخلوق الى الخالق ، فالمقدور واقع بقدرة العبد الحادثة وقوع المسبب بسببه ، والسبب ، والمسبب ، والفاعل ، والآلة ، أثر قدرة الله (١) تعالى فلا نعطل قدرة الله عن شمولها ، وكمالها ، وتناولها لكل ممكن ، وليس في الوجود شيء مستقل بالتأثير سوى مشيئة الله وقدرته ولا نعطل قدرة العبد التى خلقها له وجعلها صالحة لمباشرة الأفعال .

هذه طريقة أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، وهى التى كان عليها سلف هذه الأمة وهى وسط بين طريقة الجبرية . والقـــدرية كما ترى . وكما سيتضح قريبا ان شاء الله .

وهذه المسألة من أعوص المسائل الشرعية . كما يقول أبو الوليد ، لما يظهر من التعارض بين الأدلة ، مما أدى الى تفرق الناس إلى ثلاث فرق ، طرفين ووسط : —

الطرف الأول : الجبرية . . وعلى رأسهم جهم بن صفوان ، فقد ذهبت هذه الفرقة الى أن العبد مجبور على عمله من خير وشر ، وتنسب إليه الأعمال مجازا كما تنسب الى الجماد ، والانسان انما يخالف الجماد في المظهر فقط ، فكتب فلان (مثلا) وقرأ وقـــام وقعد ، مجاز ، كما يقال : ماج البحر وتحرك الجمل وأثمرت الشجرة ، والذى دفعهم الى هذا فرارهم من الوقوع فيما وقعت فيه القدرية من القول : إن العبد يخلق أفعاله ، كما سيأتي . إن شاء الله .

والجبرية نظرت الى العبد وهو منفعل فقالوا إنه مجبور غير مختار ، وفاتهم أنه منفعل وفاعل .

ما ينتج من هذا القـــول

يترتب على هذا المذهب إبطال التكليف والثواب والعقاب على الأعمال ، كما ينتج منه أن إرسال الرسل وإنزال الكتب عبث ، وهو مذهب باطل ومرفوض — كما ترى — عقلا وشرعا :

أما عقلا : فانه لا يستساغ أن يعطى العامل أجر عمل لم يعمله باختياره حقيقة ، وانما ينسب اليه مجازا ، هذا من حيث الثواب .

وأما العقاب فليس من العدل أن يعاقب العامل على خطيئة ارتكبها تحت الاجبـــار وبدون اختيار منه بل أتاه كَمُكْرَهٍ ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فيصبح إنزال الترغيب والترهيب في الكتاب والسنة وانذار الرسل كلاماً لا معنى له .

١) موافقة المعقول — لابن تيميه

هذا ما يترتب على قول الجبرية بايجاز .

الطرف الثاني : المعتزلة القــدرية :

هذه الفرقة ترى أن العبد يخلق أفعاله بقدرته مستقلا عن قدرة الله ويريد ويدبر بارادته الحرة قبل أن تتدخل ارادة الله تعالى : في إرادته أو مع إرادته .

وجهة نظــرهم

والذى حمل هؤلاء على هذا القول الخطير ، لما رأوا أن العبد يفعل ويترك باختياره الحر ، وأثبت له الشرع الثواب على الحسنات ، والعقاب على السيئات ثم لاحظوا الفرق بين حركة اليد العادية ، وحركة اليد المرتعشة ، حيث تكون الأولى اختيارية والثانية اضطرارية ، وما ندركه من الفرق بين حــركة الصاعد الى المنارة والساقط منها اذ تكون الأولى بقدرة العبد واختياره بينما لا قدرة له ولا ارادة في الأخرى .

لاحظ القوم هذه الملاحظات في أفعــال وحركات العبد ، ونظروا اليه فاعلا ، وغفلوا أنه فاعل ومنفعل فزعموا أن العبد هو الذى يخلق أفعاله بقدرته قبل أن تتدخل قدرة الله . تعالى الله عن شريك يشاركه في ربوبيته وخلقه،وفاتهم أن العبد بجسمه وروحه وارادته وقدرته مخلوق لله ، فالله تعالى هو الذى يخلق له القدرة على العمل وارادة العمل ويجعله فاعلا يفعل بالارادة المخلوقة والمحدودة والقدرة المحدثة حتى ينسب اليه العمل ويضاف اليه اضافة المسبب الى السبب في الوقت الذى يضاف عمله الى الله إضافة المخلوق الى الخالق .

ما أبعد هذا الطرف عن ذلك الطرف حيث العبد مجبور هناك وخالق هنا . وكلا الفريقين ضل الطريق وضاع الصواب بينهما ، وعثر عليه أهل السنة والجماعة بتوفيق الله تعالى وقد تقدم بيان مذهبهم .

كسب الأشعرى

حاول أبو الحسن الأشعرى أن يأتي بحل وسط بين الجبرية والقدرية الا أنه لم يوفق حيث جعل مناط التكليف: الكسب، والكسب هو العمل – كما يتبادر – بل هو ارادة تحصل عند الفعل ، وقعوا في هذا المضيق لئلا يقولوا : ان العبد هو الفاعل الحقيقى مستقلا كما هو مذهب القدرية ، أو يقولوا انه مجبور وليست له ارادة كما تقول الجبرية ، ولكنهم لم يأتوا بجديد بل طريقتهم هذه هى الجبر بعينها والخلاف بينهم وبين الجبرية خلاف لفظى وليس بجوهرى – كما ترى ، بل طريقتهم أكثر غموضا ، بل قد عد كسب الأشعرى من المحالات ومحالات الكلام ثلاثة – كما يقولون :

١ — كسب الأشعرى .
٢ — أحوال أبي هاشم .
٣ — طفرة النظــام .

أما كسب الأشعرى فقد تحدثنا عنه ، وملخصه : أن العبد ليس هو الفاعل حقيقة ولكن عند ارادته للفعل يخلق الله الفعل . نقدر أن نقول : انها جبرية متطورة أو متسترة .

أما أحوال أبي هاشم : المراد بها الصفات المعنوية التى انفراد باثباتها أبو هاشم دون سائر المعتزلة مع نفيه لصفات المعاني ، أى أنه ينفي العلم والقدرة والارادة الى آخر الصفات ثم يثبت كونه عالما وقادرا ومريدا ، وهذه (الكوكنة) هى الأحوال (١) .

واما طفرة النظام : فهى (انزلاقة) انفرد بها النظام المعتزلى دون سائر المعتزلة وهى القول بأن الله خلق هذه الموجودات دفعة واحدة على ما هى عليه الآن ، من نبات وحيوان وجبال وبحار ، ولم يتقدم خلق آدم على ذريته غير أن الله (أكمن) بعضها في بعض فالتقدم والتأخر انما يقع في ظهور هذه الموجودات في اماكنها ، دون حدوثها ووجودها .

وقد زعم النظام مازعم متأثرا بأصحاب الكمون والظهور ،من الفلاسفة وهى طفرة لم يسبقه اليها أحد قبله .

خلاصة رأى ابن رشــد

يقول ابن رشد — وهو يلخص بحثه الطويل في مسألة القضاء والقــدر — : (ولما كان ترتيب الأسباب ونظامها هو الذى يقتضى وجود الشئ في وقت ما ، في ذلك الوقت ، وجب أن يكون العلم بأسباب شئ ما هو العلم بوجود ذلك الشئ أو عدمه في وقت ما والعلم بالأسباب على الاطلاق هو العلم بما يوجد منها ، أو ما يعدم في وقت من أوقات جميع الزمان فسبحان الذى أحاط اختراعا وعلما بجميع أسباب الموجودات وهذه هى مفاتح الغيب في قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) — الآية .

واذا كان هذا كله كما وصفنا فقد تبين لك كيف لنا اكتساب ، وكيف جميع مكتسباتنا بقضاء وقدر سابق وهذا الجمع هو الذى قصده الشرع . بتلك الآيات العامة والأحاديث التى يظن بها التعارض وهى اذا خصصت عمومتها بهذا المعنى ، انتفى عنها التعارض وبهذا أيضا تنحل جميع الشكوك التى قيلت في ذلك أعنى الحجج المتعارضة العقلية أعنى أن كون الأشياء الموجودة عن ارادتنا يتم وجودها بالامرين

١) والتناقض واضح فى هــــذاالتصرف لانه ليس بمعقول ولا مفهومنفى الارادة مثلا مع اثبات كونــهتعالى مريداً .

معا أعني بارادتنا وبالأسباب التي من خارج فاذا نسبت الأفعال الى واحد من هذين على الاطلاق لحقت الشكوك المتقدمة .

وابن رشد – كما ترى – يدندن حول مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وهو معافي من داء الجبرية والقدرية . ومن كسب الأشعرى بل هو يثبت للعبد قدرة وارادة ، وفي الوقت نفسه يقرر أن الأشياء توجد بقضاء وقدر سابق ، بل يقــرر أنه لابد من اجتماع الامرين معا . القضاء والقدر ويسميهما « السبب الخارجي » وارادة العبد وهي السبب الداخلي وتوجد الأشياء باذن الله تعالى ، بتوفر الامرين معا .

وذلك يعني أن العبد يعمل بارادته وقدرته واختياره ، ولكنه هو وارادته وقدرته والآلة التي استعملها بل وعقله كل ذلك مخلوق لله « هل من خالق غير الله » فتضاف الأعمال الى العبد حقيقة اضافة المسبب الى السبب لأن العبد بارادته وقدرته هو سبب وجود تلك الأعمال ، وقد جعل الله لكل شئ سببا ، فهي تضاف الى الله اضافة المخلوق الى الخالق هذه هي طريقة أهل السنة والجماعة كما تقدم ، فليهنأ ابن رشد بهذا التوفيق في هذه المسألة العويصة كما وصفها هو نفسه في كتابه منهاج الأدلة في عقائد الملة ، وبعد هذا الملخص والتعليق عليه يحسن بنا أن نسرد بعض الآيات القرآنية التي أشار اليها ابن رشد لنرى كيف تتفق ولا تختلف وبالتوفيق بينهما تزول جميع الشكوك ان شاء الله ،

المجموعة الأولى من الآيات المشار اليها :

أ – « فمن شاء فليؤمن . ومن شاء فليكفر » ، « لمن شاء منكم أن يستقيم » ، « ثم توفي كل نفس ما كسبت » ، « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، « ذلك بما قدمت أيديكم » .

هذه المجموعة وما في معناها من نصوص الكتاب والسنة تفيد أن أفعال الانسان تقع بارادته ومشيئته ، واختياره .

ومما يؤيد هذا المعنى أن المجنون لا يسأل عن أفعاله باجماع لأنها لم تقع منه بارادته أو بارادة معتبرة .

ب – المجموعة الثانية : « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » ، « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم » ، « والله خلقكم وما تعملون » .

تفيد هذه المجموعة وما شاكلها من نصوص الوحى أن الانسان وان كان فاعلا لأفعاله حقيقة لا مجازا وله ارادة ومشيئة ولكن ارادته ومشيئته مخلوقتان لله ، وهما سببان فقط لايجاد فعل الانسان ، والله خلق السبب والمسبب معا ، وكون الانسان يفعل بارادته ، لا يخرج فعله من عموم مخلوقات الله فالسفية يصنعها الانسان بيده ولكن الله خالقه وخالق يده وارادته وكذلك البيوت والجلود المذكورات في المجموعة الثانية والله ولى التوفيق . .

هكذا تتفق الآيات التى ظاهرها التعارض ولا تعارض في واقع الأمر اذ دلت المجموعة الأولى أن للانسان تدخلا في أعماله بحيث يثاب على الحسنة ويعاقب على السيئة ، فتضاف اليه أعماله حقيقة .

ودلت المجموعة الثانية أن الانسان وأعماله مخلوقات لله تعالى وهو الخالق وحده سبحانه .

سر القـــدر

فطالما خضنا في هذا المبحث الخطير فلابد أن نقول شيئا في محاولة الاجابة على سؤال خطير يتردد في الاذهان وربما ظهر على بعض الألسنة أحيانا والسؤال يتكون من فقرتين ، ونص السؤال هكذا :

اذا شاء الله من الانسان المعصية ولم يشأ منه الطاعة فلم يحاسبه على ما لم يشأ منه ؟

ولم لم يشأ منه الطاعة كما شاءها من غيره ؟

الجوب على الفقرة لأولى من السؤال : سبق أن تحدثنا أن في الأصول القطعية عند أهل السنة : أن الهداية والضلال . والطاعة والمعصية بمشيئة الله وأن الانسان سبب في وقوعها . ومسئوليته عن أفعاله أصل قطعي آخر من هذه الزاوية ، فالقاعدة التى يتفق عليها العقلاء أن القطعيات لا تتناقص في نفسها ، وان بدت لنا متناقضة لقصور ادراكنا .

فحسبنا أن نقف عند هذه القطعيات ونؤمن بها جميعا . ولا نرد منها شيئا ولو لم نحط بها علما ، لأن مسألة القضاء والقدر لها تعلق بصفات الله تعالى : كعلمه وحكمته وارادته ، وحيث اننا نعجز عن الاحاطة بصفات الله تعالى فكذلك نعجز عن الاحاطة بسر القدر ، وسر القدر هو أن الله تعالى أضل وهدى وأسعد وأشقى ، وأمات وأحيا غير ذلك كل ذلك لحكمة يعلمها ولا نعلمها ، ها هنا السر ! ! !

وهو العليم الحكيم ، فسحان لذى أحاط كل شئ علما ، وأحصى كل شئ عددا .

ولا يضير المـــرء في ايمانه عجزه عن الاحاطة بسر القدر لأن ذلك ليس بمستطاع ولا يكلف الله نفسا الا وسعها، ولكن الذى يضيره أن يبنى على عجزه أحكاما ويتصرف على غير هدى. من ذلك رد بعض الأصول القطعية في القدر ، وضرب النصوص بعضها ببعض .

وللجواب على الفقرة الثانية في السؤال نورد قول علىّ رضى الله عنه (القدر سر الله فلا نكشفه) ومن سر القدر عجزنا عن جواب : « لم شاء الله الطاعة من زيد ووفقه بينما لم يشأ من عمرو ولم يوفقه » ؟ بل الجواب الذى ليس بعده جواب قوله تعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » . ومما لا نزاع فيه بين العقلاء ان المالك له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ، ولا يلزم ليكون تصرفه سليما أن يدرك غيره الحكمة الباعثة والعلة في تصرفاته وليس لأحد حق الاعتراض عليه في تصرفه ، اذا لم يعلم السر في أفعاله .

فلو رأينا صاحب بستان يحتوى بستانه على أنواع من الأشجار لو رأيناه يقطع هذه الشجرة ويترك تلك ويهذب هذه وينظمها ويهمل تلك دون تهذيب أواصلاح فهل لأحد حق الاعتراض على هذه الأعمال المختلفة ؟ فالجواب لا طبعا . لأننا لا ندرى ما هو الباعث له على مافعل أو ترك ، هذا هو معنى قول علىّ رضى الله عنه (القدر سر الله فلا نكشفه) أى فلا نحاول كشفه لندرك حقيقة ذلك السر المكتوم لأنه تكلف بلا نتيجة ومن حاول ادراك غير المستطاع نتيجة محاولته :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

من ثمرات الايمان بالقدر

صاحب الايمان الصحيح بالقدر يباشر الأسباب المباحة بيده ، ويبذل معه في الأخذ بالاسباب ولا يعجز ولا يتواكل ولكنه يعتمد على الله وحده في نجاح تلك الأسباب المبذولة لا على الأسباب ذاتها ، ولقد كان كذلك سيد المرسلين وامام المتوكلين محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد اختفى عليه الصلاة والسلام في الغار يوم الهجرة ، وهذا منه عليه الصلاة والسلام يعتبر تعليما للأمة في الأخذ بالأسباب ومباشرتها وقد فعل ذلك في سبيل التخلص من شر المشركين ولكنه لم يكن اعتماده في الخلاص على السبب نفسه ، وانما كان اعتماده على الله العلى القدير ، قال تعالى : (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وذلك يعني أن ثقته كانت في الله واطمئنانه وسكينته بسبب تلك المعية الخاصة ، الا أنه لم يهمل السبب بناء على الثقة والاعتماد الصادق على الله ، وقد رأيناه عليه الصلاة والسلام مرة أخرى في معركة (بدر) يباشر السبب — اذ رأيناه ينظم الجيش كسبب مادى لابد من مباشرته ، ثم يرجع الى العريش الذى ضرب له في أرض المعركة فيدعو الله ويلح في الدعاء ويكثر فيطلب النصر من الله . وكان عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه على البيع والشراء ، وكان من أصحابه المزارعون والتجار الذين يزاولون البيع والشراء .

هذا هو المفهوم الصحيح للتوكل . وهو ثمرة من ثمرات الايمان الصحيح بالقدر (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون) . .

خاتمة

تم بتوفيق الله وعونه اعداد هذه العجالة التى تحدثنا فيها عن موقف الفيلسوف ابن رشد من العقل والنقل ورأينا في هذا البحث معالجة ابن رشد التوفيق بين الشريعة والحكمة ومناقشته الحادة لعلماء الكلام في التأويل الذى يسلطه أهل الكلام على نصوص الصفات ليتبعوا ما تشابه من النصوص ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ولقد بينا في هذه العجالة ضرورة توحيد المصدر للعقيدة الاسلامية

وذلك المصـــدر هو الوحى الآلهى ، فقط قبل أن يشاركه أى مصدر آخر لا الفلسفة ولا علم الكلام ولا القياس بأنواعه .

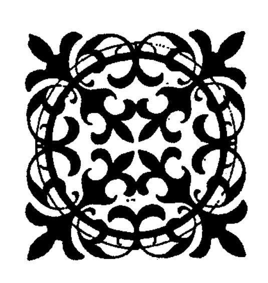
وبعد هذا كله من الحماقة بمكان أن يقال :

بأن الشرع لم يفصل أمور العقيدة ، فالرجوع الى الفلسفة أمر ضرورى لمعرفة التفصيل ، وهو قول عار عن الحقيقة بل هو تمويه على السذج من الناس لأن أمور العقيدة كمـــا أوضحنا في صلب البحث من أهم مطالب الدين بعثت بها الرسل وأنزلت من أجلها الكتب .

ومن المستحيل عقلا أن يهمل الشارع بيان هذا المطلب الذى هو أهم المطالب على الاطلاق دون بيان شاف بالتفصيل اللازم فيحيل الناس على مصدر آخر في معرفته، في الوقت الذى بين فيه فروع الشريعة وأوضح سننها وآدابها ولقد رأينا كيف بين الوضوء ونواقضه وكيفية التيمم وغير ذلك من الفروع .

ومن تتبع آيات القرآن وتدبرها واطلع على المقـــدار الكافي منأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام مع دراسته ما كان يفهمه الرعيل الأول من النصوص ، يدرك تماما ودون شك أن بيان العقيدة قد وقع بيانا يغنى أهله عن الحاجة الى سفسطة أهل الكلام وخوض الفلاسفة .

والحمد لله رب العالمين . .



حوار مع المحيط الهادى

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن أحمد قادرى عميد كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

أقلعت بنا الطائرة الأمريكية الضخمة ذات الطابقين التى تحمل أكثر من ثلثمائة راكب من مطار لوس أنجلس الى طوكيو في الساعة العاشرة الا ربعا صباحا ومعروف أن المسافة التى تقطعها الطائرة بين لوس أنجلس وساليابان كلها فوق المحيط الهـادى ، وكنت في اشتياق للتأمل في هذا المحيط الضخم الذى رأيته في الخريطة يأخذ مسافة واسعة من الكرة الأرضية لذلك صممنا أن يكون سفرنا بالنهار واشترطنا على شركة الخطوط أن نكون بجانب احدى النوافذ انها فرصة لزيادة الايمان بخالق الكون ، كانت الطائرة تنهب الجو نهبا فتسابق الزمن لأننا نسير الى الغرب والشمس لا زالت في أول نهارها وكلما تقدمنا الى الغرب كلما كنا مبكرين وأخذت أنظر الى المحيط لأرى أمواجه الهـادرة وهى تتقلب كصفحات كتاب واذا السحاب يغطيه كله فلم أر شيئا منه فقلت في نفسى نحن قمنا من نومنا في لوس أنجلس مبكرين ، لأننا مسافرون والوقت هنا لا زال مبكرا فلعل المحيط لا يزال يغط في نومه ولذلك بقى مغطى بهذا السحاب المتراكم .

أنا زائر وزيارتي نادرة ، ولو علم بزيارتي ومن أين جئت لما تردد في طرد النوم عنه وابعاد الغطاء عن وجهه ، ولعل في الشعر ما يوقظه بطرب وليس بازعاج فأخذت في مخاطبة السحاب حتى انقشع وكان لى ما أردت :

وغـدا السحاب مسجيا لمحيطـه	وكـأنه في نـومه يتقلب
طـاب المنـام له لطيب اقامته	والقـادرى مسافر متأهـب
لكنه متمـتع بجمـال مـا	يونـو اليه ، لـربه متأوب
يـزداد في الكون الفسيح تـأملا	ويزيـد إيمانا ، فأنّي يتعب ؟
يا سحب مالك تحجبين مزمجـراً	وهو الشجـاع أمثله يتحجب ؟
وغنـاه يمنع بخله ، بـل انـه	يعطى النفيس لكل من يتطلب ؟
وأنا الغـنى بخالقى لا أبتـغى	من غـيره شيئا يبـاع ويوهب

بل زائــر ملكوته ، متــزود | منه اليقين اذا أؤب وأذهــب
والله ربّ العــالمين الهــنا | فأمط لثامك ، أين منه المهرب ؟
قام المحيط مهــلّلا ومكــبّرا | ويقول من هذا الذى يترقب ؟
فأجبته اني لصــنو قــادم | من طيبة حيث الحبيب الأطيب
أصــغى وأطرق ساكنا وكأنما | دخل الصــلاة مكبرا يتعجب
أو من مدينة خير من وطئ الثرا | حقا أتيت الى مــرابع خيب ؟
فأجبته بهــدى النبي أتيتــكم | والى الــه محمــد أتقرّب
ولسوف تشرق شمسنا بسمائكم | يوما ، وليست بعد ذلك تغرب
حتى تسجر مثل غيرك فانتظــر | سفن الجهــاد تدك من يتحزّب
فتعانقت أمــواجه لقــدومنا | وغدت تسبّح ربها وترحــب

(عبد الله قادرى)

عميد كلية اللغة العربية

بالجامعة الاسلامية — بالمدينة المنورة



١) يشير الشاعر الى قوله تعالى« واذا البحار سجرت » حيث توقدنارا يوم القيامة او تمتلىء والله أعلم ..
المجلة


بحوث
إسلامية





لزوم التزام المسلم بأحكام الشريعة الإسلامية

بقلم فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد نائب رئيس الجامعة الإسلامية

الحمد لله الذى ارتضى الاسلام دينا لهذه الأمة فأكمله لها واتم عليها به النعمة وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه الى يوم الدين ، أما بعد :

فموضوع حديثى : لووم التزام المسلم بأحكام الشريعة الاسلامية وسيدور الكلام فيه باختصـــار حول النقاط التالية :

١ـ من هو المسلم ؟ ٢ـ الشريعة الاسلامية وما بنيت عليه ٣ـ كمال الشريعة الاسلامية وشمولها وخلودها ٤ ـ التزام المسلم بأحكام الشريعة الاسلامية لازم لابد منه ٥ـ النتائج الطيبة للالتزام بالشريعة الاسلامية والآثار السيئة في اتخلى عن ذلك . .

من هو المسلم ؟

المسلم اسم فاعل من اسلم بمعنى أذعن وانقاد لربه وخالقه سبحانه وتعالى والاسلام بهذا المعنى شامل خضوع جميع المخلوقات له سبحانه كما يندرج تحته رسالات رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يقول الله تعالى « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » . . ويقول سبحانه : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل

واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » ، ويقول سبحانه : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » . .

ويقول سبحانه عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين

فجميع شرائع الله كلها تلتقي في اخلاص العبادة لله والخضوع له والاستسلام لشرعه والالتزام بأمره ونهيه وان تنوعت الشرائع وتعددت المناهج كما ورد في الحديث : نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد . .

وبعد بعثة رسوله الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم أصبح الإسلام علما على شريعته وعنوانا لأهل ملته ولا يسع أحدا من الجن والإنس الخروج عن دين الإسلام الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول الله سبحانه وتعالى : ان الدين عند ال الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعني وقل للذين اوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فان عليك البلاغ والله بصير بالعباد ، ويقول سبحانه : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو ي الآخرة من الخاسرين ، ويقول سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » ويقول سبحانه : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صد ه للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » ، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام في حديث جبريل المشهور بقوله : (الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا) ، وأخبر صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن الاسلام بنى على خمس شهادة ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) وفسر صلى الله عليه وسلم الايمان في حديث جبريل بقوله : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، والاسلام والايمان لفظان اذا جمع بينهما في الذكر عنى بالاسلام الأعمال

الظاهرة وبالايمان الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل هذا فاذا ذكر كل واحد منهما منفردا عن الآخر عنى به الأعمال الظاهرة والباطنة معا :

اذا فالاسلام عقيدة وعمل، دين ودولة، ومنهج حياة في جميع المجالات، وقد عرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الاسلام بأنه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك :

فالمسلم حقا هو الذى وفق للدخول في الاسلام أو النشأة عليه والتزم به قولا وعملا واعتقادا حتى أتاه اليقين :

الشريعة الاسلامية وما بنيت عليه :

الشريعة الاسلامية هى الوحى الذى أوحاه الله الى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ليخرج به الناس من الظلمـــات الى النور وهى كتاب الله الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المفسرة للقرآن والمبينة له والدالة عليه والكتاب والسنة متلازمان تلازم شهادة لا اله الا الله وشهادة أن محمدا رسول الله وقد بُنِيَتْ الشريعة الاسلامية على أصلين عظيمين وقاعدتين أساسيتين احداهما أن لا يعبد الا الله وحده لا شريك له ولا يعبد معه غيره كائنا من كان لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهما كما قال الله تعـــالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقال قل ان صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

الثانية : أن لا يعبد الله الا بما شرع الله في كتابه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه وتعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » . قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية : « فليعمل عملا صالحا » أى ما كان موافقا لشرع الله « ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » وهو الذى يراد به وجه الله وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبل لابد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضى الله عنها من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي لفظ مسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ، أى مردود على صاحبه

اذ فلابد في العمل المقبول أن يكون خالصا لله وعلى وفق ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم .

كمال الشريعة الاسلامية وشمولها وخلودها :

لقد جمع الله للشريعة الاسلامية التي بعث بها رسوله وخليله محمدا صلى الله عليه وسلم هذه الصفات صفة الكمال وصفة الشمول وصفة الخلود والبقاء .

أما صفة الكمال الخالية من أى نقص ومن الحاجة الى اى زيادة فقد اثبتها سبحانه لشريعة الاسلام بقوله سبحانه : « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : هذه من اكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث اكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره ولا الى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه الى الانس والجن فلا حلال الا ما أحله ولا حرام الا ما حرمه ولا دين الا ما شرعه وكل شئ أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أى صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر والنواهي فلما اكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » أى فارضوه أنتم لأنفسكم فانه الدين الذى أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه .

وأما صفه الشمول والخلود فانه ما من شئ يقرب الى الله الا دل الرسول صلى الله عليه وسلم أمته عليه وما من شر الا حـذرها منه وقد اخرج مسلم في صحيحه عن سلمان الفارسي رضى الله عنه أنه قيل له : قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة قال فقال : أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو عظم ، وهى صالحة لكـل زمان ومكان وعامة للجن والأنس ليست لقوم دون قوم كما قال صلى الله عليه وسلم في بيان خصائصه : وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار » رواه الامام مسلم في صحيحه ، وقال

صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي ، قال ذلك لما رأى مع أحد اصحابه أوراقا من التوراة ينظر فيها . واذا نزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان من السماء فانه يحكم بشريعة الاسلام التي هي خاتمة الشرائع .

وقد قال الامام ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة « هود » ثم قال متوعدا لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » أي ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركهم وكافرهم وأهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن كما قال تعالى : « لأنذركم به ومن بلغ » وقال تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا » وقال تعالى : « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » ، وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى أو نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار » ، وقال أيوب السختياني عن سعيد بن جبير قال كنت لا أسمع بحديث النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه أو قال تصديقه في القرآن فبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصراني فلا يؤمن بي الا دخل النار » فجعلت أقول : أين مصداقه في كتاب الله قال وكلما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت له تصديقا في القرآن حتى وجدت هذه الآية : « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » قال : « من الملل كلها » . .

التزام المسلم بأحكام الشريعة الاسلامية لازم لابد منه :

وهذه الشريعة الكاملة الشاملة الخالدة إلتزم المسلم بأحكامها لازم لابد منه ولا خيار للمسلم فيه وحاجة المسلم الى السير طبقا لتعاليم الشريعة الاسلامية فوق كل حاجة وضرورته الى ذلك فوق كل ضرورة ليفوز برضى الله عز وجل وينجو من سخطه وأليم عقابه يقول الله سبحانه وتعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » . ويقول سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ، ويقول سبحانه : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ، ويقول سبحانه : « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه

أولياء قليلا ما تذكرون » ، ويقول سبحانه : « فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ان الله بما تعملون بصير » ويقول سبحانه : « فاستمسك بالذى أوحى إليك انك على صراط مستقيم » ، ويقول سبحانه : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ، ويقول سبحانه : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفرلكمذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعور الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » ، ويقول سبحانه : « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » ، ويقول سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » ؛ ويقول سبحانه : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

ويقول سبحانه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، ويقول : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، ويقول سبحانه « وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصـدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعـكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم انما يريـد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ، ويقول سبحانه : « أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنـزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .

النتائج الطيبة للالتزام بالشريعة الاسلامية والآثار السيئة في التخلى عن ذلك :

ان التزام المسلمين بأحكام شرعهم الحنيف ودينهم القويم هو أساس فلاحهم وعنوان سعادتهم وسبب عزهم ونصرهم على أعدائهم وهو مصـدر أمنهم واستقرارهم .

ومتى كانت حالهم بعكس ذلك حصل لهم الخسران والهلاك والذل والهــوان وقد أقسم الله بالعصر على خسارة كل انسان الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مليئان بالنصوص التى توضح هذه الحقيقة وما سجله التاريخ من حصول العزة لمن أطاعه والذلة لمن عصاه يصدق ذلك والواقع المشاهد المعاين أصدق برهان .

قال تعالى : « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » وقال تعالى :

« والذين جاهــدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وقال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصــلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعــروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ، وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفــوز العظيم » ، وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » ، وقال سبحانه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون واقيموا الصــلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » .

هكذا قال الله في حق من أطاعه واتقاه والتزم شرعه وهــداه ولنستمع لما قاله في حق من زهد بالحق واستبدل الأدني بالذى هو خير فأعرض عن ذكر الله . يقول الله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » ويقول سبحانه : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « كل أمتى يدخلون الجنة

الا من أبي قيل يا رسول الله ومن يأبي فقال : من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي » .

وقد حوى التاريخ في طياته اخبار انتصار المسلمين الصادقين على اعدائهم وتغلبهم عليهم ليس لكثرة عددهم وعددهم وانما هو بسبب قوة ايمانهم وتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم مع أخذهم بالأسباب التى أمرهم الله بها بقوله : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، فظفروا بنصر الله لأنهم نصروه وجاهدوا في سبيله لتكون كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى فكان لهم ما أرادوا نصرا في الدنيا وسعادة في الآخرة وصدق الله اذ يفقول : « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، ويقول : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

واذا اراد العاقل في هذا العصر الذى نعيش فيه معرفة الشاهد من الواقع على صدق هذه الحقيقة وهى أن المسلمين ينتصرون بسبب التزامهم شريعة الاسلام التى اختارها الله لهم وينهزمون عند زهدهم فيها وبعدهم عن الأخذ بتعاليمها لم يجد شاهدا أوضح من نتائج الحرب بين العرب واليهود التى تجلت فيها هذه الحقيقة بوضوح ذلك أن العرب الذين أعزهم الله بالاسلام لما لم يلتزموا في هذا العصر الا من شاء الله منهم بشرع الله ولم يحكموا الوحى الذى نزل به جبريل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واختاروا لأنفسهم التحاكم الى قوانين وضعية ما أنزل الله بها من سلطان لما لم يلتزموا بهذه الشريعة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان ظفروا بالخذلان وصارت لهم الذلة أمام من كتب الله عليهم الذلة وأى ذل وهوان أشد من هذا الذل والهوان وسيسجل التاريخ ذلك للذين يأتون من بعد كما سجل ما جرى من خير وشر للذين مضوا من قبل ، ولن يقوم للمسلمين قائمة الا اذا رجعوا الى الاعتصام بالله والالتزام بشريعة الله .

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفق المسلمين جميعا في كل مكان الى مافيه عزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة انه سميع مجيب .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه نبينا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين .

نظام الأسرة في الإسلام

إعداد محمد أمان بن علي الجامي عميد كلية الحديث بالجامعة الإسلامية

الحمد لله وصلاة الله وسلامه وبركاته على رسول الله وعلى آله وأصحبه ومن والاه

وبعد تلقت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة دعوة كريمة من المجلس الأعلى لمسلمي كينيا بنيروبي للمشاركة في هذه الندوة الدينية المباركة – ان شاء الله . .

فبادرت الجامعة فلبت الدعوة ، ثم طلبت الى الأشتراك في الندوة ممثلا لها ببحث أقدمه فيها .

فلبيت الطلب طبعا لأنه طلب لا يرد مثله . لأن في تلبية مثل هذا الطلب مساهمة في ميدان من ميادين الدعوة الى الله ، والدعوة الى الله من أهم أهداف الجامعة الاسلامية ، ومن أجلها أنشئت . .

فها أنا ذا أتقدم بهذا البحث المتواضع (١) تحت عنوان :

« نظام الاسرة في الاسلام »

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم انه خير مسئول وأكرم معط ، فأقول مستعينا بالله وحده . .

ان للدعوة الاسلامية مجالات متعددة . وأساليب مختلفة ، ومن أساليبها اقامة الندوات والمؤتمرات التي يلتقى فيها رجال الفكر الاسلامي وفقهاء المسلمين ليعالجوا فيها مشكلات الوقت ، ويردوا الشبهات التي تثار حول الاسلام وعقيدة المسلمين .

ويبينوا للناس أحكام الدين الاسلامي في جميع مجالات الحياة لمن يحتاجون الى البيان – وما أكثر من يحتاجون – ليكون الناس على بينة من أمور دينهم ودنياهم ويكون ذلك على

(١) ألقيت هذه المحاضرة في مدينة (كوسومو) في كينيا في (الندوة الدينية) التي أقامها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في كينيا .

ضوء الكتاب والسنة ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ولا سبيل للخروج من ظلمات الجهل والجاهلية الا بفقه الكتاب والسنة ، وتلك وظيفة رسل الله عليهم الصلاة والسلام من أولهم نوح عليه السلام الى خاتمهم وامامهم محمد عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام .

فيقول الله تعالى مخاطبا لنبيه الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ومبينا لوظيفته ووظيفة أتباعه « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » . .

في هذه الآى الثلاث من سورة الأحزاب بيان لوظيفة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام . ووظيفة أتباعه .

وهى الدعوة الى الله باذنه وأمره وعلى بصيرة وعلم « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » . .

وتكليف الله نبيه بهذه الدعوة العامة التى لا تخص قومه دون غيرهم — كما هو شأن دعوة الرسل من قبله — بل هى للناس كافة « وما أرسلناك الا كافة للناس » .

وهذا التكليف له ولأتباعه يثبت له ثم لأتباعه أن يكونوا شهداء على الناس جميعا .

وهذا يعنى أن الرسالة المحمدية هى المهيمنة على جميع الأديان السابقة فدينه هو النظام الأخير الذى لا يسع أحدا من البشر الا اتباعه ولا تجوز مخالفته .

وهو نظام رباني كامل ، لأن الله الذى خلق هذا الكائن الممتاز « الانسان » لا يليق بحكمته أن يتركه هملا دون أمر أو نهى أو توجيه ، بل يسلمه للفوضى ليتخبط خبط عشواء ، يحلل ويحرم كما يهوى أو يشاء أو يعبد ما يريد كلا ، بل نظم له حياته وعلاقاته المتنوعة وأرسل رسله لهذا الغرض ذاته . وأنزل عليهم كتبه، وخاتم رُسِلهِ محمدٌ عليه الصلاة والسلام اذ لا نبي بعده وآخرُ كتبه القرآنُ الكريمُ اذ لا كتاب بعده وبيانٌ ذلك الكتاب وتفسيره في السنة المطهرة « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وبهذا كله نظم الاسلام علاقة العبد بربه وخالقه بحيث يصبح عبدا له وحده يعبده دون غيره . . يعبده بعبادة منظمة مضبوطة بضوابت الشرع تولى القرآن تنظيمها جملة أو تفصيلا ، وشرحتها السنة المطهرة وزادتها بيانا وتوضيحا ، على اختلاف درجاتها وشعبها الكثيرة اذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« الايمان بضع وستون شعبة ، أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان » .

وهذه الشعب كلها عبادات وطاعات ، على تفاوتها .

وجميع العبادات يجب أن تكون مقيدة بشريعة الله التي تؤخذ رأسا من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وخاضعة لأحكامه،وسلوكُ العبْدِ هذا المسلكَ في جميع عباداته ومعاملاته وجميع تصرفاته هو الذى نعنيه بالعلاقة بين العبد وربه وهى العبودية الخالصة،وحقيقتها الا يفقد الربُ عبدَهُ،حيث أمره ولا يَجِدَهُ، حيث نَهاهُ،وان هفى أحيانا وخالف أمر ربه بادر بالتوبة والرجوع الى الصواب ، ليمحو أثر مخالفته وعصيانه بالتوبة والانابة لأن التوبة تجب ما قبلها ، « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

هكذا نظم الاسلام – بالاختصار – علاقة العبد بربه وخالقه . فكما نظم هذه العلاقة على الوجه الذى ذكرنا ، كذلك اهتم الاسلام بتنظيم الاسرة .

وقد حث الاسلام على انشاء مؤسسة الاسرة بتشريعه الزواج وحثه عليه مبينا أن الزواج سكونٌ للنفس للطرفين وهدوءٌ لهما وراحة للجسد . وطمأنينة للروح وامتدادٌ للحياة الى آخر مطافها .

فلنستمع الآن الى بعض الآيات القرآنية في هذه المعاني اذ يقول الله تعالى : وهو يحث عباده على الزواج : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . . ويقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وحيث يقول : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » يقول :

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم . . وقدموا لأنفسكم واتقوا الله » .

هكذا يتحدث القرآن عن مؤسسة الأسرة في عديد من الآيات ، وبأساليب مختلفة كما رأينا وكما نسمع مرة أخرى آية سورة النساء التي تبين أن طرفي هذه المؤسسة خلقا من نفس واحدة وكأنهما شطران لنفس واحدة فلا فضل لأحد الشطرين على الآخر في أصل الخلقة ومن حيث العنصر وانما يحصل التفاضل بينهما بأمور خارجية ومقومات أخرى غير ذاتية وصفات مكتسبة اذ يقول الله تعالى في هذا المعنى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . . وخلق منها زوجها . . وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » هكذا يحث الاسلام على انشاء الأسرة لتكزن امتدادا للحياة وراحة للطرفين .

أهداف الزواج في الاســلام

التشريع الاسلامى تشريع حكيم ، وله هدف ومغزى . .

فالله تعالى من أسمائه الحكيم لذا يجب أن نعتقد جازمين أنه تعالى حكيم في تشريعه كما هو حكيم في خلقه وصنعه .

فحكم تشريع الوواج تكمن في الأمور التالية : —

أ — غض البصر من الطرفين ، وقد اهتم الاسلام في قرآنه وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر يقول الله تعالى : وهو يأمر الرجال والنساء معا بغض البصر : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن » . .

والتساهل في مسألة غض البصر يؤدى الى الانزلاق الخلقى كما هو مشاهد في أكثر مدننا وعواصمنا الاسلامية — وللأسف الشديد . .

ب — حفظ الفرج وقد تناولت الآيات التى تقدم ذكرها قريبا الأمر بحفظ الفرج مع الأمر بغض البصر ، ولعل الأول ينتج الثاني بمعنى أن غض البصر ينتج حفظ الفرج في الغالب الكثير لأن من تمكنت منه مراقبة الله تعالى فلازم غض بصره خوفا من الله وحياء منه سوف يحفظ فرجه عما حرمه الله عليه ولا يقع في الفاحشة .

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام قوله : (العينان تزنيان وزناهما النظر والأذنان تزنيان وزناهما السماع) . . الى ان قال : « الفرج يصدق ذلك أو يكذبه » . .

ج — الحصول على النسل الذى هو لبنة في بناء المجتمع وسبب إكثار أتباع خاتم الأنبياء والمرسلين .

ويزيد الأمر وضوحا الحديث الذى رواه البخارى في صحيحه عن عبد الله بن مسعود والذى يخاطب فيه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام شباب المسلمين بذلك الأسلوب

الرقيق ليرشدهم الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم اذ يقول عليه الصلاة والسلام :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر واحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصـــوم فانه له رجاء » ، وعند البيهقى من حديث أبي امامة « تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم » .

وقد تقدمت بعض المعاني التى يمكن أن تعد من أهداف الزواج كالهدوء وراحة النفس مثلا .

وقد يخطئ الذين يظنون أن الغرض من الزواج هو الحصول على اللذة والمتعة كيفما تيسرت ، وليس وراء ذلك غرض آخر ، وهذا التصور الخاطئ قد أوقع كثيرا من الشباب في مهالك خطيرة وسقوط في الخلق والانحطاط ، مما جعل حياة عديد منهم في كثير من البلدان شبيهة بحياة الحيوانات التى ليس عليها قلم التكليف بل هم أضل سبيلا واسوأ حالا .

من يتولى ادارة مؤسسة الأسرة ؟

ان الاسلام لم يهمل ادارة هذه المؤسسة وبيان من يرأسها ، أو من أولى الناس لتحمل مسئوليتها .

والذى يتضح من دراسة الاسلام أن الاختصاصات أو الصلاحيات موزعة بين الطرفين والواجبات محددة ، ولكلٍ جانبٌ خاصٌ هو مسئول عنه :

للرجل اختصاصات لا تشاركه فيها المرأة ولا تقوى على الاضطلاع بمهمتها وسياستها ، وللمرأة اختصاصات لا يصلح لها الرجل ولا يحسن القيام بها . .

فمحاولة أحد الطرفين التدخل في اختصاص الطرف الآخر يعرض المؤسسة للارتباك والاضطراب ويسلمها للفوضى .

فلنستمع الى بعض الآيات القرآنية وهى تنظيم حياة الأسرة وتحدد المسئوليات فتعطى الرجل القوامة والادارة حيث يقول الله عز وجل :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض . وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » .

فالآية صريحة في اعطاء الرجل ادارة المؤسسة ، والقوامة عليها كما ترى ولم تهمل

الآية بيان السبب ، بل بنيت اذ يقول الله عز وجل : « بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »، ثم انه مما لا نزاع فيه أن أيمؤسسة أو شركة انما ينتخب لادارتها من لديه دراية وخبرة وقوة على الادارة وعلى الصبر على العمل وحنكة في سياسة طبيعة العمل ، ومؤسسة الأسرة من أهم المؤسسات وأخطرها على الأطلاق اذ بصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد المجتمع لأنها هي التى تقدم للمجتمع أفردا هم لبنات بناء المجتمع والبناء انما يكتسب صفاته من مواد البناء قوة وضعفا .

لهذا كله حمّل الاسلام الرجلَ هذه المهمة وهى أمانة ثقيلة لانه أليق بها وأقوى على أدائها والمرأة المنصفة تعترف بذلك .

يقول الاستاذ محمد الغزالى في كتابه : « حقوق الانسان في الاسلام » .
« ولما كان الرجل بعيدا عن مشاغل الحيض والنفاس والحمل . والرضاع كان أجلد على ملاقات الصعاب ومعانات الحرف المختلفة ، وكان الضرب في الأرض ابتغاء الرزق ألصق به هو ومن ثم فقد كلفه الاسلام الانفاق على زوجته وعلى قرابته الانات الفقيرات »اه

ما ذكره الاستاذ الغزالى جانب مهم ومعقول لترشيح الرجل لهذه المهمة مهمة القوامه .
وهناك جوانب أخرى تبدو عند التأمل في بعض النواحى وهى كثيرة . نكتفى بهذه الاشارة اقتصادا في الوقت :

« مسئولية المرأة في الأسرة »

اذا كان الرجل هو الذى كلف ليمثل سياسة الأسرة الخارجية والاقتصادية على ماوصفنا فان المرأة هى المسئولة عن ادارة الأسرة الداخلية تحفظ بيت زوجها في حضوره وغيابه . وتحفظ ماله . وتحفظ أولاده وعليها تنظيم المنزل الى غير ذلك من الشئون المنزلية .

ولهذا كله تتمتع بكل احترام وتقدير من أفراد الأسرة طالما حافظت على مسئولياتها الداخلية ولم تتطلع الى ما وراءها مما لا تستطيع القيام به من صلاحيات الرجل .

« الاسلام لم يظلم المـــرأة »

كثيرا ما نسمع تلكم الأصوات المنكرة التى تنادى بأن الاسلام هضم حقوق المرأة وظلمها ولم يعطها حريتها ولم يساو بينها وبين الرجل الى آخر تلكم العبارات المترجمة عما يكتبه أعداء الاسلام ضد الاسلام .

وفي الواقع أن أصحاب هذه الدعوى هم أحد رجلين اثنين :

أما احدهما : فجاهل ساذج سمع الناس قالوا قولة فاتبعهم بل صار لهم بوقا يبلغ ما يقولون ، وليس لديه علم يستند عليه فيما يقول ويذيع ، بل ليس له من الأمر شئ الا البلاغ ، وهو يهرف ما لا يعرف .

وقد اغتر به كثير من الناس الذين لم يؤتوا من الفقه في الدين شيئا ولا سيما النساء المثقفات بثقافة غير اسلامية أو الجاهلات المقلدت على غير هدى .

وهذا الصنف من الناس يضل ويضلل غيره لأنه جاهل وفي الوقت نفسه أنه يجهل جهله ، يصدق عليه قول القائل :

اذا كنت لا تدرى بأنك لا تدرى فذاك اذاً جهل مضاف الى جهل

وأما الآخر : فهو انسان ماكر يمكر ويكيد للاسلام والمسلمين ويريد أن يفسد عليهم دينهم وأخلاقهم عن طريق افساد الاسرة متأثرا بأعداء الاسلام ومنفذا لخطتهم في محاربة الاسلام .

ان هذا وذاك هما اللذان يطلقان هذا الصوت المنكر في كل مكان لمحاولة التضليل وقد تأثرت به الكثيرات من المسلمات الجاهلات ظنا منهن بأن هذا النداء في صالحهن فضمت أصواتهن الى ذلك الصوت .

فبذلك تصبح المرأة المسلمة المتأثرة بذلك النداء ظالمة لدينها واسلامها متهمة اياه بأنه ظلمها ، ذلك الاسلام الذى رفع من شأنها لو كانت تعلم وتفقه — وأين الفقه لدى نسائنا الا ما شاء الله — والله المستعان .

فعلى المرأة المسلمة المثقفة أن تدرس دينها لتعرف موقف الاسلام من المرأة وما لها من الكرامة في الاسلام ولا تتبع كل ناعق .

وفي الوقت نفسه عليها أن تطلع على ما في القوانين الأجنبية مثل القوانين الفرنسية وغيرها لتعلم موقف تلك القوانين (١) من المرأة ، ثم عليها أن تعرف كيف كانت المرأة قبل الاسلام حيث كانت سقط المتاع فاقدة القيمة والكرامة وما أكرمها الا الاسلام .

(١) في القوانين الفرنسية في الاسرة لا يسمح للمرأة أن تتصرف في مالها الخاص الا باذن زوجها وتنتسب الى زوجها لا الى أبيها.

تتمتع المـــرأة في الاسلام بالحقوق المدنية مثل الرجل

للمرأة المسلمة حرية كاملة في الحقوق المدنية ، وهى مثل الرجل في هذه الحقوق .
فللمرأة المسلمة أن تبيع وتشترى وتهب وتقبل الهبة وتعير وتستعير وتتصرف في مالها ، ولها جميع التصرفات المالية مثل الرجل .

الحقـــوق الدينية للمرأة المسلمة

فالمرأة المسلمة تشرع لها جميع العبادات كالرجل فهى تصلى وتصـــوم وتزكى من مالها وتحج وتثاب على عباداتها وطاعتها مثل ما يثاب الرجل وليس أجرها دون أجر الرجل .

الا أن الاسلام قد يخفف عن المرأة بعض العبادات تقديرا لظروفها الطارئة فمثلا يسمح للمرأة الحائض في ترك الصلاة ولا تؤمر بقضائها بعد الطهر لما في ذلك من المشقة والحرج « وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

ولها أن تترك الصيام أيام عادتها ولكنها تقضى على السعة لعدم المشقة عليها في قضاء الصوم بخلاف الصلاة ، والنفساء تعامل بنفس المعاملة .

حرية الزواج للمـــرأة المسلمة

الاسلام يعطى المرأة حرية كاملة في الزواج فهى التى تختار الزوج الصالح لها قبل أن يكلفها وليها على من يختاره هو بل ليس له أن يزوجها الا باذنها الصريح بالنطق اذا كانت المرأة ثيبا لأنها قد جربت الرجال ولا تستحى أن تقول نعم أو لا .

وأما البكر فيكفى في اذنها السكوت حين الاستئذان فلابد من الاستئذان ولو زوجها أبوها في صغرها وقبل بلوغها فلها الخيار اذا بلغت بين اجازة ذلك الزواج أو رفضه .

هذا هو حكم الاسلام في الزواج حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « لا تنكح الايم حتى تستأمر . ولا تنكح البكر حتى تستأذن واذنها صماتها أى سكوتها » ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام رواه البخارى من حديث ابي هريرة .

إرث المـــرأة في الاسلام

وقد ركز دعاة المساواة على هذه النقطة فتمكنوا من تضليل الكثيرات من المسلمات الغافلات حيث زينوا لهن بأن الاسلام يفضل الرجل على المرأة فيعطيه في الميراث أكثر من النساء فيعطيه مثل حظ الانثيين ولماذا ؟ ؟ ! ! . .

وللأجابة على هذا السؤال أقول :

حقا ان الاسلام يعطى الرجل نصيب امرأتين وهذا التفضيل في الميراث لا يترتب عليه تفضيل الرجل على المرأة في كل شئ كما سنرى قريبا ان شاء الله .

كما لا يلزم منه الحط من مكانة المرأة بل انه عطاء عادل ومنصف
بيان ذلك ما سبقأن ذكرنا من أن الاسلام يكلف الرجل وحده بالانفاق على الاسرة المكونة من الزوجةوالأولاد بل وعلى كل محتاج من أقاربه ولم يكلف المرأة حتى بنفقة نفسها بل نفقتها على زوجها ولو كانت هى أغنى من زوجها وأما قبل الزواج فنفقتها على أهلها .

فهل من الانصاف أن تعطى المرأة المنفق عليها مثل الذى ينفق عليها ؟ ؟ ! !
أعتقدأن المرأة المسلمة المنصفة سوف تبادر بالجواب على هذا السؤال قبل الرجال قائلة: إن ذلك ليس من الانصاف لو حصل .

بل الانصاف ما فعله الاسلام وقد أنصف الرجل والمرأة معا ولله الحمد والمنة .

سفر المـــرأة في الاسلام

النقطة الثانية من النقاط التى يركز عليها دعاة الحرية والمساواة مشكلة سفر المرأة يقولون : إن الاسلام لا يسمح لها بالسفر كما يسمح للرجل ولو في سفر أداء فريضة الحج ولماذا ؟ ؟ ! !

والعجيب من أمر هؤلاء أنهم كثيرا ما يقلبون الحقائق ليغالطوا الناس فيجعلون الاهانة كرامة والكرامة إهانه كما في هذه المسألة .

والمرأة المسلمة الجاهلة تسمع لكل ناعق بجهلها أمر دينها واستجابة للعاطفة أحيانا .

وفي الواقع ان الاسلام لم يمنع المرأة من السفر المباح الا أنه قيد سفرها بقيد واحد . وهذا القيد في الحقيقة إكرام لها وحفظ لشرفها لو كانوا يعلمون .

يشترط الاسلام لسفر المرأة وجود زوجها معها في السفر أو أحد أقاربها الذين تحرم عليهم تحريما مؤبدا كأبيها وأخيها مثلا ، لأن هؤلاء سوف يضحون بأنفسهم في سبيل المحافظة عليها وحفظ كرامتها ولا تصل الذئاب اليها الا على أشلائهم .

كما يقوءون بخدمتها في سفرها حيث تعجز عن الخدمة وهل اشتراط الاسلام لسفر المرأة هذا الشرط يعتبر اهانة للمرأة أم هو اكرام لها ؟ انها لأحدى الكبر ! !

فلتقول المرأة المسلمة الاجابة على هذا الاستفهام .

أما السفر من حيث هو فالاسلام لا يمانع فيه .

فالمرأة تسافر للحج ، وتسافر للتجارة ، وتسافر لزيارة أهلها وأقاربها وتسافر لطلب العلم ولغير ذلك من الأسباب طالما الشرط متوفر وهو وجود الزوج أو المحرم معها .

هذا هو حكم الاسلام في سفر المرأة أيها المسلمون اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم الا ومعها رجل ذو محرم عليها » (١) .

وللحديث ألفاظ كثيرة وروايات متعددة وكلها تدل على أن الاسلام يشترط في سفر المرأة وجود الزوج أو رجل ذى محرم عليها تحرم عليه تحريما مؤبدا .

وهذا يعد اكراما للمرأة المسلمة لو كانت تعلم ، وبالله التوفيق .

موقف الاسلام من التبرج والاختلاط والخلوة

ان موقف الاسلام واضح من هذه الجاهليات وهو موقف فطرى ومعقول ، بل ومقبول لدى الاذواق السليمة ، والاسلام يشدد الانكار على هذه الجاهليات ولا سيما جاهلية الخلوة اذ يقول رسول الهدى عليه الصلاة والسلام « الا لا يخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان » ، « لا يخلون أحد بامرأة الا مع ذى محرم » .

هكذا يقول رسول الاسلام أيها المسلمون. وفي النهي عن جاهلية التبرج يقول الله تعالى: « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » ويقول مخاطبا لنبيه وخليله محمد عليه الصلاة والسلام : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن

(١) البخارى ومسلم وأهل السنن .

(٢) وهو قطعة من حديث طويل : يراجع في خطبة عمر بن الخطاب بالجابية تحفة الأحوذى ج ٦ ص ٣٨٤ .

من جلابيبهن » هكذا يأمر الاسلام المرأة المسلمة ابتداء من أمهات المؤمنين الطاهرات الى يوم الناس هذا بل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . يأمرها بالحشمة والحياء وعدم الاختلاط لأن الحياء شعبة من الإيمـــان وينهى عن هذه الجاهليات ويشدد الانكار عليها لأنها ذرائع للفساد الخلقى الذى اذا أصيبت به المجتمعات ضاعت وذهبت ولقد صدق الشاعر حيث يقول :

وإنما الأمم الأخـــلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

موقف الاسلام من عمل المرأة

ولسنا نقول — كما يظن — أن المرأة لا تخرج من بيتها لمزاولة الأعمال، كلا بل للمرأة المسلمة أن تعمل ولها مجالات واسعة للعمل والقول بأن الاسلام يمنع المرأة عن العمل اساءة الى الاسلام وسمعته كما أن القول : مجال عملها ضيق قول غير محرر فالمرأة المسلمة لها أن تزاول أعمالها دون محاولة أن تزاحم الرجـــال أو تختلط بهم أو تخلو بهم . للمرأة أن توظف مدرسة أو مديرة أو كاتبة في المدارس النسائية ولها أن تعمل طبيبة أو ممرضة أو كاتبة أو في أى عمل تجيده في المستشفيات الخاصة بالنساء الى آخر الاعمال المناسبة لها .

أما المرأة التى تخرج من بيتها بدعوى أنها تريد أن تعمل — متبرجة — بزينتها ومتعطرة ومنكرة (١) مائلة مميلة و كأنها تعرض نفسها حين تتجول بين الرجال .

فموقف الاسلام منها انه يشبهها بالمرأة الزانية لما ثبت عند الترمذى من حديث أبي موسى الأشعرى عن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

« والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجاس فهى كذا و كذا يعنى زانية » ، قال الترمذى هذا حديث صحيح ولأبي هريرة مثله عند ابي داود والذى يبدو أن اللفظه يعنى « زانية » من قول أبي موسى الأشعرى تفسيرا لكذا و كذا والله أعلم .

وهذه المرأة مَثَلُها كَمَثَلِ طعامٍ شهى بذل صانعه في اعداده كل ما في وسعه ثم أخذه فجعله في قارعة الطريق وبجوار المستنقعات فرفع عنه الغطاء فهاجرت اليه الحشرات من كل مكان تستنشق ريحه فأخذ الذباب يحوم حوله فيسقط فيه أحيانا والناس ينظرون اليه مستقذرين وعابسين وجوههم .

(١) مستعملة ما يسمى بالمناكير في أظفارها .

وفي النهاية يصبح عشاء للكلاب اذا تغلبت على الحشرات ولابد أن تتغلب هذا مثل المتبرجات المتجولات فلتربأ المرأة المسلمة بنفسها وشرفها عن هذه المنزلة المنحطة ولتسدل جلباب الحياء على وجهها كما أمرها ربها وذلك خير لها عند الله وأمام المجتمع .

ويريد الاسلام من وراء هذا كله المحافظة على الأسرة المسلمة لأن سلامتها تعنى سلامة المجنمع كما أن فسادها فساد للمجتمع كله كما تقدم .

وقد حرص الاسلام على هذا المعنى كل الحرص وأنه لا يُغْفِلُ هذه المحافظة حتى في حال آداء بعض العبادات التى تؤدى في حال اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد كالجمعة والعيدين مثلا فقد نظم الاسلام كيف يتم هذا الاجتماع لأداء تلك العبادات .

يقول رسول الهدى عليه الصلاة والسلام وهو ينظم الصفوف :

« خير صفوف الرجـــال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها » (١) .

ولعلمه صلى الله عليه وسلم ما تثيره المرأة المتعطرة في صدور الرجال أمرها بقوله : « اذا خرجت المرأة الى المسجد فلتغتسل من الطيب كما تغتسل من الجنابة » (٢) .

وبعد :

إن هذا الحديث والذى قبله يعتبران – بحق – من أبرز أمثلة سد الذرائع كما ترى . والله الموفق .

إنهاء الحياة الزوجية

تنتهى الحياة الزوجية بأحد فراقين اثنين :

١ – فراق بالموت وهو أمر لا يملك كل من الطرفين تقديمه أو تأخيره فلذا نمسك عن الحديث عنه .

٢ – فراق بالطـــلاق وهو محل حديثنا : يعتبر الطلاق في نظر الاسلام مخرجا مما قد يتفاقم بين الأزواج من الخلافات والنزاعات وهو بمثابة الكى في حل المشكلات الزوجية والكى آخر العلاج .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه النسائي .

حيث يبدأ علاج المشكلات الزوجية على النحو التالى :

أ — الوعظ . . الوعظ الذى يتضمن النصح والتوجيه وبيان ما على الزوجة من حقوق الزوج كما يتعرض لبيان حقوق الزوجة على الزوج ويركز على بيان ما يترتب على تضييع حقوق الزوج وعصيانه .

ب — الهجران في الفراش . . الهجران الذى يجلب لها نوعا من الوحشة وعدم الانس ويدعو الى التوبة والرجوع الى الطاعة .

ج — الضرب شريطة أن يكون ضرب تأديب وتخويف فقط لا ضرب انتقام يجرح الجلد أو يكسر العظم .

د — جلسة مفاوضة ومناقشة يشترك فيها حكم من أهله وحكم من أهلها واذا لم يُجْدِ شيءً مما ذكر وضاق كل واحد منهما نفسا بالحياة الزوجية هنا يأتي الطلاق لانقاذ الموقف بانهاء تلك الحياة التى تحولت جحيما لا تطاق بعد أن كانت مودة ورحمة وطمأنينة وراحة .

وهذه المراحل التى تسبق الطلاق — وربما تمنع الطلاق — بينتها سورة النساء في الآيتين التاليتين : آية رقم ٣٣ اذ يقول الرب عز من قائل :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . ان الله كان عليا كبيرا » .

وآية رقم ٣٤ :

« وان خفتم شقاق بينهما . فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما . ان الله كان عليما خبيرا » .

لماذا جعل الاسلام الطلاق في يد الرجل فقط

وقد تبين مما تقدم أن مشروعية الطلاق أمر له أهميته في الموضوع اذ ثبت أنه العلاج الأخير في المشكلات الزوجية .

وبقى في المقام سؤال له وزنه إذا فهم جوابه حق الفهم وهو لماذا جعل الطلاق في يد الرجل فقط ؟ ؟ ! ! قبل أن يكون للمرأة فيه دور يذكر اللهم الا ما كان من قبل الخلع وهو فراق تشترك فيه المحكمة الشرعية ولا تستقل به المرأة كما هو معروف

الجواب على هذا السؤال أن يقال :

لما كان الرجل هو الغارم الذى عليه المهر وسائر النفقات جعل الطلاق في يده لأنه سوف لا يفرط في الحياة الزوجية التى غرم في تأسيسها بل سوف يكون أحرص ما يكون على بقاء مؤسسة الأسرة متمتعة بالهدوء والراحة كلما وجد الى ذلك سبيلا ولو جعل الطلاق في يد المرأة لرأينا الآتي :

رأينا رجلا يؤسس ثم يؤثث فيحرص على النتائج المنتظرة من المؤسسة ثم رأينا امرأة — ناقصة العقل والتفكير تهدم المؤسسة وتبعثر الأثاث لأتفه الأسباب لأنها لم تغرم شيئا عند تأسيس المؤسسة بل ربما رغبت عن هذه المؤسسة لتجرب غيرها .

وفي اعتقادى أن المرأة المسلمة المنصفة تصدقنى فيما ذكرت قبل الرجل نفسه لأن بعض الوقائع من تصرفات بعض النساء تشهد لما قلنا في الوقت الذى ليس في يدها الطلاق . والله أعلم .

وبعد أيها الأخوة المسلمون فلنمثل اسلامنا بالعمل ما استطعنا الى ذلك سبيلا لا بالقول فقط لأن الاسلام دين عمل وتطبيق فالمسلم معناه هو الانسان المستسلم المنقاد لأوامر ربه وخالقه والمنفذ لأحكامه .

والقصد الحسن والنية الصادقة والعمل الصالح ومحاولة تطبيق الشريعة هذه المعاني هى محل نظر الرب من عبده اذ يقول رسول الهدى عليه الصلاة والسلام : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » .

أيها الأخوة ان لديكم الفرصة لتعملوا لدينكم وإسلامكم لأن قانون بلدكم يسمح لكم أن تخدموا دينكم بكل حرية فعليكم أن تدركوا أن هذه الحرية نعمة من نعم الله عليكم فعليكم أن تستغلوها بالعمل الجاد لنشر تعاليم اسلامكم .

والله معكم ان صدقتم في أعمالكم لأنه تعالى مع العاملين الصادقين يوفقهم ويهديهم .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » . .

وصلى الله وسلم وبارك على رسول الهدى محمد وآله وصحبه . .

محمد أمان بن على الجامى
عميد كلية الحديث الشريف والدراسات الاسلامية
بالجامعة الاسلامية — بالمدينة المنورة

غزوة بدر

معالم في طريق النصر

لفضيلة الشيخ محمد السيد الوكيل

تمهيد :

لقد أحدث الإسلام أخطر انقلاب في تاريخ البشرية الطويل ، فمنذ انقطاع الوحى برفع عيسى – عليه السلام – والبشرية تتعثر في خطواتها ، وتنحدر بسرعة هائلة إلى حضيض مخيف ، وهوة ساحقة .

ووقف المنصفون وذوو البصائر من هذا التردى وقفة الحذر المترقب ، وقفوا يرقبون البشرية وهى تحفر قبرها بيدها ، وصاح بعضهم صيحات الإنذار على هؤلاء الغافلين ينتبهون إلى المصير المشئوم الذى ينتظرهم ، ولكن هيهات .

ولف الدنيا ظلام حالك ، وخيم عليها سكون رهيب ، وضاعت كل صيحات الإنذار بين ضجيج الشهوات المسيطرة ، وعربدة الفساد المتسلط ، فلا تكاد تجد داعيا ولا تكاد ترى مصغيا . والمنصفون من القوم يمسكون رءوسهم بأيديهم ، ويعصرون قلوبهم بسواعدهم خوفا من وقوع الكارثة كنتيجة حتمية لهذا التردى .

وبينما هم يرقبون الكارثة بزغ نور بـدد الظـلام ، وفرق السكون ، واهدى إلى الدنيا أعظم منحة في عمرها المديد ، وتبددت علامات التشاؤم أمام هذا النور الغامر ، وحلت محلها بشارات الأمل المنشود .

وانساب نور النبوة يسرى في جزيرة العرب كالماء يتسلل إلى عروق تلك الشجرة اليابسة فيعيد إليها نضرتها وبهجتها ، ويدعو القائظين إلى تفيؤ ظلها الظليل .

واعلنت الرسالة الجديدة ثورة عارمة على الوثنية ومعتنقيها ، وحررت رقاب الناس من الخضوع لأصنام صنعوها

بأيديهم ، ليذعنوا بها بالعبودية ، ويحيطوها بالتقديس والإجلال ووصلت اصداء تلك الثورة إلى كل قلب ، ودخلت كل بيت ، وعاشت في كل نفس ، وبدأ الناس يفكزون في آلهتهم ويترقبون ماذا سيكون مصيرها ؟

وأحسوا بنفوذ الدين الجديد يسيطر على أهل الجزيرة طائعين أم مكرهين ، وماجت أندية القوم بآراء الناس في الرسالة والرسول ، وارتفعت الأصوات في صخب وضجيج معارضة أو مؤيدة ومبشرة أو متوعدة ، وعاد الناس إلى بيوتهم وقلوبهم واجمة مضطربة ، وعيونهم شاخصة جاحظة ، تدور رءوسهم كالرحا ، وهم لا يدرون ماذا تخبئ لهم الأيام المقبلة ؟

بين يدى المعركة :

أيقن الشرك الحاقد أن الأمر قد أفلت من يده بنجاح خطة الهجرة إلى طيبة ، وظل يجتر عداوته ، ويبدئ ويعيد في خصومته، ونعم المؤمنون بالأمن والأطمئنان في وطنهم الجديد ، وأخذوا يرسون قواعد الدولة الفتية ، ويخططون لإقامة المجتمع على هدى كتاب الله الذى كان يمدهم بكل ما يحتاجون إليه .

ظن السفهاء من المشركين أن الآلهة قد أراحتهم من محمد ودينه ، وأنهم سيفرغون لعبادتهم من غير أن يكون هناك معكر لصفوها ، وأيقن أولوا الرأى منهم أن نجاح الهجرة ، واستقرار الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه في المدينة إنما هو بداية نهايتهم مهما طال بهم الأمد .

وأشار هؤلاء على قومهم بمهادنة محمد إذا لم يريدوا الدخول في دينه ﷺ ،ولقد لقوا من جراء صراحتهم عنتا ومشقة وظلت الأوضاع هكذا جامدة لا تغادر أبواب مكة .

ولكن الرسول قد استعد للأمر ، واتخذ وسائل لحماية الدولة الجديدة ، فأخذ يعمل على تأمين حدودها فأرسل السرايا وبعث البعوث ليثبت قوة المسلمين ، وقدرة الدولة الناشئة على حماية نفسها من أى عدو يبغيها الدوائر .

وخرجت سرية من المدينة تترصد عيرا لقريش قادمة من الطائف ، وكانت القيادة فيها لعبد الله بن جحش واستولى المسلمون على القافلة وكانت محملة زبيبا وأدما ، وقتلوا عمرو ابن الحضرمى وأسروا رجلين من رجالها (١)

ولم تتحرك قريش لهذا العدوان ، وكأن الأمر لا يعنيها في قليل أو كثير حتى كانت قافلة أبي سفيان بن حرب القادمة من الشام والتى تمخضت عن غزوة بدر .

لقد أثارت سرية عبد الله بن جحش الرعب في قلوب المكيين ، وكانت سببا في أمرين هامين :

(١) ابن هشام (٢/١٨٠)

الأول : اتخاذ اللازم لحماية القوافل .
والثاني : تشويه سمعة المسلمين .

ولقد اضطر اهل مكة على أثر ذلك إلى أن يشددوا الحراسة على قوافلهم سواء كان ذلك في داخل الجزيرة أو في خارجها حتى بلغ عدد رجال قافلة أبي سفيان المتوجهة إلى الشام أربعين رجلا (١) .

كذلك استغل أهل مكة قتل ابن الحضرمى على أيدى المسلمين في الأشهر الحرم حيث قتل في شهر رجب ، وأخذوا يشوشون على المسلمين، وأكثروا من ترديد ذكر الحادث محاولين بذلك إثارة سكان الجزيرة ضد المسلمين لاعتدائهم على حرمة الشهر الحرام حيث كانوا يعظمون تلك الأشهر ، ويرون الاعتداء فيها خطيئة لا تغتفر .

وقد نجحت دعايتهم إلى حد ما ، وأثارت جدلا عنيفا حتى بين المسلمين أنفسهم، وقد أنكر الرسول ﷺ فعلتهم، وقال :(ما أمرتكم بقتال في الشهر) الحرام ، وعنفهم إخوانهم المسلمون على صنيعهم (٢) . وقد سقط في أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ولم يحسم الأمر إلا نزول الآية الكريمة :

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل : قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه اكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل) (٣) .

وضعت الآية الكريمة الأمور في نصابها وأوضحت الأمر بالنسبة لموقف المسلمين ، ومن ناحية أخرى أثارت دعاية المشركين المغرضين نفوس المسلمين ، ودفعتهم إلى تحديد موقفهم من تجارة قريش التى تعبر حدود الدولة الإسلامية في طريقها إلى الشام ، وعزموا على مصادرة كل قافلة تمر بهم ، وكانت أولى القوافل قافلة أبي سفيان .

فرصة يجب الا تفلت :

علم المسلمون بعودة قافلة أبي سفيان من الشام،واستنفر الرسول ﷺ اصحابه للاستيلاء عليها ، وأسرعوا في الخروج حتى لا تفلت القافلة ، فخرجوا وليس عليهم كبير سلاح وكان عدوهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا .

وعلم أبو سفيان بخروج المسلمين لمطاردة القافلة في محاولة للاستيلاء عليها فاستأجر رجلا وبعثه الى أهل مكة يستنجدهم لحماية القافلة ، ووصل رسول أبي سفيان إلى مكة ، وصرخ فيهم منذرا بتعرض تجارتهم للوقوع في أيدى المسلمين ، وأخذ أهل مكة يستعدون للخروج .

وكان ابو سفيان رجلا خبيرا بمسالك الطريق فطالما خرج بالقوافل في تجارة

(١) زاد المعاد (٢/٢١٧)
(٢) ابن هشام (٢/١٨٠)
(٣) البقرة : ٢١٧

القوم وطالما سلك هذا الطريق حتى أصبح لا يخفى عليه شيء من شعابها ودروبها أفينتظر حتى تأتيه نجدة قريش ؟ وقد يسرع إليه المسلمون فتقع القافلة تحت أيديهم ، ام يتصرف بطريقته الخاصة محاولا إنقاذ التجارة والنجاة بها ، وقدر أبو سفيان أن نجدة قريش قد تتأخر فانحاز على بدر ومال ذات اليمين وسلك طريق الساحل . ونجا بقافلته .

وجاءت الاخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجاة القافلة ، واتجاهها إلى مكة .

أفلتت الفرصة وبقيت المواجهة :

أصبح الموقف حرجا بالنسبة للجيش الإسلامى ، وبالتالى أصبح موقف الرسول ﷺ دقيقا للغاية، فهو لم يخرج لقتال ، ولم يخبر أصحابه بذلك حتى يأخذوا أهبتهم لملاقاة عدوهم ، وماذا يفعل وقد خرجت قريش للحرب ، ورمتهم مكة بأفلاذ كبدها ؟

إن الجيش الإسلامى لا يستطيع العودة إلى المدينة دون مواجهة ، لأن ذلك يعود على الدولة الناشئة بأضرار بليغة ، وعواقب وخيمة ، إذ لا يشك إنسان حينئذ في طمع قريش ، وقد يترتب على ذلك مهاجمة المدينة ، وانتهاك حرمة الدولة باقتحام حدودها ثم ماذا سيكون موقف اليهود في داخل المدينة ، وهم يتربصون بها وينتظرون لحظة ضعف للانقضاض عليها ؟

وهناك مشكلة أعظم من ذلك كله ، لقد كان أكثر المسلمين من الأنصار حيث كان عـددهم واحدا وثلاثين ومائتى رجل ، في حين كان المهاجرون ثلاثة وثمانين رجلا (١) ولم يكن الأنصار ملزمين بحماية الرسول ﷺ والدفاع عنه إلا في داخل المدينة حسب نصوص بيعة العقبة ، فما موقف الأنصار من هذه المعركة التى فوجئوا بها ، وقد فرضت عليهم نفسها ؟

إن الموقف دقيق للغاية ، ويحتاج إلى حل حاسم وسريع ، فليس هناك مجال للتردد وليس في ميدان المعركة مكان للمترددين .

استعرض الرسول — صلى الله عليه وسلم — كل هذه المشكلات ، وأدار فكره فيها ، وقرر فيها رأيا ، ولكنه لم يفرض على أصحابه ، لأن في المسلمين من ليسوا ملزمين بالقتال في هذا الموقف ولأن الأمر شورى بين المسلمين ، فيما لم يرد فيه نص ، لهذا صارح الرسول أصحابه بحقيقة الموقف ، وأخبرهم بخروج قريش لتحمى تجارتها ، وتدخل معهم في معركة إذا اقتضى الأمر ثم قال : (أشيروا على أيها الناس) (٢) .

وهنا قام زعماء المهاجرين — أبو بكر وعمر والمقداد بن الأسود — فأحسنوا

(١) ابن هشام (٢/٢٥٠) .

(٢) ابن هشام (٢/١٨٨)

الكلام وردوا الأمر إلى رسول الله ليفعل ما أمره به الله ، وقال المقداد : لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى : (إذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون)، ولكن نقول لك : إذهب انت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، ومن بين يديك ومن خلفك ، (١) .

وظل الرسول يطلب مشورة القوم ، حتى فطن سعد بن معاذ — رضى الله عنه — لما يعنيه الرسول من أخذ رأى الانصار ، فقال : لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقا عليها الا تنصرك إلا في ديارهم ، وإني أقول عن الأنصار ، وأجيب عنهم ، فاظعن حيث شئت ، وصل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا منها ما شئت ، وما أخذت منها كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك ، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك (٢)

وعندئذ استوثق الرسول ممن معه ، واطمأن إلى أنه لن يتخلف منهم أحد عن خوض المعركة فسر بما سمع واشرق وجهه وقال : (سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، وإني قد رأيت مصارع القوم) (٣) .

وبهذا تكون الجبهة الإسلامية قد توحدت تماما ، ولم يعد هناك خوف من شذوذ أحد ممن خرج من المسلمين ، ولم يعد النبي — صلى الله عليه وسلم — في حاجة إلى التفكير في موقف الانصار تجاه سياسته الخارجية .

ولو تركنا الجبهة الاسلامية قليلا في وضعها القوى المتماسك لننظر في وضع الجبهة الأخرى وحالتها المعنوية لوقفنا على ما يــلى :

لم يكن أهل مكة متفقين على الخروج للمعركة ، وهم رغم اتفاقهم في عداوة المسلمين إلا أنهم كانوا مختلفين في خوض المعركة ، فقد تخلف عنهم بنو عدى بن كعب ، ورجع بنو زهرة من الجحفة نزولا على رأى الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين أحد (٤) .

ولم يكن موقف زعمائهم خيرا من موقفهم ، فاننا نرى أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة ، وحكيم بن حزام لم يخف أحد منهم للخروج لأنهم كانوا غير مؤمنين بسلامة موقفهم ، وحتى ابو لهب مع شدة عداوته لم يشهد المعركة وأخرج رجلا آخر مكانه .

ولقد لعبت العصبية القبلية دورا خطيرا في الخلاف الحاصل بين المكيين ، كما كان لنجاة القافلة ووصولها إلى مكة

(١) زاد المعاد (٢١٨/٢)
(٢) نفسه .
(٣) نفسه ٢١٩ .
(٤) ابن هشام (١٩١/٢) .

سالمة أعظم الأثر في تثبيط همم الخارجين للقتال ، حيث وجدوا أنفسهم أمام معركة لا مبرر لها ، ولعلهم أيضا لا يضمنون نتائجها ، حتى أحسوا بأنهم إنما خرجوا يقاتلون عن قضية وهمية لا وجود لها ، وهذا هو ما عبر عنه الأخنس بن شريق حين قال : يا بنى زهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا لى جانبها ، وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في ضيعة (١) .

وكما كان ذلك رأى الأخنس فإنه كان رأى عتبة بن ربيعة حين قام خطيبا ــ وقد وصلوا بدرا ــ فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، او ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين الرجل وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون (٢) .

ولم يرض أبو جهل بهذا الرأى ، وأتاهم عتبة بالجبن والخوف على ولده الذى كان بين صفوف المسلمين وثار النزاع وتكلم بعضهم على بعض ، وحدث الخلاف واستحكمت الفرقة .

وهكذا كانت الجبهة المكية خلاف في الرأى بين القــواد ، وخصومة ونزاع بين الجنود ، وعدم وضوح للغاية والهــدف عند الجميع .

والتقى الجمعان :

وفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة كانت المعركة الفاصلة حيث التقى الجمعان على الحال التى كان عليها كل منهما ، ولكن هل كان هناك تكافؤ في الفرص والعدد والعتاد ؟ وذلك ما سأوضحه فيما يأتي :

أستطيع أن أؤكد أنه لم يكن هناك تكافؤ قط في شئ مما ذكر ، بل كان هناك تفاوت وفرق هائل في كل شئ .

فمن حيث الفرصة فإن المسلمين فوجئوا بالحرب ، ولم يكونوا على استعداد لها ، وقد بعدوا عن مصادر تموينهم فليست هناك فرصة للتسلح والاستعداد للمعركة ، في حين أن المشركين خرجوا متهيئين للقتال متسلحين بكل ما يحتاج إليه المحارب ، حتى كانوا يقولون : أيظن محمد أن نكون كعير بن الحضرمى ؟ (٣) .

ومن حيث العدد فإن جيش المسلمين كان أربعة عشر وثلاثمائة مقاتل ، في حين كان جيش المشركين يتراوح عدده بين التسعمائة والألف .

(١. ابن هشام (١٩١/٢)   (٢) نفسه ١٨٣   (٣) مختصر السيرة ص ٢٠٣ .

واما العتاد فلم يكن لدى المسلمين سوى سبعين بعيرا يتعاقبونها ، وفرسين فقط ، ومن السلاح ما يحمله الرجل الذى لم تخطر بباله الحرب ، ولذا كانت وصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – لهم ألا يحملوا على العدو حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفوكم فانضحوهم عنكم بالنبل (١) كأنه يريد بذلك ألا يسرف المسلمون في استعمال السلاح ، وليس معهم ما يكفى ذلك .

وأما المشركون فكان معهم سبعمائة بعير ، ومائة فرس هذا عدا ما كانوا يذبحون منه يوما عشرا ويوما تسعا ، وكان معهم عدة الحرب كاملة حيث كانوا قد استعدوا لها (٢) ولقد وصفهم القرآن الكريم فقال : (خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس) (٣) لأنهم كانوا فخورين بعددهم مختالين بقوتهم .

مهارة القيادة الإسلامية ومرونتها :

أثبتت القيادة الإسلامية مهارة فائقة في رفع الروح المعنوية للمقاتلين حيث وعدتهم بالنصر ، وبشرتهم بالجنة ، واخبرتهم بشهود الملائكة المعركة ليؤازروهم ويهزموا أعداءهم ، فكان – صلى الله عليه وسلم – يقول لهم : والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة (٤) .

كما اثبتت مرونة لم تعهد من قبل ، وذلك بمشاورة الجنود ، والنزول على مشورتهم عندما تتبين صحة المشورة ، كما حدث في مشورة الحباب بن المنذر حين أشار بتغيير مكان الجيش ، فنزل الجيش بذلك أفضل موقع بالنسبة للمعركة ، وحرم جيش العدو من السيطرة على ذلك المكان ، كما حرم من استعمال الماء اللازم ضرورة للجيش (٥) .

نتيجة المعركة :

إن نظرة سريعة إلى المقارنة التى أوردتها آنفا بين الجيشين تدل على أن نتيجة المعركة لابد أن تكون في صالح المشركين لأنهم كانوا أكثر عددا ، وأعظم عددا ، وأحسن حالا من المسلمين ، ولكن هل كانت النتيجة كذلك ؟ ؟ ! !

لا ، إن النتيجة كانت في صالح القلة الضعيفة ، ذات الأسلحة الهزيلة ، والظروف السيئة – أى في جانب المسلمين – ولم يكن أحد يتوقع ذلك ، لإن حساب المعارك دائما يكون بالتفوق المادى أما الغيبيات ، أما قدرة الله ، أما نصر الله لعباده المؤمنين ، فذلك لا يدخل قط في حساب الماديين ولهذا كانت النتيجة مدهشة لكل من علم بها ، إذ كيف تنتصر القلة على الكثرة ؟ وكيف يهزم الضعيف القوى ؟ بل كيف

(١) ابن هشام (٢/١٩٥)
(٢) مختصر السيرة ص ٢٣٠ ، ابن هشام (٢/١٨٩)
(٣) الأنفال : ٤٧ .
(٤) ابن هشام (٢/١٩٦)
(٥) زاد المعاد (٢/٢١٩)

تتغلب فئة لم تخرج لقتال ، وليس معها من السلاح إلا القليل على الكثرة المغرورة التي أعدت من السلاح وأسباب القوة ما يحقق النصر غالبا ؟ ؟

ذلك هو ما حصل في ميدان المعركة ، فلم تكد القوتان تلتقيان حتى ولى المشركون الأدبار ومنحوا المسلمين أكتافهم يقتلون ويأسرون ، فكان اللقاء كما قال سلمة بن سلامة – رضى الله عنه – فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة ، فنحرناها (١) .

ولم يكن هؤلاء العجائز الصلع إلا سادات مكة ، وأشرافها ، لذا تبسم – صلى الله عليه وسلم – حين سمع مقالة سلمة ، وقال : أى ابن أخى ، أولئك الملأ (٢) .

انهزمت القوة التائهة المختالة ، وخلفت وراءها في أرض المعركة سبعين قتيلا فيهم سادات قريش : أمية بن خلف ، عمرو بن هشام – ابو جهل – عتبة بن ربيعة ، الوليد بن عتبة ، شيبة بن ربيعة – نبيه ومنبه ابنا الحجاج وغيرهم من القادة والزعماء ، كما تركوا في أيدى المسلمين سبعين أسيرا منهم سهيل بن عمرو والعباس بن عبد المطلب وغيرهما ، واستولى المسلمون على كثير من الغنائم ، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا (٣) .

وكان لهذه النتيجة أبعاد أعمق من إحراز النصر نلخصها فيما يأتي :

أ – رفع معنويات جيش المسلمين ، وإحساسه بمعونة الله له .

ب – تشجيع المسلمين على خوض معارك مع أعدائهم لم يجرؤوا على خوضها لولا انتصارهم في بدر .

ج – شعور الجيش الإسلامى بأنه قوة رادعة جعله يمضى قدما في تأسيس الدولة بعزم .

د – ردع الأعداء حتى شل تفكيرهم عن الدخول في معارك جديدة مع المسلمين لمدة تزيد عن السنة مما أعطى المسلمين فرصة لتنظيم انفسهم والاستعداد للقاء عدوهم .

ه – كل انتصارات المسلمين بعد تلك الغزوة كانت امتدادا طبيعيا للنصر فيها حيث كان المسلمون يقاتلون وهم يعتقدون انهم في معية الله – عز وجل – وكان المشركون يعتقدون أنهم يقاتلون عدوا غير عادى ليس من السهل التغلب عليه

دروس من المعركة :

وإذا كانت نهاية المعركة جاءت على هذا النحو الغريب ، ولم تكن بالشئ الذى يمر به الإنسان دون أن يقف حياله مبهورا حائرا ، كان لزاما على الباحث أن يستخلص منها بعض الدروس التى

(١) ابن هشام (٢٠٨/٢)

(٢) نفسه

(٣) ابن هشام (٢٥١/٢ – ٢٥٩)

يمكن أن تكون عوامل هامة في توجيه المعركة ونتائجها ، كما يمكن أن يستفيد بها المسلمون في مواجهة أى عدو يلقونه ، ومن هذه الدروس ما يلى :

١ – التنظيم الدقيق الذى امتاز به الجيش الإسلامى ، فقد صفهم الرسول صفوفا على غير عادة العرب ، وأصدر تعليمات مشددة بعدم الهجوم أو بدء المعركة حتى تصدر أوامر القيادة بتنظيم المبارزة واختيار المبارزين وغير ذلك .

٢ – رفع معنويات الجنود بتبشيرهم بالجنة ، وذكر ما أعد الله فيها للشهداء مما جعل الجنود يستبسلون ولا يهفون كما في قصة عمر بن الحمام حين ألقى التمرات التى كان يأكلها وقال : بخ بخ ، أفما بينى وبين الجنة إلا ان يقتلنى هؤلاء ؟ ! ! (١) .

٣ – دخول المعركة برغبة من الجنود جعل كل جندى يشعر بأن المعركة معركته وأنه مسئول عن نتيجتها مما جعلهم يضحون بكل غال ونفيس .

٤ – الاعتداد بأخوة الإسلام قبل أخوة النسب والرحم واعتبارها هى الأخوة الحقيقية كما حدث من مصعب بن عمير مع أخيه أبي عزيز حين رآه اسيرا فقال لمن أسره : شد يديك به فإن أمه ذات مال لعلها تفديه منك (٢) .

٥ – الشورى وعدم الاستبداد بالرأى فقد كان ذلك المبدأ هو القاعدة السائدة في المعركة من بدايتها إلى نهايتها فقد استشار الرسول المسلمين في دخول المعركة ، ونزل على مشورة الحباب في تغيير مكان الجيش ، وأخذ رأيهم في الأسرى .

٦ – الاهتمام بتثقيف المسلمين وتعليمهم ، حيث جعل الرسول فداء الأسرى الذين يقرأون أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة(٣)

آثار المعركة :

تركت معركة بدر آثارا عميقة في كل من مكة والمدينة ، أما في المدينة فقد استقرت على أثرها أوضاع الدولة الإسلامية ، فأصبحت مرهوبة الجانب ، يخشاها العدو ، ويرهبها المحايد ، وأصبح مركز المدينة مرموقا كعاصمة للدولة أخذت وضعها اللائق بها واعتز المسلمون بهذا النصر فواجهوا أعداءهم في قوة وحزم .

---

(١) ابن هشام (١٩٦/٢)

(٢) نفسه ٢٠٩ .

(٣) روض الأنف (٢٤٥/٥) تحقيق عبد الرحمن الوكيل

كما كان لها في نفوس الأعداء المتربصين بها من الداخل – اليهود والمنافقين – أثران متلازمان هما : الفزع والكيد .

لقد أحس الأعداء بأن الدين الجديد أصبحت له دولة تحميه ، وأن الرجل الذى هرب من بلده ولجأ إلى بلدهم صار ذا نفوذ وسلطان ، فانزعجت نفوسهم ، وانخلعت قلوبهم ، وبدأوا يفكرون ، كيف يتخلصون من هذا المأزق الذى أحاط بهم ؟

عندئذ أخذوا يتآمرون ويدبرون المكايد للقضاء على تلك الدولة ، فاتصلوا بالمشركين في مــكة يحرضونهم على قتال المسلمين ويعدونهم بالوقوف معهم ، كما اتصلوا باليهود في البلاد الأخرى مستعينين بهم في تنفيذ خططهم لاغتيال محمد – صلى الله عليه وسلم –

أما المسلمون فكانوا بعد الانتصار الذى أحرزوه أقوى معنوية ، وأحسن حالا مما كانوا عليه من قبل ، فقابلوا التآمر بتآمر أكثر إحكاما ، وواجهوا الكيد بكيد أشد إيلاما ، فقتلوا كعب بن الاشرف زعيم المتآمرين ، واجلوا بنى قينقاع عن المدينة ، وهكذا اثبت المسلمون قدرتهم على اعدائهم ، واحبطوا المؤامرات التى تدبر لهم ، وأبعدوا عن المدينة الخطر الذى طالما تهددهم ، وأصبحوا اكثر استعدادا لصد الهجمات المتوقعة من جانب أهل مكة .

وأما في مكة فكان أثر المعركة عنيفا على نفوس الناس ، حيث لم يكن أحد يتوقع هذه النتيجة المؤسفة ، ولكن هذا الأثر اتجه اتجاها واحدا ، وبرز في تفكيرهم شبحا للثأر الذى لا يمكن تركه مهما كلفهم من جهد أو مال ، فاتفقوا على أن يجعلوا القافلة التى نجا بها أبو سفيان ، والتى كانت سببا في معركة بدر وقفاً على تمويل جيش يحاربون به المسلمين لعلهم يدركون به ثأرهم ، وكانت القافلة تضم ألف بعير ومن الأموال خمسين الف دينار (٢) وضعت جميعها في خدمة الجيش الذى عقدوا عليه آمالهم .

محمد السيد الوكيل
مدرس التاريخ الاسلامى
في كلية الحديث الشريف
والدراسات الاسلامية

---

(٢) المواهب اللدنية (٩٢/١) .

فتح الفتوح

لفضيلة الدكتور عباس محجوب

ارتبط شهر رمضان المبارك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بأحداث عظيمة على قمتها موقعة بدر الكبرى التى كانت نقطة انطلاق عظيمة في انتصارات المسلمين على مر التاريخ وتوالت بعدها انتصارات المسلمين المرتبطة بهذا الشهر الكريم فكان فتح مكة والعودة من تبوك واسلام ثقيف بعد عودته من تبوك في السنة التاسعة .

ولم تكن انتصارات المسلمين في هذا الشهر المبارك في حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — فحسب بل تتابعت هذه الانتصارات فكان فتح الأندلس في رمضان عام ٩٨ هـ .

وانتصارات صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين كما كان انتصارهم الاكبر على التتار في رمضان سنة ٦٥٨ هـ في معركة عين جالوت وما أكثر انتصارات المسلمين في شهر رمضان لو تتبعنا تاريخهم ولكننا نأخذ واحدة من هذه المعارك التى لا زالت محل عناية المسلمين ودراستهم وتدبرهم لما سبقها من أحداث وما ترتب عليها من نتائج وتلك المعركة هى فتح الفتوح — فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة .

ولا يشك أحد في أن انتصارات المسلمين في معاركهم السابقة لفتح مكة في بدر وأحد وغيرهما من الغزوات والسرايا وانتصارهم الدبلوماسى الأكبر في صلح الحديبية — تلك الانتصارات لم تكن الا تمهيداً للنصر الكبير تدبيرا إلهيا قاد المسلمين الى هذا النصر الذى لم يخطر في مخيلة الكثيرين بالسرعة الزمنية التى تمت فيها ، فمن من المهاجرين كان يحلم بالعودة الى مكة فاتحا منتصرا بعد سنوات قلائل ؟ إن مثل هذه الانتصارات تحتاج الى فترة زمنية طويلة واعداد وتخطيط مستمر ولكنه في تقدير الله سبحانه وتعالى أمر لا يحتاج لغير التسليم بأن تقديره فوق حساب البشر وتقديرهم .

سبب التسمية :

سمى فتح مكة ، بفتح الفتوح « لأن العرب كانت تنتظر بإسلامها إسلام قريش ويقولون هم أهل الحرم وقد أجارهم الله من أصحاب

الفيل فإن غلبوا فلا طاقة لأحد به صلى الله عليه وسلم فلما فتح الله مكة دخلوا في دين الله افواجا قبائل على جملتها بعد أن كانوا يدخلون افرادا ولم يقم للشرك قائمة بعده » (١)

سبب الغزوة :

تذكر كتب السيرة والتاريخ ان العداوة كانت مستمرة بين قبيلتي خزاعة وبنى بكر كأغلب العلاقات القبلية في الجاهلية وبدايات الاسلام الاولى ، وعندما عقد الصلح بين المسلمين وقريش في الحديبية دخلت خزاعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بينما دخلت بنو بكر في عهد قريش ، ولصلة خزاعة بالرسول صلى الله عليه وسلم جذور تاريخية اذ أن خزاعة كانت في عهد مع عبد المطلب جدّ الرسول صلى الله عليه وسلم مما جعلها تأتي بعد صلح الحديبية الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهى تحمل نص العهد الذى كان بينهما وبين عبد المطلب (٢) وقد اراد الله لذلك الصلح أن يبلغ أجله فنشب النزاع بين خزاعة وبكر وأعانت قريش بنى بكر على خزاعة بالسلاح والرجال خفية فقاتلوا معهم وأصابوا منهم فانتقض بذلك العهد الذى كان بينهم وبين المسلمين ، وجاءت رسل خزاعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رأسها عمرو بن سالم الخزاعى الكعبى الذى وقف على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بالمسجد وأنشده :

يارب إني ناشـــد محمدا
حلف أبينا وابيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والـــدا
ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجـــردا
إن سيم خسفا وجهه تربّدا
في فيلق كالبحر يجرى مزبدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضـــوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى في كداء رُصّدا
وزعموا أن لست ادعوا أحدا
وهم أذل وأقـــل عددا
هم بيتونا بالوتير هجـــدا
وقتلونا ركعا وسجّدا(٣)

فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرضت سحابة في السماء فقال عليه الصلاة والسلام إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب ،(٤) وأخبر عليه الصلاة والسلام بوحى من الله بما يدور في خاطر قريش وما يتوقع منهم فقال : « لكأنكم

(١) عماد الدين يحى بن ابي بكر العامرى – بهجة المحافل ص ٣٩٧ المجلد الأول .
(٢) الواقدى – المغازى ص ٧٨١ ج ثاني .
(٣) راجع القصة كاملة في سيرة ابن هشام ص ٣٨٩ المجلدات الثاني الطبعة الثانية ١٨٥٥ م .
(٤) بهجة المحافل ص ٣٩٩ .

بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد في الهدنة (١) .

وكيف لا يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم نفسية قريش وما يشغل بالها آنذاك وقد اعطاه الله عقلا نيرا وفكراً ثاقبا وبصيرة لا تخطئ لأنه يسنده الوحى دائما فهذه قريش منزعجة من الحادث مترقبة لرد الفعل خائفة من العاقبة واكثرهم انزعاجا قائدهم أبو سفيان الذى أخبر قريشا عن رؤية رأتها زوجه هند كرهها وخاف منها اذ رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف عند جبل بمكة مما جعل أبا سفيان يستنكر اشتراك قريش في القتال ونقضها للعهد ويقول : « والله ليغزونا محمد إن صدقنى ظنى وهو صادقي ومالى بد أن آتي محمدا فأكلمه أن يزيد في الهدنة ويجدد العهد قبل ان يبلغه هذا الأمر » فقالت قريش قد والله أصبت الرأى . (٢) .

وهكذا جرت الاحداث بمشيئة الله تعالى الذى هيأ للمسلمين امرا لم يفكروا فيه وظفراً لم يحلموا به وقد علل الرسول عليه الصلاة والسلام لتلك المشيئة بقوله لعائشة ام المؤمنين رضى الله عنها وهى تستبعد من قريش أن تنقض العهد وما لها مقدرة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينقضون العهد لأمر يريده الله تعالى بهم » وتسأل عائشة : خير أو شر يا رسول الله قال خير (٣) . وكيف لا يكون خيرا وهو سيحمل رسالة الاسلام الى أهل مكة ومن حولها يستظلون بظلها وينعمون بفيئها ويسعدون في الدنيا والآخرة بنشرها وحمايتها .

وما لبث ان جاء ابو سفيان كما أخبره المصطفى صلى الله عليه وسلم يطلب شد العهد وزيادة المدة فيجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه على العهد والمدة لا يُغير ولا يبدل غير أن الأمر لم يفت على ذكاء أبي سفيان وحنكته وتجاربه وخبرته فلم يطمئن قلبه ولم تهدأ نفسه فبحث عن وسيلة أخرى ينقذ بها قومه فطلب من يتشفع به الى رسول الله فبدأ بأبي بكر الصديق رضى الله عنه فاعتذر له برفق ، وذهب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأغلظ له القول ورده بعنف ، واتجه الى على رضى الله عنه ومعه فاطمه رضى الله عنها وابنهما الحسن رضى الله عنه بلعب بين يديهما ، فاعتذر له على وبلغ اليأس بأبي سفيان والحيرة في الأمر ان يطلب من فاطمة شفاعة الحسن لجده فتعتذر بصغر ابنها عن الأمر ثم ينصحه على نصيحة قبلها وعمل بها وليس له غيرها ، فأعلن أبو سفيان في المسجد بين الناس انه أجاره . ولكن هل يغنى ذلك عنه شيئا ؟ ورجع ابو سفيان الى قومه مهيض الجناح كسير القلب مشتت الفكر ليجد من قومه غلظة واستنكارا لاخفاقه وفشله في زيادة المدة وتمكين العهد .

---

(١) المغازى للواقدى ص ٧٩١ ج ثاني .

(٢) المصدر السابق ص ٧٨٥ ج ثاني .

(٣) المصدر السابق ص ٧٨٨ ج ثاني .

استعداد المسلمين للحرب :

عزم رسول الله ﷺ على قتال قريش والظروف كلها مهيأة لذلك والنصر مضمون باذن الله لا سبيل لقريش في جمع العرب على رسول الله ﷺ وقد بادرت بنقض العهد وتخطى المواثيق ، فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة ان تجهز له وتكتم أمره وقال ما معناه : اللهم خذ على قريش الاخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة ، وحفظت عائشة كعهدها سر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عن ابيها الصديق الذى ذهب الى رسول الله وسأله فأعلمه طالبا منه كتمان الأمر ، وأخذ المسلمون يفكرون الى أى يود الرسول أن يتوجه ، وزيادة في الحذر والسرية يبعث الرسول (ﷺ) سرية بقيادة ابي قتادة بن ربعى الى بطن اضم في الطريق بين مكة واليمامة (١) فيحتار الناس في اتجاه الرسول ومقصده ، ثم ارسل الرسول رسله الى اهل البادية يطلب منهم أن يحضروا رمضان بالمدينة ، وانتشرت رسله تحمل الدعوة الى قبائل اسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وبنى سليم وضمرة وبنى كعب ، وفي أثناء ذلك كله حدث ما اشار الى مقصد رسول الله . فمثلا في قصة حاطب بن ابي بلتعة تلك القصة التى تمخضت عنها تشريعات وتعاليم وابراز لمكانة اهل بدر فما هى تلك القصة ؟

رسالة حاطب :

قصة حاطب بن ابي بلتعة هى قصة النفس الإنسانية عندما تركن الى بشريتها ويصيبها الوهن والضعف وهى خاضعة للتفكير في الأمر من زاوية ضيقة شخصية . فقد كتب الى قريش يخبرهم بعزم الرسول على غزوهم ، وكانت الرسالة موجهة الى صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو الذى وقع اتفاقية الهدنة مع الرسول وكتب بنودها نيابة عن قريش — وعكرمة بن ابي جهل ، وجاء في رسالة حاطب « أن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد بكتابي إليكم » وسلم الكتاب لامرأة من مزينة جعلته في شعرها وقد ضفرت شعرها عليه وقد جعل لها اجرا على ذلك ، الا أن الله سبحانه وتعالى اخبر نبيه بما فعل حاطب استجابة لدعوته بأن يخفى الله أمرهم على قريش ، فارسل الرسول (ﷺ) عليا والزبير وطلب منهما أن يدركا المرأة ، فأدركاها وانزلاها وفتشا رحلها فلم يجدا شيئا فقالا لها : « انا نحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبنا ولتخرجن هذا الكتاب او لنكسفنك ولما علمت المرأة بجدهما وعزمهما على فعل ما قالا ، حلت ضفائرها وأخرجت الكتاب فجاءا به الى رسول الله ، فاستجوب حاطبا على فعله فأكد حاطب ايمانه بالله ورسوله

(١) الواقدى — المغازى ص ٧٩٦ ج ثاني .

وانه لم يتغير أو يتبدل ، ولكنه اراد أن تكون له دالة على قريش لوجود اهله وولده بينهم ، وثار عمر ضى الله عنه على حاطب وطلب من الرسول (ﷺ) ان يضرب عنقه لأنه منافق في نظره ، ولكن رسول الله يجيب : « وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله قد اطلع يوم بدر على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وتذكر بعض الروايات بأن الله سبحانه وتعالى أنزل بعد هذه الحادثة قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » (١) .

وفي هذه القصة نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يرد للصحابي اعتباره امام المسلمين وقد عظم الأمر عندهم ، وذلك لتأكد الرسول (ﷺ) من صدق كلام حاطب ، وتأكده من حسن إيمانه ، وأن الأمر لا يعدو أن تكون حالة نفسية استسلم فيها الصحابي لحاجته . والرسالة نفسها في صيغتها تنبئ عن ذلك فقد قال لقريش : « إن رسول الله قد اذن في الناس » ولم يقل : « ان محمدا كما يقول المنافقون .

والقصة لا تخلو من دروس للمسلمين في أهمية كتمان السر واحاطة تحركات المسلمين بالسرية والتزام الجندى المسلم بتنفيذ الأمر من تجرد وإيمان » تم فيها اشعار بعظم مكانة أهل بدر وما أعد الله لهم من نعيم مقيم .

خروجه صلى الله عليه وسلم :

عسكر الرسول صلى الله عليه وسلم في بئر ابي عنية ووزع المهام وقسم الرايات على الجيش الذى وصل الى عشرة الآف مقاتل من المهاجرين والأنصار والقبائل الأخرى وخرج بهم يوم الأربعاء العاشر من رمضان وهم صائمون في لفحة الحر وبعد الطريق . وقد نادى فيهم مناد الرسول صلى الله عليه وسلم يخيرهم بين الفطر والصوم ، ولكن من الذى يهنأ بالفطر والرسول القائد صلى الله عليه وسلم صائم يضرب أروع الامثال في الجلد والصبر والتخطيط والتدبير وأصحابه يرونه يصب الماء على رأسه ووجهه من شدة العطش ومع ذلك يأخذ الرسول عندما يصل الى الكدية إناءً مملوءاً بالماء في وقت العصر ويشرب منه وهو على راحلته ليراه الجميع وهو يقول لأصحابه فيما يرويه أبو سعيد الخدرى « انكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم » ومع ذلك يخبر أن قوما تمادوا في الصيام فيقول : « اولئك العصاة »

ومع ذلك لم يكن المسلمون على يقين من

---

(١) راجع القصة في المغازى ص ٧٩٧ وما بعدهما ، الخصائص الكبرى للسيوطى ص ٨٧ ج ثاني ، بهجة المحافل ٤٠١ – ٤٠٢ ، جوامع السير لابن حزم ٢٢٦ .

تعليق المجلة : وهذا جريا على مذهب ابن حزم في اعتباره القطر في السفر عزيمة. وهو خلاف مذهب الجمهور حيث يرون ان الفطر في السفر رخصة – وقد تختلف باختلاف أحوال الصائمون وظروفهم .

وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يقصد قريشا أم هوزان أم ثقيفا مما جعل كعب بن ماللك يذهب اليه ويبرك على ركبتيه بين يدى المصطفى (ﷺ) وينشده :

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبرَ ثم اجمعنا السُّيوفا
نسائلها ولو نطقت لقالتْ
قواطعهن دوساً أو ثقيفا
فلست لحاضر ان لم تروها
بساحةِ داركم منها ألوفا
فتنتزع الخيام ببطن وجٍّ
وننزل دورهم منها خلوفا

فما زاد الرسول (ﷺ) على ان يبتسم له فقال له الناس :

والله ما بيِّن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، ما ندرى بمن يبدء ، بقريش او ثقيف او هوازن (١) .

أما قريش فكانت وجلة خائفة مترقبة غير مطمئنة ودفعها الخوف ومحاولة معرفة الأخبار الى أن يخرج أبو سفيان وآخرون علهم يعرفون شيئا .

وقد خاف العباس بن عبد المطلب على قريش الفجاءة قيل أن يأمنوا لأنفسهم ، فخرج في بغلة الرسول عليه الصلاة والسلام يبحث عن شخص يذهب الى اهل مكة فيخبرهم وينذرهم ، ولكنه سرعان ما سمع صوت أبي سفيان وهو يحاور صاحبه بديل بن ورقاء بعد أن رأى نيران جيش المسلمين التى اكتشفها ابو سفيان بذكائه وخبرته اذ كان صاحبه يظنها نيران قبيلة خزاعة جاءت للأخذ بثأرها فيجيبه ابو سفيان : ان خزاعة أقل واذل من أن تكون لها تلك النيران ، واذا بأبي سفيان يفاجأ بعم رسول الله (ﷺ) يناديه ، يحاوره ويطلب منه الذهاب للقاء رسول الله (ﷺ) قبل أن يقتله .

وهنا تأتي المقارنة بين موقف وموقف ، واخبار واخبار ابو سفيان يحذر قريشا فيحمد ذلك منه ، وحاطب يحذر قريشا فيستجوب عن ذلك ؟ هل هناك تشابه بين الموقفين ؟ كلا فالفارق بينهما كبير ، فارق في الزمان حيث كانت الاولى في مرحلة الإعداد والثانية في نهاية الخطة ، وفارق في المكان حيث كانت الأولى من المدينة والثانية على مشارف مكة ، وفارق في السرية والعلنية حيث أذن الرسول (ﷺ) بالثانية إذ أعطى بغلته لعمه ولم يأذن في الأولى .

اخذ العباس أبا سفيان الى رسول الله (ﷺ) ولم تكن الرؤيا واضحة بحيث يعرفه المسلمون وهو يشق صفوف الجيش ، ولكن صوت عمر رضى الله عنه يرتفع وقد ميز ابا سفيان في تلك الكلمة فيقول : « ابو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد » ويحاول عمر أن يسبق العباس الذى

(١) المغازى للواقدى ص ٨٠ .

يمتطي بغلة الرسول ليسارع بطلب الإذن لضرب عنق ابي سفيان ، ويدخل العباس في نقاش حاد مع عمر رضى الله عنه الاّ أن عمر يهدئ الموقف بالكشف عن مدى تجرده وحبه للعباس إذ يقول : « فو الله لأسلامك يوم أسلمت كان أحب الىّ من إسلام الخطاب او أسلم وما بي الا أني قد عرفت ان اسلامك كان أحب الى رسول الله (ﷺ) من اسلام الخطاب » (١) .

ولم يكن ابو سفيان أقل وضوحا وصراحة ممن حوله ، فعندما طلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم ان يؤمن لم يتردد ولكنه اخبر بأن في نفسه شيئا من أن محمدا رسول الله مع اعترافه بحلم الرسول وكرمه وصلته للرحم ، ثم عُرضت على ابي سفيان كتائب جيش المسلمين قبيلة بعد قبيلة اخرى ورجالا وراء رجال ، وابو سفيان مندهش متعجب مقتنع بأن قريشا لا قبل لها بمثل هؤلاء الرجال المجاهدين الصابرين واذا به يسرع الى مكة لينقذ قومه من الهلاك مخبرا لهم بتأمين الرسول صلى الله عليه وسلم لمن دخل داره او المسجد أو دار ابي سفيان .

ودخلت جيوش الاسلام مكة تحمل رايات العزة وألوية السلام والجيش مقسم في نظام بديع أظهر عظمة الرسول (ﷺ) العسكرية وكبار قادة المسلمين على رأس تلك الجماعات على بن ابي طالب وخالد بن الوليد والزبير رضى الله عنهم وموكب الرسول (ﷺ) المهيب يتقدمه ابو عبيدة الجراح رضى الله عنه .

انه موكب رهيب وساعات حاسمة ، المسلمون يدخلون من أسفل مكة واعلاها ومن ذى طوى ، والاوامر لدى القادة بازالة العوائق ومحاربة من يقاتلون ، ولم يقتل من المسلمين الا رجلين شذا عن جيش خالد ، اما المشركون فقد قتل منهم ثلاثة عشر رجلا (٢) .

ودخل الرسول (ﷺ) شاكرا خاضعا لله رحيما شفوقا بقريش اعطى الامان للجميع الا رجالا ارتبطت اسماؤهم بقضايا معينة ومواقف تستدعى المساءلة والجزاء من امثال عبد العزى بن خطل الذى ارتد وقتل من بعثه الرسول (ﷺ) معه لجمع الصدقات ، ثم لحق بالمشركين ، وقد وجد متعلقا بأستار الكعبة فقتل جزاءا ارتداده وقتله لصاحبه وخيانته الأمانة ، وكذلك قتل الحويرث بن نقيذ بيد على بن ابي طالب لكثرة ما كان يؤذى الرسول (ﷺ) بمكة ، كما قتل مقيس بن صبابة بيد غميمة بن عبدالله لقتله رجلا من الانصار قتل اخاه عن طريق الخطأ . وهناك من أمنهم الرسول (ﷺ) كاحدى جاريتى ابن خطل الهاجيتين لرسول الله (ﷺ) وسارة مولاة بنى المطلب ورجلين احتميا بام هاني بنت ابي طالب قيل انهما الحارث

(١) جوامع السير لابن حزم ص ٢٢٩ .
(٢) جوامع السير لابن حزم ص ٢٣١ .

بن هشام وزهير بن ابن أمية وكذلك عبد الله بن سعد بن أبي السرح وعكرمة بن ابي جهل وكلهم أسلموا وحسن اسلامهم وفيهم من تولى امر المسلمين (١) .

وتسلم القائد المنتصر مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة فدخل الكعبة وصلى داخلها ومعه عثمان وبلال واسامة بن زيد ثم كرم الرسول (ﷺ) عثمان اذ ترك له حجابة البيت ، وتوارثه ابناؤه وارتفع صوت بلال بنداء الحق، وحطمت الأصنام في مكة وحول الكعبة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » (٢)

وكانت للرسول (ﷺ) مواقف لا تنسى ومن ينسى موقفه من اهل مكة وهم ينتظرون مصيرهم ويتوقعون الانتقام ممن آذوه واخرجوه من بلده واتهموه بكل أمر فظيع ؟ كالسحر والكهانة والجنون والرسول (ﷺ) يقرأ ما في عيونهم ويعلم ما في نفوسهم وحياً فيسألهم : « يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم . قال فاني اقول لكم كما قال يوسف لإخوته: (لا تثريب عليكم اليوم) اذهبوا فأنتم الطلقاء (٣) .

وقد قال الرسول (ﷺ) عن مكة ما معناه : « لا تغزى بعد هذا اليوم ابدا الى يوم القيامة »

وقد عاق البيهقى على ذلك بأنها لا تغزى على كفر أهلها فكان كما قال (٤) ، ولا زال المسلمون يتعلمون من هذا الفتح العظيم دروسا من بينها :

١ — ان كلمة الله يجب ان تعلو على كلمة الكفر في أى زمان ومكان وان واجب المسلمين الدائم هو تحطيم الأصنام والطواغيت في كل صورها وأشكالها ومسمياتها .

٢ — ان الخطة التى وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم قد نفذت بدقة وتحققت الاهداف الكبرى مثل دخول الناس في الاسلام وعلى رأسها قريش .

٣ — ان الامور الهامة في حياة المسلمين لابد فيها من السرية في الهدف وفي التخطيط وفي التنفيذ .

٤ — ان الحرب النفسية سلاح من اسلحة المحاربين تفيد المسلمين اذا أحسنوا تنظيمها وتوقيتها وتنفيذها .

٥ — ان الجندى المسلم مطيع منفذ للأوامر في التأهب للجهاد والتحرك للقتال دون مراجعة او تردد .

٦ — ان روح التسامح والتعالى هى صفات

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ص ٤١٠ — ٤١١ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ص ٤١٧ — ٤١٢ وجوامع السير ص ٢٣٣ .

(٣) سيرة ابن هشام ص ٤١٢ — المغازى ٨٣٥ .

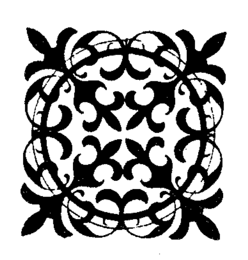
(٤) الخصائص الكبرى — للسيوطى ص ٨٣ .

جيش المسلمين فلا انتقام ولا حقد ولا مذابح ولا تمثيل .

٧ — ان ظهور المسلمين دائما بمظهر الأقوياء الاشداء المستعدين للقتال امر لابد منه لادخال الرعب في نفوس الاعداء وتنفيذ أمر الله في اعداد العدة لهم .

وما أكثر الدروس والعبر في هذه الغزوة لمن يعتبرون ويتعظون ويعدون ويخططون

إن يوم الجمعة في العشرين من رمضان سنة ثمان من الهجرة يوم من أيام المسلمين التى لا تنسى والتى يجب ان تكون منقوشة بأحداثها وظروفها ونتائجها في ذاكرة الأجيال المسلمة التى يجب أن تدرس تاريخها فتعرف جوانب العظمة فيه وتحقق بذلك اتباع نبيها صلى الله عليه وسلم واخضاع العالم لأمر ربها .



تاريخ وشرف العلوم الصيدلية

في النهضة الإسلامية

بقلم دكتور أبو الوفاء عبد الآخر — صيدلي الجامعة الإسلامية

الحمد لله ، خلق الانسان وعلمه البيان ، ورزقه العقل والإلهام ، ووهبه البحث والتجربة والبرهان . . والصلاة والسلام على سيد الأنام ، وأفضل من دعا إلى العلم النافع ، وإلى كل ما ينفع بني الانسان . .

وبعد . . فإن للأمة الاسلامية في ماضيها : نهضة وحضارة ، ورفعة وصدارة ، باركتها رسالة السماء ، وأيدتها عقيدة سمحاء . .

فبعد أن أكمل (الله سبحانه وتعالى) دينه للمسلمين ، وبعد أن تأصلت العقيدة في قلوب الموحدين ، وبعد ان دانت عمالقة الدول للأبطال المجاهدين . . سارت الأمة الاسلامية في طريق الاسباب — اسباب القوة كما نظر علماؤها في ملكوت السموات والأرض ، وبحثوا عن كل ما ينفع بني الانسان ، تعبدا وقربي إلى الله سبحانه وتعالى . . فأنعم (الله سبحانه وتعالى) عليهم بحضارة اسلامية ، امتدت عبر القرون وأضاءت كل أرجاء المعمورة .

ولقد كان (للعلوم الصيدلية) نصيب كبير في تلك الحضارة الاسلامية المباركة . وفي مقالنا هذا سوف نقدم موجزا (لتاريخ العلوم الصيدلية في النهضة الاسلامية) عسى ان يكون لنا في ذلك ، عبرة وتذكرة ، وحافز وهمة ، فنقول وبالله التوفيق :

إن (العلوم الصيدلية) تشتمل على مجموعة من العلوم ، تشترك جميعا في هدف واحد ، ألا وهو « ايجاد الدواء المناسب لكل داء » ومن هذه العلوم : الكيمياء ، والصيدلة ، والنبات ، والفيزياء .

ولقد اهتم علماء الامة الاسلامية ، في عصر النهضة الاسلامية ، بهذا الجانب من العلوم ، وقاموا بالابحاث الرائدة ، وقدموا الابتكارات الرائعة . وكلما ذكرت الحضارة الاسلامية في غابر الزمان ، ذكر التقدم الصيدلي الذى

تحقق على أيدى علماء الأمة الاسلامية .
ولقد ظلت المعارف الصيدلية ، والاعمال الصيدلية قروناً عديدة الى ما قبل النهضة الاسلامية ، اشبه بما نراه الآن من « أعمال العطارة ، وخبرات العطارين » إلى ان ظهر العلماء في عصور النهضة الاسلامية ، فقاموا بالدراسات المنهجية ، وأجـروا التجارب العملية واستعملوا الأجهـزة العلمية ، وتوصـلوا إلى الاكتشافات القائمة على البحث والتجربة وبهذا أصبحت (الصـيدلة) علماً ، له كل مقومات العلم : الملاحظة والبحث والتجربة

النهضة الصيدلية وعلماء الصيدلة :

وفيما يلى نعرض بعض مظاهر النهضة الصيدلية ، ونذكر بعض مشاهد العلما» الذين شاركوا في هذا الجانب من النهضة الإسلامية :

أولا : لقد تقدم علم الكيمياء تقدماً عظيماً ، وذلك نتيجة لمجهودات العالم الشهير (جابر بن حيان) الذى يعتبر من أعظم علماء العالم في جميع العصور . ولقد عرف العلماء قدره فسموا « علم الكيمياء » (علم جابر) .

وكان (جابر بن حيان) أول من حَضَّرَ : حامض الكبريتيك ، وحامض النيّتريك وكربونات الصودا ، وكربونات البوتاسيوم وماء الذهب . وأصبح لهذه الكيماويات أهمية عظمى في العصور الحديثة ، بل تكاد تكون من اسس حضارة القرن التاسع عشر والعشرين ، في الكيمياء ، والصيدلة ، والزراعة ،والصناعة .

وهو أول عالم كيميائي استعمل الموازين الحساسة في التجارب الكيميائية .

ولقد ابتدع طرقا أفادت كثيراً في تحضير العقاقير وتنقيتها وذلك في عمليات (البلورة ، والترشيح ، والتقطير ، والتصعيد) وغيرها من الاعمال الهامة الكيميائية والصيدلية .

وكان (جابر بن حيان) حريصا على ابراز أهمية التجارب ، واتباع المنهج التجريبي ، ومن أقواله المأثورة « ان من واجب المشتغل في الكيمياء ، العمل واجراء التجارب ، وإن المعرفة لا تحصل إلاّ بها » وبهذا يكون (جابر بن حيان) ومن بعده (مسلمة بن احمد المجريطى) قد سبقا علماء الغرب بعدة قرون في إخضاع العلم للتجربه ، ووضع اسس « المنهج العلمى » ، الذى يقوم على التجربة .

وألف (جابر بن حيان) العديد من الكتب في الكيمياء والصيدلة منها كتاب (الموازين) وكتاب (سر الاسرار) وكتاب ، (الخواص) وكتاب (السموم ودفع مضارها) ولقد ترجمت معظم كتبه إلى اللغات الأوربية ، وظلت مرجعاً في جامعات أوربا لعدة قرون .

ثانيا : ولقد ارتقت العلوم الصيدلية والطبية والكيميائية ، بعد ذلك درجـات أخرى ، على يدى العالم الشهير (ابو بكر الرازى) ، الذى برع في الطب والصيدلة والكيمياء ، ومن مؤلفاته كتاب (المنصورى) الذى

أهداه إلى « المنصور » أمير خراسان ، والذى ترجمه إلى اللاتينية فيما بعد « جيرار الكريموني » وظلت تدرس الأجزاء الكيميائية والطبية منه بجامعات أوربا ، حتى القرن السادس عشر .

وكتاب (الحاوى) وهو موسوعة من عشرين جزءاً ، يبحث في كل فروع الطب والكيمياء ، وكان يدرس ايضا في جامعات أوربا ، بل إنه كان أحد الكتب التسعة التى كانت تدرس بكلية طب باريس سنة ١٣٩٤ .

وكان مؤلفه (الجدرى والحصبة) دراسة علمية رائعة ، وهى الدراسة الأولى التى استطاعت أن تفرق بين تشخيص هذين المرضين ، وحتى تعرف قيمة الكتاب الطبية ، فقد أعيد طبعه أربعين مرة باللغة الانجليزية بين عام ١٤٩٤ ، سنة ١٨٦٦ ، وهو من أوائل الكتب التى اخرجتها المطابع الأولى في العالم .

وهو الذى اخترع خيوط الجراحة المصنوعة من جلد الحيوان .

كما أنه قدم العديد المبتكر من الأدوية التى تعالج أمراض العيون ، والصدر والأمعاء والمجارى البولية .

ثالثا : ولقد خضعت الأدوية والعلاجات لدراسات مستفيضة على أيدى علماء الأمة الاسلامية في عصور النهضة الاسلامية . وكان من أبرز العاملين في هذا الميدان العالم الشهير (ابن سيناء) الذى يعتبر من أعظم العلماء إلى عصرنا هذا ، وكتابه (القانون) من أشهر المؤلفات الطبية التى سجلها التاريخ ، وظلت هذه الموسوعة مرجعا للطب والصيدلة في كثير من بلاد العالم المتحضر ، حتى أوائل القرن الثامن عشر ، ولقد بدأت كتبه تترجم منذ أوائل القرن الثاني عشر ، وظلت بعض دراساته اساساً لبرامج التعليم الطبي والصيدلي في اسبانيا وفرنسا وايطاليا حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر .

وقام (ابن البيطار) وهو اكبر علماء النبات من العرب ، بدراسات موسعة على النباتات الطبية ، وقام بإجراء التجارب عليها ، وأخذ يقارن بين دراساته وتجاربه ، وما كتبه (ديستوريدس) و (جالينوس) من الغرب و (الإدريسي والغافقى) من العرب .

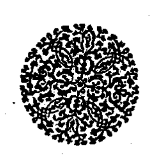
رابعا : ولقد مهد علماء الأمة الاسلامية في عصور النهضة الاسلامية للصناعات الصيدلية نتيجة لما قاموا به من دراسات في (فن التجهيز الدوائي) . ولقد وصف (ابو مروان بن زهر) « قالبا » توضع فيه المساحيق ، لتخرج أقراصا سهلة التناول . كما قام بدراسات لحفظ العقاقير فكان من اوائل الباحثين في هذا الحقل . .

(وبعد) . . فهذا عرض موجز لجانب من جوانب النهضة الاسلامية التى عاشها المسلمون ، لعدة قرون ، وذلك عندما تأصلت العقيدة في نفوسهم ، وهانت الحياة في عيونهم ، ولانت الاسباب لعزائمهم . فعلى أثر ظهور

الاسلام في الجزيرة العربية ، ظهرت أمة مسلمة ، تولى أمرها : سيد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين (محمد) صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وفي أقل من ٥٠ عاماً كانت الأمة الاسلامية من الهند وفارس شرقاً إلى المحيط الأطلسي وشمال اسبانيا غرباً ، وأصبحت : المدينة المنورة ، والكوفة ، ودمشق ، وبغداد ، والبصرة ، وسمرقند ، والقيروان ، والقاهرة ، وغرناطة ، وقرطبة وطليطلة ، مراكز الحضارة لهذه الأمة الاسلامية ، وانضمت إلى هذه العواصم فيما بعد عواصم أخرى اسلامية : كالأستانة والقسطنطينية . ولقد بلغ المسلمون من المدنية والتقدم والحضارة ، درجة عظيمة لم يبلغها شعب من شعوب الأرض في مثل هذه الفترة القصيرة . كما امتدت حضارتهم عدة قرون واضاءت كل أرجاء المعمورة . وكانت النهضة العلمية التى بلغتها الأمة الاسلامية الاساس الذى قامت عليه النهضة الحديثة ، ولو أنصف المؤرخون لقالوا : بأن النهضة الحديثة بدأت منذ النهضة الاسلامية ، واستمرت في تطور متصل بحيث يجب اعتبار النهضة الاسلامية ، والنهضة الإوربية ، جزءين متصلين للنهضة الحديثة ، المستمرة حتى يومنا هذا .

ولهذا فإن (قضية تصحيح تاريخ العلوم) ما زالت مطروحة على الفكر الإنساني بعامة ، والفكر الاسلامى بخاصة ، ومن الواجب على رجال التاريخ الدفاع عن هذه القضية بما يتيح للحقائق التاريخية أن تظهر وتسود ، وبما يتيح لتاريخ الحضارة الاسلامية أن يأخذ مكانته اللائقة بين تاريخ الحضارات . .

(وختاما) . . آمل أن يكون في الحديث عن الحضارة الاسلامية ما يحفز الهمم ، ويشد العزائم ، ويقضى على حالة اليأس والاستسلام ويدفع المسلمين جميعا إلى العمل الجاد ، الخالص لوجه الله الكريم ، حتى تأخذ الأمة الاسلامية دورها في ركب الحضارة وحتى تصبح : أمة قائدة لا مقودة ، ومبتكرة لا مقلدة . . والله ولي التوفيق . .

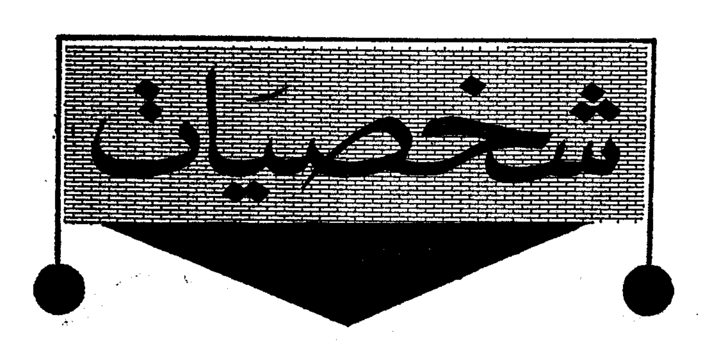


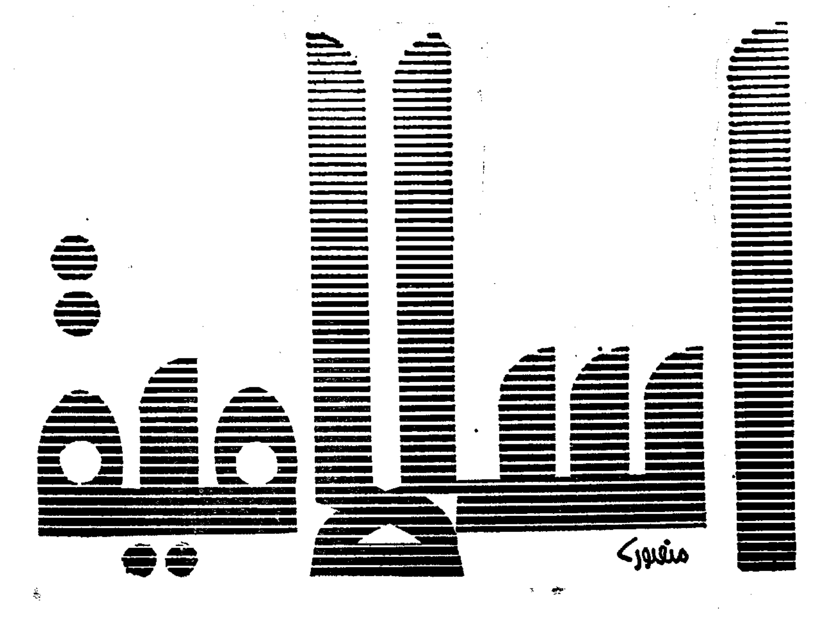
أحاديث في حفظ اللسان

١ – عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت » . متفق عليه . .

٢ – وعن ابي موسى الاشعرى رضى الله عنه قال :
قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل ؟ قال :
« من سلم المسلمون من لسانه ويده » . . متفق عليه

٣ – وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من ضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة »


شخصيات


اسلامية
منصور

الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

مثال الطالب المكافح والداعية الناجح

لفضيلة الدكتور جمعه على الخولي كلية الدعوة وأصول الدين

من رجالات الدعوة في القرن السادس الهجرى عالم العراق الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن على بن محمد المعروف بابن الجوزى ، ولد سنة ٥١٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ .

أمضى عبد الرحمن هذا طفولته يتيما حيث توفي أبوه وله من العمر ثلاث سنين ، وبعد وفاة أبيه أهملته أمه وانصرفت عنه ، وتركته لعمته التي منحته كل عطفها ورعايتها وكانت خير عوض عن فقده لرعاية أبيه أو عطف أمه عليه ، بل لقد كان لحدب هذه العمة على ابن أخيها دخل كبير فيما صار إليه ابن الجوزى فيما بعد عالما مرموقا وإماما مشهورا ، فهي التي سهرت على خدمته وتعليمه .

ومن يدرى ، فلعله لو قدر وعاش أبوه لتغيرت حياته تبعا لظروف عمل الأسرة فلقد كان أبوه وأهله تجارا بالنحاس لم يشتغل أحد منهم بالعلم غيره (١) .

ولقد صرح ابن الجوزى في مواضع من كتابه (صيد الخاطر) بأن أباه توفي وهو صغير وكان موسرا خلف له من الأموال الشئ الكثير ، ولهذا نرى أنه يكثر الكلام على نفسه في أكثر من كتاب فيبين أنه نشأ في النعيم ، وربي على الدلال ، وأنه قد حبب إليه العلم من زمن الطفولة ، ولم يرغب في فن واحد بل رغب في كل فن من فنونه (٢) .

إلا أن هذه الظروف من تَيَسُّرِ المورد والبسطة في الرزق وسعة الحياة لم تدم طويلا ، فرغم أن أباه قد أورثه مالاً كثيرا كان يتيح له أن يعيش هذه العيشة الناعمة لو أن الذين تولوا تربيته ورعايته في طفولته قاموا بما يحقق العدل ويحفظ له ماله حتى يبلغ رشده .

---

(١) لفتة الكبد في نصيحة الولد لابن الجوزى ، والبداية والنهاية لابن كثير أحداث ٥٩٧ .

(٢) انظر « صيد الخاطر » الفصل – ٢١ ومقدمة التحقيق لعلى الطنطاوى / ٢٤ .

إلا أن أمه – كما ذكرنا – أهملته وتركته لعمته ، وبدد الورثة ماله ولم يعطوه إلا عشرين دينارا ودارين، وقالوا له هذا نصيبك من إرث أبيك ، فاشترى بذلك كتبا (١) .

ثم إن همته في طلب العلم جعلته يصرف وقته وهمه في تحصيله ، مستسهلا الصعاب متحملا الشدائد ، قانعا باليسير ، حتى إنه يحدثنا عن نفسه بأنه لا يجد ما يقتات به إلا كسرات الخبز الجاف ، ولا يجد ما يأتدم به إلا الماء البارد ، ولكنه مع هذه الحياة الخشنة لم يتطلع إلى ما في أيدى الناس ولم يذل نفسه لأحد قال : « ولقد كنت أصبح وليس لى ما آكل وأُمْسِي وليس لى ما آكل ، ما أذلني الله لمخلوق قط ، ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضى ولم يعوزني شيئا من الدنيا بل ساق إلى مقدار الكفاية وأزيد (٢)» .

وأورَثَ العلمُ في قلبه لذةً فاقت كل لذة ، وأنسته كل غصة قال : « ولقد كنت في مرحلة طلبي

للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندى أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو . كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب العلم وأقعد على نهر عيسى – نهر في بغداد – فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها شربة وعين همتي لا ترى لذة إلا لذة تحصيل العلم (٣) .

وقال أيضا يخاطب ولده : « وما زال أبوك في طلب العلم ، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ ، ولابعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئا وأموره تجرى على السداد (٤) (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) (٥) » .

وهكذا فليتأس الدعاة وطلاب العلم . .

على الواحد منهم أن يمتلك نفسه ويعف ، وينطلق من قيود الرغبة والرهبة ويرتضى لونا من الحياة بعيدا عن ذل الطمع ، وشهوة التنعم ، وحب الدنيا ، ولله در القائل .

أمتُّ مطامعى فأرحتُ نفسى ... فإن النفس ما طمعت تهون

ومن قول على بن عبد العزيز القاضى رحمه الله تعالى :

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتى ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزَما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعُظِّمَا
ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... مُحَيَّاه بالأطماع حتى تجهما

(١) ، (٢) ، (٣) صيد الخاطر لا بن الجوزى ... (٤) لفتة الكبد في نصيحة الولد لا بن الجوزى
(٥) سورة الطلاق ٢ ، ٣ . .

كما قيل لأعرابي بالبصرة من سيدكم ؟

قال الحسن : يقصد الحسن البصرى رحمه الله . .

قال : بم سادكم ؟ قال : احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دينارهم .

منزلة ابن الجـــوزى في الوعظ :

اشتغل ابن الجوزى بالوعظ قرابة قرن من الزمـــان ، وقد بلغ فيه شأوا بعيدا حتى اشتهر بذلك وعرف به . . قال ابن كثير « تفرد بفن الوعظ الذى لم يُسْبَق إليه ولا يُلْحَقُ شأوُه فيه ، وفي طريقته وشكله ، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ، ونفوذ وعظه ، وغوصه في المعاني البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة بما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة (١) .

وكان يسمع وعظَه مرة الخليفة المستضئ العباس فالتفت إلى ناحيته وهو في درسه وقال : يا أمير المؤمنين ، إن تكلمتُ خفتُ منك، وإن سكتُ خفتٌ عليك ، وإن قول القائل لك اتق الله خير له من قوله لكم أنتم أهل بيت مغفور لكم . . ثم زاد قائلا « لقد كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغنى من عامل ظلَمَ فلم أغيره فأنا الظالم ، كما كان رضى الله عنه يضرب بطنه عام الرمادة ويقول : قرقرى أوْلاَ تقرقرى فوالله لاذاق عمرُ سمناً ولا سمينا حتى يَطْعَمَ سائر الناس .

فبكى المستضئ وتصدق بمال كثير ، وأطلق المحبوسين ، وكسا خلقا من الفقراء . . (٢)

ومن مناجاة ابن الجـــوزى : « الهى لا تعذب لسانا يخبر عنك ، ولا عينا تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدما تمشى إلى خدمتك ، ولا يدا تكتب حديث رسولك فبعزتك لا تدخلنى النار فقد علم أهلها أني كنت أذب عن دينك » . .

ومن أجوبته الموفقة ما ذكره ابن خلِّكان من أنه وقع نزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلى رضى الله عنهما ، ورضى الكل بما يجيب به الشيخ ابن الجوزى ، وتوجهوا إليه بالسؤال وهو في مجلس وعظه ، فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، ثم نزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك . . فقالت السنية هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضى الله عنها تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت الشيعة هو على بن أبي طالب رضى الله عنه لأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحته » قال ابن خلكان : وهذه من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن ، فضلا عن البديهة (٣) .

---

(١) البداية والنهاية حوادث سنة ٥٨٧ .   (٢) المرجع السابق .   (٣) وفيات الأعيان ٣٢٢/٢ .

ابن الجــوزى : وابن قيم الجوزية :

ذكر الذين ارخوا لابن الجوزى أنه كان له من الأولاد الذكور ثلاثة أكبرهم عبد العزيز ، وقد مات شابا في حياة والده سنة ٥٥٤ ، والثاني أبو القاسم على الذى ألف له رسالة « لفتة الكبد في نصيحة الولد » وكان يأمل أن ينبغ في العلم وينهج سيرة أبيه ، لكن ما أراد الله له ذلك ، بل لقد ذكر بعض المؤرخين أن هذا الولد كان عاقا له ، وكان يتسلط على كتبه فيبيعها بأبخس الأثمان . . والثالث وهو أصغرهم محي الدين يوسف ، ذكروا أنه كان أنجب أولاده ، اشتغل بالدعوة والوعظ على طريقة أبيه ، وباشر الحسبة في بغداد ، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ، وفي آخر حياته أسندت إليه أستاذية دار الخليفة المستعصم العباسى ، وقتل معه سنة ٦٥٦ أيام الغزو التترى على المسلمين واستيلاء هولاكو على بغداد .

ومحي الدين يوسف هذا هو الذى بنى المدرسة الجوزية بدمشق . . وإلى هذه المدرسة ينسب والد الإمام ابن القيم لأنه كان قيما عليها ، وبعض الناس يخلطون بينه وبين ابن الجوزى حتى أنه طبع كتاب أخبار النساء لابن الجوزى ونُسب إلى ابن قيم الجوزية وذلك من غفلة النساخ ودور النشر . . مع أن بين وفاة ابن الجوزى ووفاة ابن قيم الجوزية ستين سنة والأول بغدادى والثاني دمشقى (١) .

دروس من حياة ابن الجوزى لطلاب العلم ودعاة الإسلام :

إن حياة ابن الجوزى لتعد قدوة لطالب العلم ، ونموذجاً للعالم المسلم والواعظ المرشد ونوضح ذلك في الآتي : –

١ – الصبر على متاعب التحصيل وحياة الشظف ، والاشتغال بلذة العلم وحلاوة المعرفة فإن في ذلك سلوى عن كل مفقود ، وقد رأيت أن ابن الجوزى كان لا يجد ما يأتدم به فيأخذ الرغيف اليابس ولا يأكله إلا عند الماء ليستعين به على بلع الطعام ، ومع ذلك حول كل همته إلى طلب العلم .

٢ – إدمان القراءة وكثرة الاطلاع . . ولقد حاول ابن الجوزى جاهدا وصادقا أن يقرأ كل ما تقع عليه عينه ، وهكذا الطالب المجد ، والداعية الحصيف ، إنه مدمن قراءة ، وصديق للكتاب به يأتنس ، وله يلازم الصحبة . ولسان حاله يقول :

أنـا من بدل بالكتب الصحابا　　　لم أجد لى وافيا إلا الكتابا

يقول ابن الجوزى : سبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب ، وأن يكثر من المطالعة ،

---

(١) انظر مقدمة صيد الخاطر لعلى الطنطاوى / ٣٧ .

وعلى الفقيه أن يطالع من كل فن طرفا من تاريخ وحديث ولغة وغير ذلك ، فإن الفقيه يحتاج إلى جميع العلوم ، فليأخذ من كل شئ منها مهما (١) . .

ثم يقول مخبرا عن نفسه وحاله « ما أشبع من مطالعة الكتب ، وإذا رأيت كتابا لم أره فكأني وقعت على كنز ، ولو قلت إننى طالعت عشرين ألف مجلد كأن أكثر وأنا بعد في الطلب (٢) » أى في مرحلة طلبه العلم .

٣ – وكان من نشاطه العلمي أن يسعى إلى العلم حيث وجد لا يضن بمجهود مهما عظم يقول : « لم أترك أحدا ممن يروى ويعظ ، ولا غريبا يقدم إلا وأحضره ، وأتخير الفضائل ، ولقد كنت أدور على المشايخ للسماع فينقطع نفسى من العدو لئلا أسبق (٣) .

٤ – ومما ينبغي أن يلتفت إليه ، أن ابن الجوزى كثيرا ما كان يهتم بالربط بين العلم والعمل ربطا وثيقا ، ومن نصيحته لابنه « إياك أن تقف صورة مع العلم دون العمل به ، فإن أقواما أعرضوا عن العلم بالعمل فمنعوا البركة والنفع به ، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون ، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر (٤) .

٥ – وكانت الأمانة العلمية جزءا من منهجه يقول : « وإذا سئلت عما لا تعلم فقل الله أعلم » وكان يعيب على العلماء الذين يفتون بلا علم حفظا للمظاهر ومن كلامه « إن كثيرا من العلماء يأنفون من قول (لا أدرى) فيحفظون بالفتوى جاههم عند الناس لئلا يقال جهلوا الجواب . وإن كانوا على غير يقين مما قالوا . . وهذا نهاية الخذلان ، وقد روى عن مالك بن أنس رحمه الله أن رجلا سأله عن مسألة ، فقال لا أدرى ، فقال : سافرت البلدان إليلك ! فقال : ارجع إلى بلدك وقل سألت مالكا فقال لا أدرى .

فانظر إلى دين هذا الرجل وعقله ، كيف استراح من التكلف ، ومن اثم القول بغير علم .

٦ – وكان يكره الجدال في المسائل التى تثير الفرقة بين المسلمين وتبلبل أفكارهم ، يقول في منهاج القاصدين تحت منكرات المساجد « ومن ذلك ما يجرى من الوعاظ في المساجد من الأشياء المنهى عنها كالخوض في الكلام الموجب للفتن والاختلاف » .

٧ – وكان يتطلب الدليل على كل ما يلقى إليه ، أو يسمع به ، أو يطالعه ، ولا يخضع لتزييفات

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) هذه النصوص من كتاب صيد الخاطر لا بن الجوزى .

(٢) في العبارة غموض والمؤلف رحمه الله يريد أن الذى قرأه أكثر من ذلك

ولا ينخدع ببريق الأسماء ، وإنما كان يقول كما قال الامام على رضى الله عنه « إن الحق لا يعرف بالرجال ، ولكن اعرف الحق تعرف أهله » .

● ★ ●

وبعد . . فبهذا النشاط ، وبهذه الرغبة في تحصيل العلم والاستهانة في سبيله بكل مجهود ، وبهذا الإدراك الواعي لمسئولية الداعي ، كوّن ابن الجوزى شخصيته العلمية وصار فيما بعد عالم العــراق ، وواعظ الآفــاق ، حتى رووا أنه كان يحضر مجلس وعظه أكثر من مائة ألف (١) ، ولست أدرى كيف كانوا يسمعون صوته ، ويفهمون منه ، ولم تكن مكبرات صوت ظهرت يومئــذ ، وحق للذهبي أن يقول « لا ريب إن كان هذا وقع فإن أكثرهم لا يسمعون مقالته » .

ولقد أثرى رحمه الله المكتبة الاسلامية ، بمؤلفاته الكثيرة المتنوعة ، في التفسير والحديث والوعظ والأدب والتاريخ واللغة . . وغير ذلك . . . ، ومما نوصى بقراءته من مؤلفاته في مجال الوعظ والدعوة إلى الله ما يلى : —

١ — كتاب صيد الخاطر بتحقيق الشيخ محمد الغزالى ، أو بتحقيق الأستاذ على الطنطاوى .

٢ — « بستان الواعظين ورياض السامعين .

٣ — « الطب الروحــاني .

٤ — « ذم الهوى ، بتحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ومراجعة الشيخ محمد الغزالى .

٥ — « منهاج القاصدين ، وقد اختصره المقدسى في كتاب « مختصر منهاج القاصدين » . .

هذا . . ولقد أسلم على يدى هذا العالم الجليل وتاب عدد كثير . . يقول في آخر كتاب (القصاص والمذكرين) ، ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى ، فقد تاب على يدى إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل ، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة ، وأسلم على يدى أكثر من مائة ألف » (٢)

. . فلله دره من رجل . . فقد عاد بخير كثير على الإسلام والمسلمين . .

ليت الدعــاة يتأسون ، والله المستعان . .

---

(١) بل لقد قال ابن الجوزى نفسه في وصف أحد مجالسه الوعظية . لو قيل إن الذين خرجوا يطلبون المجلس وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلا ثمائة ألف ما أبعد القائل . . » وكل هذا من باب التقدير لا التحقيق.

(٢) كما صرح بذلك في مواضع من صيد الخاطر ، وفي رسالته المسماة « لفتة الكبد » .



ترجمة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي

منظور

لفضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاتة الأمين العام للجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على اشرف خلقه وافضل انبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى اله وصحبه . . اما بعد . .

فان حديثي معكم في هذه الليلة (١) يتعلق بترجمة شخصية كريمةٍ . اتصفت بالعلم والحلم ، والفضل والنبل ، وامتازت بخصالٍ فريدةٍ هيأها الله تعالى لها . وحديثي عنها يُعتبر غيضا من فيض .

ولا أكتمكم ان عنوان هذا الموضوع لم اختره باديءَ ذي بدءٍ ، وانما اختير لي من قبل الجهة المسؤولة عن المحاضرات ، ونعم الاختيار كان ، وأتوقع انكم لن تسمعوا غريبا ، ولن تقفوا علي ابتكارأو اختراع وتجديد ، وانما ارجو أن يُوفقني الله تعالى على أن اقوم بالتعبير عما تكنُّه النفس من حب ووفاء ، واعتراف بالجميل لاصحابه . . وانعم بالحب الذي يكون لله وفي الله . .

فلقد صح في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر منهم رجلين تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه » .

وأرجو أن أوفق لإجلاء صورة الشخصية على حقيقتها – وفي نظرى أنها من الأمثلة التى تحتذى » .

وانه لمن فضل الله على عباده أن قرْننا هذا حَظِيَ بطبقات غير قليلة من العلماء ذوي علمٍ وبصيرة ، وصدقٍ وتقوى . نشروا العلم والدين والهدى والرشاد . ولم يخل قطر من الأقطار الإسلامية من عالمٍ أو فقيه أو محدثٍ أو داعية . يتلو الخالف منهم السالف محافظين على سلامة شرع الله من عبث العابثين ، وكيد الكائدين .

وليس بدعاً ان اقوم بترجمة لعالم حري ان تظهر آثاره ، وتنتشر اخبارُه ، وقد شحنت المكتباتُ

---

(١) القيت هذه المحاضرة بقاعة المحاضرات بالجامعة الاسلامية في الموسم الثقافي للجامعة لعام ٩٧ – ٩٨ هـ .

الأسلامية بتراجم وسير الأعلام من الرجال من عصر الصحابة رضوان الله عليهم ، بل ان الحفاظ من النسابين في الجاهلية قد حفظوا الانساب ، وسير أبطالهم ، وأفذاذهم ، واخبار أيامهم ، واذاعوا ذلك وأشاعوه في محافلهم ومنابر اسواقهم . فنقل ذلك عنهم الرواة،ودون ذلك الكتاب والادباء والأخباريون .

ولم تكن الكتابة عن اى شخص وافية كاملة الا بتعدد الكتاب عنه واستخلاص الحقائق من مجموع ما كتب عنه. وها أنا الآن أسهم بقلمي للقيام بترجمة عن عالم جليل ، ، وقرمٍ نبيل ، شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقى الففوى مولداً ، والمدني مهاجراً ، والمحدث مسلكا والفلاني نسباً .

اقول ان الترجمة سنة العلماء ، ومنهج أهل الحديث النبلاء بل ان السند والاسناد من ميزة هذه الأمة المحمدية . وهذه المكتبة الاسلامية حافلة بكتب تراجم الصحابة وغيرهم كطبقات ابن سعد والاستيعاب ، واسد الغابة والاصابة ، وتاريخ البخارى الكبير والصغير ، وكتب ابن حبان وابن عدى والدارقطنى والدولابي ، والتهذيب وتهذيبه والتقريب والخلاصة ، والاكمال والتكملة ، وغيرها من كتب التراجم للادباء والشعراء والقراء والفقهاء .

ونظراً إلى ان احق الناس بالكتابة عن العالم المذكور هم ابناؤه وتلاميذه فأني أرى لزاماً على القيام ببعض ذلك ، وقد اكرمنى الله تعالى بصحبته وطول ملازمته ، وكثرة مرافقته . وسمعت منه في المسجد النبوى ودار الحديث بالمدينة المنورة وفي الحضر والسفر والاستقرار وأعدكم اني لا انطلق مع العاطفة الى حد المبالغة بناءً على أنه شيخى ووالدى الروحي وذلك لأني مستحضر قول رسول الله صلي الله عليه وسلم ، « لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم » انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ، وقوله لعبد الله الشخير رضى الله عنه — وقد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « انت سيدنا فقال السيد الله تبارك وتعالى ، قلنا وأفضلنا فقال قولوا بقولكم او بعض قولكم ، ولا يستحوذنكم الشيطان » . رواه ابو داود بسند جيد .

وفي حديث انس رضى الله عنه « ان اناساً قالوا لرسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال : يا ايها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان . انا محمد عبد الله ورسوله ما أحب ان ترفعوني فوق منزلتى التى انزلني الله عز وجل » . رواه النسائي بسند جيد ، وقوله « اذا رأيتم المداحين فاحثوا على وجوههم التراب » .

ميلاده ونشأته : ولد رحمه الله عام ١٣٢٦ هـ في بلاد مالي من قارة افريقيا الغربية ، بقرية تسمى فَفَا من ابوين كريمين أنجبا من الأولاد الكثير من الذكور والاناث لم يعش منهم غيرُ المترجم له واخوه الاكبر . وكان ابوه من بيت الإماره والحكم الذى لم يزل حتى اليوم يتداوله آله . ونشأ في تلك الربوع

مع اترابه يستنشق هواء الصحراء ، ويمتع ناظريه بالفضاء الواسع الذي لا يردهما الا النهر الذي جعل القرية جزيرة . وكانت هذه الفترة فترة بؤس وبلاء على أهل تلك الديار لأن المستعمر الفرنسى ، قد قبض بكلتا يديه على هذه البلاد ، وانقض عليها انقضاض الأسد على الفريسة – بعد ان جرت بينه وبين ألأهالي العُزل من السلاح حروب انتهت باستعماره البلاد والعباد ، وفرض سلطته عليهم قهراً شأن غيرها من البلاد التي اقتسمها الأوربيون من الانجليز والبلجيكيين ، والبرتغاليين . والألمان .

وذلك لانهم علموا ما امتازت به افريقيا الخضراء من جودة التربة وكثرة المياه ، وجمال الطبيعة ، ووفرة الأقوات والارزاق ، والمعادن . وقام البعض منهم بالقرصنة ، وبعض الأعمال التى لا يقرها شرع ، ولا خلق ولا وازع انساني ولقد قال عنها بعض الرحالة المحدثين : « انها القارة الافريقية الخضراء زينة القارات ، ومستودع الكنوز والثروات ، ومنبع للرجولات والبطولات

دخلها الاسلام اول ما دخلها قبل ان يعرف العالم الغربي والشرقي ، وقام الاسلام فيها بدوره الحضارى في أقطارها الشرقية والوسطى والغربية والشمالية . وان الديانة الكبرى اليوم السائدة فيها هي الاسلام ومع ذلك فان افريقيا المسلمة لا تزال مجهولة لدى العالم الغربي والاسلامى ، ومجهول ما فيها من كنوز وخيرات وثروات يانعات . اقول انه مع الاسف ، لم يعرفوا ان هناك امة يتوجهون الى كعبة الله ، ويتبعون رسول الله ، ويتألمون لآلام الأمة التى بُعث فيها رسول الله مع ان اول اتصال بافريقيا الشرقية كان على عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم حينما أمر أصحابه الكرام بالهجرة الى الحبشة ، وقال لهم حينما اشتد عليهم الأذى من مشركى مكة : « اخرجوا الى ارض الحبشة فان بها ملكاً لا يُظلمُ عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه » ، واستطاع الصحابة رضوان الله عليهم ان يزرعوا بذور الإيمان هناك ، وينشروا دين الإسلام حتى اسلم النجاشي نفسه ملك الحبشة آنذاك .

ولما جاء نعيه امر النبي اصحابه ان يخرجوا الى المصلي فصف اربعة صفوف ، وصلى عليه وهو غائب

وعلى ذلك فان البلاد الافريقية قد دخلها الاسلام والمسلمون من صحابة رسول الله قبل ان يدخل أية بلد بعد مكة . اما شمال افريقيا وغربيها فقد بدأ الفتح فيها على عهد عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضى الله عنه ، فقد اخرج في سنة ٢٧ هـ عشرين ألفا من الصحابة والتابعين يقودهم عبد الله بن ابي السرح وقطعوا مفاوز برقة وطرابلس ثم دحلوا افريقيا ، ومن الله علي المسلمين بالفتح ، وكان الاعداء قد خرجوا عليهم بمائة الف مقاتل ، واستشهد لله رجال من المسلمين ، وتم النصر ، وفتحت تونس وكانت تسمى افريقيا ، وعاد عبد الله بن ابي السرح إلى مصر بعد ان أقام بافريقيا سنة وشهرين . وقد عُرفت هذه الغزوة بغزوة العبادلة لانه قد شارك فيها سبعة من الصحابة كلهم يدعى عبد الله وهم :

(١) عبد الله بن عمر ، (٢) عبد الله بن الزبير ، (٣) عبد الله بن عباس، (٤) عبد الله بن جعفر ، (٥) عبد الله بن عمرو بن العاص ، (٦) عبد الله بن مسعود ، (٧) عبد الله بن ابي السرح .

وفي عهد معاوية بن ابي سفيان بعث جيشاً كبيراً بقيادة معاوية بن خديج الكندي عام ٤٥ فغزا افريقيا ثلاث غزوات . وعين يزيد بن معاوية وقيل ابوه معاوية عقبة بن نافع الفهرى الذى تم له التوغل في غرب افريقيا وقال البربر ، وبَلَغ الي المحيط ، وناجى ربه عند المحيط بعد أن أدخل قوائم فرسه في البحر قائلا : « اللهم لو كنت اعلم ان احدا وراء هذا المحيط من الخلق لمضيتُ مجاهداً في سبيلك » ثم عاد — ويومها لم تكن امريكا مذكورة ولا اخبارها معلومة .

ولقد عدد السيوطى رحمه الله في كتابه دَرُ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة ، وفي كتابه حُسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة — عدد اسماء جُملة من الصحابة ، الذين وطئت اقدامهم بلاد مصر وهى من القارة الافريقية ، وطؤوها داعين الخلق الى عبادة الخالق ، وترك عبادة المخلوق . ولم يدخلوها دخول المستعمرين الذين أكلوا الحرث والنسل ، والذين افسدوا العقائد والفطر ، وأشاعوا فيها الكنائس والبيع لاتخاذ الاحبار والرهبان ارباباً من دون الله .

ولقد ذكر التاريخ ان عقبة بن نافع الذى سبقت الاشارة الى ذكره أو عقبة بن ياسر او عقبة بن عامر قتله كَسيلة بن كزم البربرى وهو عائد الى القيروان من غزوة غزاها لنشر دين الله سنة ٦٣ هـ ، وخلف فيها اولاداً ينتمى اليهم الفلاتنون كما ذكر ذلك صاحب كتاب « تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفُلاّنْ » والله اعلم بحقيقة الحال . قال رحمه الله : وفي كتاب الاستيعاب في اسماء الاصحاب لابن عبد البر المغربي المالكي « عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري » وفَدَ على عهد النبي ، وكان ابن اخت عمرو بن العاص فولاّه افريقيـــة ، وافتتح غدامس وكُوراً من السودان ووَدّان وبلاد البربر ، وغزا السويس القصوى ، وكان مستجاب الدعوة ، قتله كسيلة بن كزم سنة ٦٣ هـ ١ هـ . من كل هذا يعلم ايضا ان صلة تلك البلاد بالبلاد العربية وأهلها ألصق ، ونسب بعض جذاميرها بهم أقرب ، كيف لا وقد ربط الله بينهم بالاسلام ، وجعل وشيجته اقوى الوشائج ، وصلته اعظم الصلات .

وما احسن قوله العلامة الاستاذ ابي الحسن الندوى قال : وقد عقد الله بين العرب والاسلام ، ثم بين الحجاز والامة الاسلامية ، ثم بين الحرمين الشريفين وقلوب المسلمين للأبد، وربط مصير احدهما بالآخر .

لذا فان الشعوب المسلمة في افريقيا عندما حل ببلادها المستعمر اعتبروا تلك الفترة فترة بلاء ، وأيام نحس — وساعات بؤس ، وآثروا الموت علي الحياة .

وفي هذا الوقت ولد الشيخ عبدالرحمن الافريقى المترجم له، وشب عن الطوق. ولما بلغ سن التمييز بعثه والده الى فقيه

القرية الذي يسمى ألفا ليلقنه بعض سور القرآن الكريم ويعلمه بعض الأحكام المبسطة من الكتب الفقهية المتداولة وظهرت عليه ملامح النجابة ، ولم يمض كبير وقت حتى اختاره حكام البلاد المستعمرون للتعليم في مدارسهم التى افتتحوها في تلك البلاد ، وأخذ قهراً عن والديه ضمن عدد من ابناء الأعيان . فازداد البلاء – وتفاقم الخطب على والديه وآله لاعتقادهم انه لا يرجى الخير من شخص تربي على أيدى أعداء الله ، وتثقف بثقافتهم ولكن الله غالب على امره (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وشاء الله ان يشتغل الفتى بدروسه ، ويهضم معلوماته ، ويكون النجم اللامع بين اقرانه ، وينال الشهادات الدراسية التى تدل على تفوقه وجدارته مما جعله يختار للعمل مدرسا ثم موظفا مسؤولا في الأنواء الجويه . ولما دنت ساعة الظفر ، وحانت ساعة السعادة والكرامة جرى بينه وبين مدير ادارته حديث في شأن الاسلام وواقع المسلمين ، ونثر الخصم ما في جعبته من السموم ، ورمي الاسلام بالجمود والتخلف وذكر له ان الاسلام دين لا يصلح للعالم ، وتعاليمه لا تهذب النفوس وانما هو منهج يكتبل الحريات ، ويدعو الى الوهم والخيالات ، واستدل بواقع المسلمين وما هم عليه من التخلف والذل ، وركونهم الى الطلاسم والسحر والحجب واعتمادهم على الجن والكهان ، والكواكب والحروز والاصنام . مما ادى الأوربيين الى احتلال البلاد لاسعادهم ، وانتشالهم من وهدة التخلف التي هم عليها ، وقام يدلل على ذلك بالكثير والكثير من الأدلة التي نمقها المبشرون ، وكادوا بها الاسلام والمسلمين . فلم يستطع الفتي حينها من ان يقنع الخصم ، ولا ان يدافع عن دينه وعقيدته ، لا سيما وانه خال الوفاض بعيد عن العلم والعلماء والفقه والفقهاء – ولو كان مع اهل العلم والفقهاء فان العلم في تلك البلاد وما شابهها لا يعدو حفظ القرآن ، والمرور على بعض الرسائل في فقه الامام مالك رحمه الله – ومنظومات شعرية في المديح النبوي باللغة المحلية ، والعربية وعزم على ان يتصل بعلماء قـريته ليقف على الحجج التى يرد بها على المجادل الخانق المعلم فلم ينل بغيته ، ولم يحصل على طلبته . فامتلأت نفسه حسرة وندامة ، وقرر السفر الى الحرمين الشريفين – وهو يرى في كل عام المسافرين والآتيين من مكة بدعوي آداء الحج . وقرر البقاء فيهما برهة من الزمن ليتفقه في دينه ، ويتسلح بسلاح يقارع به الخصم ، وينازل به العدو الذى طعن في عقيدة الإسلام وفي صدق رسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

وأرى ان أقف ههنا وقفة قصيرة لاذكر السامع الكريم بان اعداء الاسلام من اليهود والنصارى وغيرهم منذ مئات السنين فكروا وقدروا ، ودبروا الكثير من المؤامرات ضد الاسلام والمسلمين ، ولمكافحة دعوته ، وكسر شوكته لانهم علموا انه لم تنكس له راية ، ولم ينهزم في معركة – لما كان المسلمون على بصيرة من دينهم وعلى صلة بربهم – فأجمعوا كيدهم ، وانطلقوا يضعون المخططات لمحاربة الاسلام ، وابعاد المسلمين عن حقيقة ما جاء به .

ومن تلك الخطط (١) فتح المدارس الاستشراقية في بلاد المسلمين (٢) ارسال القسيس والرهبان ليشرفوا

عليها (٣) غسل اذهان ابناء المسلمين وتشكيكهم في دينهم (٤) الهيمنة على برامج التعليم في البلاد الاسلامية (٥) احياء الحضارات القديمة القومية لابعاد المسلم عن حضارته الاسلامية (٦) تشويه التاريخ الاسلامى والتشكيك في حوادثه والطعن فيها (٧) العمل على اخراج المرأة المسلمة من بيتها بدعوى الحرية والتقدمية ، وانها شقيقة الرجل (٨) اشغال الرجال بها ، واخراجهم من مثلهم وآدابهم واعرافهم واخلاقهم بواسطتها (٩) تشجيع الطرق المنحرفة والباس مقدميها هالة من التقديس والتقدير واعطائهم الصدارة والرفع من شأنهم (١٠) الاكثار من المؤتمرات المسيحية لمكافحة الاسلام (١١) الاكثار من المناسبات المختلفة في بلاد المسلمين باسم الذكرى والعبرة لايقاعهم في المشابهات المذمومة ، والابتداع في شرع الله (١٢) محاربة القرآن العظيم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بطبعه محرفا ، وترجمة معانية ترجمة باطلة لاثارة الجدل حوله ونقده (١٣) شن الافتراءات الباطلة على الاسلام لتشويه حقائقه تحت ستار العلم ، والبحث التكنولوجى المجرد وغير ذلك كثير و كثير .

وفي افريقيا بالذات الاكثار من الارساليات التبشيرية ، واشاعة الكنائس الكبيرة فيها ، واعطاء من اختاروه من الأفارقة الرتب المسيحية لاغراء الرعاع والحطمة في التوغل فيها . وادخال اللهو وبعض الشهوات في الكنيسة ، وتخفيف بعض التعاليم المسيحية الى درجة الاباحة بدعوى التسامح واظهار ان الاسلام هو دين القسوة والتعنت والشدة . وبث المحطات الأذاعيّة القوية للتبشير بالمسيحية، وتشويه سمعة البلاد بأنها بلاد الوحوش والعـراة والادغال ، وأكلة لحوم البشر ليتفردوا بخيراتها .

هذا وقد دخلوا في ربوع افريقيا منذ خمسمائة عام — والعالم العربي المسلم غالبه يجهل اخوانه المسلمين في تلك البلاد، ويدع السرطان الخبيث يَفتِكُ في عقائد أمة لو وجدوا مجددا داعياً ناصحاً ، وواعظا مخلصا لالتفوا حوله وسلموا الزمام له ، واستجابوا لدعوته — وما امر دعوة التضامن الاسلامي التى قام بها جلالة الملك فيصل رحمه الله ، والتفاف زعماء افريقيا مسلمهم وكافرهم حينما علموا اخلاصه ، وصدقه — ما امرها عنا ببعيد .

اذاً فلا عجب من ان يسمع الشيخ الافريقى رحمهُ الله عليه من ذلك الفرنسى ما لا يريد ان يسمعه عن الاسلام ، وان يعقد العزم على الرحيل الى منازل الوحى ، ومهبط الرسالة ليتلقى من علماء المسلمين فيها بعد آداء الحج — ما يدحض به الباطل ، ويتزود من الدلائل والبينات ما فيه شفاء ورحمة للمؤمنين .

انها لهمة عالية ونية صادقة ، وغيرة لله خالصة انبعثت من شاب مسلم لم يبلغ يومها العشرين عاماً ، يصبر على مفارقة الآباء والأقرباء ، والانداد والاحباء ، والوطن والمنصب ، والحال انه اصبح شخصا مرموقاً يشار اليه بالبنان ، قد ينال في المجتمع مرتبة يغبطه عليها اترابه من ابناء الزمان ، ولكن الأمر كما قال الله تعالى : « ومن يهد الله فما له من مضل » الآية .

وصول الشيخ إلى الحرمين الشريفين

ولقد نفذ خطته فعلاً ، ووصل الى مكة عام ١٣٤٥ ﻫ وادي فريضة حجه . وعندما وصل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصل بعالم جليل من ابناء جنسه وعشيرته يدعى الشيخ سعيد بن صديق . وكان يشتغل بالتدريس في المسجد النبوى . واشتهر بالعلم والاخلاص والصدق والتواضع ،والكرم واللطف والنبل – ووصفه الأستاذ محمد بن سعيد دفتدار عندما ترجم له بقوله : « ولد عام ١٣١٠ ﻫ وتوفي عام ١٣٥٣ ﻫ ، وتخرج في العلم على يدى الشيخ الفا هاشم ، وتربي في كفالته ولد في بلاد فلانه في بلدة قابيرو فجد في طلب العلم من الشيخ الفا حتى نال حظاً وافراً من العلم . . الى ان قال وفي الحرب العالمية الأولى ظل بالمدينة المنورة صابراً على لأوائها ، ولما توفي الشيخ الفا هاشم عام ١٣٤٩ ﻫ اخذ الشيخ سعيد مكانه وتصدى للتدريس في الفقه والحديث النبوى والتوحيد السلفى . وفي العهد السعودى اتصل بالشيخ عبد الله بن بلهيد فلما تحقق من فضله وعلمه عين مدرساً في المسجد النبوى ، وعضوا في هيئة الأمر بالمعروف ، وانتفع بعلمه كثير منهم الشيخ على بن عمر والشيخ محمد قوني ، وتوفي يوم الجمعة في رجب عام ١٣٥٣ ﻫ .

هذا هو الرجل الأول الذى اتصل به المترجم له في المدينة المنورة، وبالحقيقة فقد انتفع منه علماً ، وخلقاً ونيلاً . وكان اتصاله به بمثابة تحول من حال الى حال ، وحياة الى حياة . وبدأ يتعلم اللغة العربية من ألفها وساعده على سرعة التحصيل اخلاصه اولا بعد توفيق الله ، وجده واجتهاده وثقافته الفرنسية التى هونت عليه الكثير من الأمور .

ولقد مكثَ الشيخ الافريقى مع شيخه الشيخ سعيد المذكورمدة قرأ فيها القرآن،وشيئا من كُتب الفقه المالكى كمتن العشماوى ، والاخضرى ، وابن عاشر والأزهرية ، وشيئا من شروحها ، ومتن الرسالة وبعض شروحها ، ودرس عليه العقيدة السلفية وشيئا من كتب الحديث كالاربعين النووية ، والمختارة من الاحاديث للهاشمى ، وجزءٌ يسير من بلوغ المرام .

بعد ذلك حن الى وطنه ، وظن انه قد حاز من العلم ما يهيئ له مقارعة الاعداء بالحجة والبيان ، واستأذن شيخه في العودة الى البلاد بعد ادائه الحجة الثانية وهو لا يدرى ما سبق في قدر الله من الخير – ولما فرغ من آداء المناسك اجتمع بشيخ جليل من بنى قومه يقيم بجدة وجرى نقاش علمى في مسألة فقهية فادلى دلوه ، وتقدم في الحديث على جلسائه ، وسرد النصوص التى يحفظها من الكتب التى قرأها فقال له الشيخ يا بنى وبكل بساطة وهدوء . « ان هذه المسألة ورد فيها حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف النصوص التى ذكرت ، ويدل على غير ما قرأت . وقرأ عليه حديثا ملك مجامع قلبه ، وألجم لسانه ، وفند حجته ، وامتلأ مهابة وقال اذاً علام خالفت المتون هذا الحديث فقال الشيخ يا بنى : ان جميع المتون وكل الكتب تابعة لأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما سمعت ما قال الإمام مالك ، وهو يرد على فتوى سمعها

عن امير المؤمنين عمر « كل كلام فيه مقبول ومردود سوى كلام صاحب هذا القبر واشار الى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم . والله تعالى يقول : « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

ومن يومها قرر عدم السفر وكان يقول : « فأجمعت امرى على العودة الى المدينة المنورة لأتقوى في دراسة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونظرت إلى زملائي المسافرين نظرة مودع مفارق فراق غير وامق ، وقلت في نفسي : « اذا كان ما تحصلت عليه لا يقنع مسلماً ليعود عما هو عليه فلأن اعجز عن اقناع الملحد المعاند من باب أولى . وقلت لهم بلغوا آلى انى لن اعود الى البلاد حتى يأذن الله . وغربة عن الأوطان في سبيل العلم والمعرفة خير من اقامة سعيدة بالاوطان على جهل وتبعية .

وانا ادعك لتتصور لأواء الغربة ، والحنين إلى الأوطان والصحبة وادعوك الى ان تقرأ كتاب الحنين الى الأوطان على ذلك يدعو الطلاب للجد والاجتهاد والحرص على الفوز والنجاح في الدور الأول — إن شاء الله — ليتمكنوا من السفر في العطلة الصيفية ، ويبلوا الصدأ ، ويقضوا النهمة ، ويعودوا بعد ذلك إلى الجامعة وهم اسعد حالا ، وأهدأ بالاً ، وازكى قلباً والله المستعان .

وأسمعك ما قاله بلال بن رباح رضى الله عنه عندما هاجر ، واصابته الحمى واشتد عليه الأمر ، كان يرفع عقيرته ويقول كما روت عائشة .

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة — بوادٍ وحولى اذخر وجليل
وهل اردن يوماً مياه مجنةٍ — وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت اما ابو بكر رضي الله عنه فكان اذا اشتدت به الحمى يقول :

كل امرء مصبح في أهله — والموت أدني من شراكِ نعله

اقول : ان الشيخ الافريقى رحمه الله فإنه قد عاد الى المدينة فعلاً ، وعاد الى شيخه الشيخ سعيد ، ولما رآه سُر بعودته ، وانزله منزلة كريمة ، وخصص له اوقاتاً يتلقى فيها العلم في البيت والمسجد ، وصار يصحبه معه في مجالس العلماء ، ليلقح ذهنه ، ويوجه فكره ، واتخذه التلميذ الخاص ، ولو جاز التبنى لتبناه ، لا سيما أن الشيخ سعيد لم يرزق أولاداً .

وعندما افتتحت مدرسة دار الحديث بالمدينة عام ١٣٥٠ هـ وعين الشيخ سعيد مدرساً فيها . دعاه الى الالتحاق بها ، وكانت يومها مدرسة معنية بتدريس الحديث النبوى ، وعلومه على اوسع نطاق ، ويدرس

فيها كبار العلماء . ومنهم الشيخ سعيد فوجد فيها بغيته ، وكان مؤسسها العلامة الشيخ احمد بن محمد الدهلوى رحمه الله – معنيا بالحديث ، ومحدثا مشهورا أراد من تأسيس هذه الدار إنشاء جيل في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بصير بالحديث دراية ورواية . شأن مدارس أهل الحديث في الهند اذ ذاك .

فالتحق الشيخ الافريقي بها ، ودرس فيها الصحاح والسنن ، ومصطلح الحديث والفقه واصولهما ، وعلوم الآلة . ورآى مؤسس الدار منه الحرص الشديد على طلب العلم ، وانقطاعه له ، واخلاصه فيه فازدادت محبته له ، وجعل مكتبة الدار مذللة له ، وصار يشرف عليه ويرشده الى المراجع وينمى فيه ملكة البحث والمطالعة .

وقد استفاد من دار الحديث فائدة عظيمة ، وتعمق في الحديث وعلومه ساعده على ذلك وجود العلماء الاجلاء الذين يعلمون في دار الحديث – بعد توفيق الله سأتحدث عن بعضهم عند الكلام على الشيوخ الذين تلقى عنهم العلم ان شاء الله وكان تعلقه بالحديث تعلقاً عظيماً ملأ عليه شغاف قلبه ، واستولى على لُبه بحيث اصبح مشهوراً بين اقرانه وعند شيوخه برجل الحديث والمحدث .

واذكر انى كثيرا ، ما سمعته يتمثل بأبيات العلامة الذهبي رحمه الله عليه :

اهلُ الحديث عُصابة الحق ... فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم لألاء ناضرة ... لألاءها كفالق البرق

اشارة الى الحديث الصحيح « نضر الله امرأً سمع بقالتي فوعاها » الحديث . .

وكثيراً ما كان يردد ابياتاً من منظومة الشيخ محمد سفر المدني صاحب رسالة الهدى :

وقول أعلام الهدى لا تعملوا ... بقولنا في خلف نص يقبلُ
فيه دليل الأخذ بالحديث ... وذاك في القديم والحديث
قال ابو حنيفة الامام ... لا ينبغى لمن له اسلام
اخذ باقوالي حتى يعرضا ... على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك امام دار الهجرة ... قال وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول ... ومنه مردود سوى الرسول
والشافعى قال إن رايتم ... قولي مخالفاً لما رويتم
من الحديث فاضربوا الجدار ... بقولي المخالف الأخبارا
واحمدٌ قال لهم لا تكتبوا ... ما قلته بل اصل ذلك اطلبوا
دينك لا تقلد الرجالا ... حتى ترى اولاهما مقالا

فاسمع مقالات الهداة الاربعة　　واعمل بها فان فيها منفعة
لِقَمْعِها لكل ذي تعصب　　والمنصفون يكتفون بالنبي

ولقد حفظت منه حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي والطبراني بسند حسن من كثرة ذكره له ـ عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : سمعتُ على بن ابي طالب يقول : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم ارحم خلفائي قال فقلنا يا رسول الله ومن هم خلفاؤك قال : « الذين يأتون من بعدي يروون احاديثى وسنتى ، ويعلمونها الناس » .

اقول : انه مع حبه الجم للعمل بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عدلا منصفا لا يرضى لأحد من طلابه او جلسائه ان يتنقص احدا من العلماء والفقهاء ولا ان يتطاول على احد ممن اشتهر بعلم الفقه ، وتدريسه ايا كان وشهدته مرة ينصح طالباً قال : « ومن يكون هذا الرجل ، وما هى منزلته يعنى احد علماء الفقه فقال له الشيخ مغضبا في الحال : هـو ممن أمرك الله بالدعاء والاستغفار له في قوله « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ، ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا » ، والله يقول : « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين اوتوا العلم درجات » .

وذكر له قصة الامام علي رضي الله عنه وقد سأله رجل مسألة فقال فيها فقال الرجل ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن الأمر كذا وكذا فقال علي رضى الله عنه اصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم » .

وذكر له ايضا ان ابن عباس وزيداً رضى الله عنهما اختلفا في الحائض تنفر ، فقال زيد لا تنفر حتى يكون اخر عهدها الطواف بالبيت، وقال ابن عباس لزيد سل نسّباتك أم سليمان وصويحباتها . فذهب زيد فسألهن ثم جاء وهو يضحك . فقال القول ما قلت .

ولا أحصى عدد ما سمعته رحمة الله علينا وعليه يدعو الى الاعتدال والانصاف وينشد ابياتا منسوبة لأبي عمر بن عبد البر قالها حينما سمع قائلا يقول :

لو أتتنى مائة　من الاحاديث رواها الثقةُ
وجاءني قول عن الامام قدمته

فقال ابن عبد البر : يعقب هذا القول

من استخف عاندا بنص مـا　　عن النبي جا كفرته العلمـا

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

لذا فانه يتعين على العاقل البصير ان يعلم الفرق بين الاتباع والتقليد الاعمى وان يعود الى اهل البصيرة في هذا الشأن ، ليقف على حقيقة الامر ، ويعلم جليته ، وبذلك يبعد بتوفيق الله من الوقوع في مثل ما وقع فيه من رد عليه الحافظ ابن عبد البر رحمه الله بالابيات الدالة على عظيم عنايته ، ومدى حرصه على التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانه بحمد الله قد ألف العلماء كتباً في هذا الشأن يسترشد بها البصير ويستنير منها الراغب الخبير. ونحن في وقت عجت فيه المكتبات بالكتب المطبوعــة والمخطوطة ، وانتشر العلم ، وعمت الثقافة بحيثُ اصبح العُذْرُ عديم الجدوى ، والاحتجاج بالجهل قليل المفعول .

ومن هذه الكتب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، وايقاظ الهمم للفلاني والاعتصام للشاطبي ، والقول المفيد للشوكاني ، وارشاد النقاد للصنعاني ورفع الملام عن الأئمة الاعلام لابن تيمية الحراني ، وغيرها كثير وكثير .

ويعجبني في هذا الباب ما قاله منصور الفقيه المغربي رحمه الله :

خالفوني وانكــروا ما اقــول	قلتُ لا تعجـــلوا فاني سؤول
ما تقولون في الكتــاب فقالوا	هــو نور على الصــواب دليل
وكذا سنة الرســول وقــــد	أفلح من قال ما يقــول الرسول
واتفــاق الجميع أصــل وما	تنكر هذا وذا وذاك العقــول
وكذا الحكم بالقياس فقلنــا	من جميل الرجــال يأتي الجميل
فتعالوا نرد من كــل قــول	ما نفى الاصــلُ او نفته الاصول
فاجابوا ، وناظروا واذا العلمُ	لديهم هــو اليســير القــليل

هذا ولم يقصر الشيخ الافريقي استفادته وتلقيه من دار الحديث فقط بل كان يتردد على الحلقات العلمية في المسجد النبوي . والمسجد النبوي جامعة الجامعات وموضع اعداد القياديين من رجال العلم والفكر ، وارباب الشهامة والكرامات من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ، وكان يومها يعج بالطلاب الذين ينهلون من المورد الصافي ، ويتزودون من ميراث النبوة ما يحيي قلوبهم ويهذب اخلاقهم ، وتقر به عيونهم ونفوسهم .

وقد ظل المسجد الى عهد قريب هو المدرسة لكل العلوم . وكانت اسطواناته وسواريه مسنداً لظهور العلماء والفقهاء ، والمحدثين والمفسرين يتحلق حولهم الطلاب ، وينهلون من علمهم وفقههم العديد من الطبقات وعلى مختلف الأعمار والفئات .

يتجول المرأ في المسجد ليستمع الى تلك الدروس ومتى ما اصغى الى شيخ وأعجب من اسلوبه ،وتمكن من الفهم منه جلس مع الملتفين حول الشيخ واخذ ما شاء الله له من الفوائد وانصرف .

وللصبية الصغار حلقات وكتاتيب عند مدخل المسجد النبوى اذكر منها كُتاب الشيخ التابعى والشخ الرحالي، والشيخ مولود، والعريف بن سالم والعريف مصطفى والعريف جعفر فقيه، وغيرهم. وكل كتاب منها يعتبر مدرسة تتكون من عدة مراحل دراسية لدراسة القرآن الكريم ، وبعض المبادئ الدينية ، والاذكار النبوية التى ينبغى أن يلم بها المسلم .

اما تدريس الصغار للعلوم الشرعية فان على الآباء ان يختاروا لابنائهم الفقيه الذى يختارونه لذلك سواء كان التعليم في البيت او المسجد مادامو صغاراً فاذا بلغ السن التى تؤهله لحمل الكتاب ، ومزاحمة الرجال انتقل الابناء الى حلقات المسجد ، وبذلك تكون رابطة الفرد بالمسجد وعلاقته به من الصبا الى ما شاء الله .

وقد ورد في الحديث ما يدل على ان التعلم والتعليم في المساجد من افضل القربات ،من ذلك ما روى احمد وابو داوود عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله ، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر الى ما ليس له) .
وانت خبير بقصة الثلاثة النفر الذين دخلوا المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه مع اصحابه فاقبل احدهم، واستحي الثاني، واعرض الثالث، فأعرض الله عنه وقصة دخوله ﷺ المسجد مرة وإذا بحلقة علم وحلقة ذكر فجلس مع اهل العلم ، وقال انما بعثت معلما . ناهيك عن خطب النبى صلى الله عليه وسلم فيه للجُمَع وبعض المناسبات .

ويذكر العلماء ان تميما الدارى استأذن عمر رضى الله عنهما في ان يقص في المسجد فاذن له عمر ، واستمع ابن عمر وابن عباس الى عُبيد بن عمير في المسجد . وكان معاذ يستند إلى سارية في مسجد دمشق ، وتلتف الناس حوله ليقص عليهم .

اما الاشتغال بالتذكير والفتوى في المساجد والدور بالمناسبات فقد حصل من العديد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم من التابعين وتابعيهم تولى بيان ذلك العلماء الذين عنوا باخبار القصاص والوعاظ والمذكرين .

اقول: لذا فان الشيخ الافريقي رحمة الله علينا وعليه قد وجد ميراث النبوة وافراً بالمسجد النبوى، ووجد اساطين العلماء ، وكبار المربين منتشرين فيه ووجد العلم ثرا في الروضة اليانعة به . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق العلم »
فخاض الشيخ الافريقى فيه ورتع ، وأخذ من الثمار ما قدر له وكان للإخلاص والتقوى مفعولهما بعد توفيق الله وهو يقول : (واتقوا الله ويعلمكم الله) .

شيوخه وتلاميذه :

لقد لازم الشيخ رحمه الله علماء افذاذا في المسجدالنبوى وبدار الحديث، أخص منهم بالذكر شيخه الأول الشيخ سعيد بن صديق ، والشيخ الفا هاشم ، والعلامة المصلح السلفى واللغوى محمد الطيب بن اسحاق الانصارى ، شيخ شيوخ المدينة وعلمائها وادبائها في اواسط هذا القرن والمتوفي عام ١٣٦٣ هـ . قرأ عليه في المسجد النبوي التفسير والحديث ، وعلوم الاله . وكان الشيخ الانصارى حفيا به ومقرباً له ، معجباً من حرصه واخلاصه وتحرر عقله في المناقشة والاستدلال . وخاصة في الحديث .

ولازم كلا من الشيخ يونس بن نوح الأفريقي ، والعلامة الجليل السلفي الورع الزاهد الشيخ صالح الزغيبي الذي كان اماماً للمسجد النبوي قرابة ربع قرن لم يتخلف طيلة هذه المدة عن الامامة الا مرتين أو ثلاث .

وتلقى على كل من الشيخ محمد سلطان المعصومى البخارى ، والشيخ محمد سلطان المعصومى الافغاني ، وكان نادرة في معرفة الحديث وعلومه ، وقرأ على زميله الشيخ محمدبنعلي الحركان النحو والصرف ، وعلى الشيخ محمود بن علي شويل الحديث وعلومه وتردد على حلقات الشيخ ابراهيم بري ، والشيخ محمد حميدة ، والشيخ احمد البساطي ، والشيخ صالح الفصيل التونسى ، والعلامة المحدث الشيخ محمد على اللكنوى .

هذه بعض الدوحات التى استظل تحت ظلها ، وجنى من ثمارها ، وكرع من سلسبيل انهارها . أما تلاميذه فكثيرون في الشرق والغرب وهنا وهناك – وفي العديد من القارات . فلقد نفع الله به نفعاً كبيراً في تدريسه بالمسجد النبوى ، وفي مدرسة دار الحديث المدنية ، وفي ينبع النخل حينما اختاره جلالة الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – ليقوم بها داعية متجولاً في جميع قراها عام ١٣٦٤ هـ .

وفي الرياض عندما كان مدرساً بالمعهد العلمى ، وفي مسجد سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله ، وفي كلية الشريعة بالرياض . وفي منزله الذى كان مجمعاً للضيوف الذين لا يأخذ على قراهم اجراً ، وانما كانوا يقصدونه لأنه يجيد بعض لغاتهم الافريقية . ويجيد اللغة الفرنسية .

ولأمر ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم زيداً ان يتعلم العبرية – وكان يقصده بالذات المثقفون لما يجدون فيه من قبول للمناقشة والبحث ، والفهم والوعي ، والعلم والحلم، والصبر على الايرادات التى يوردونها عليه ولا يجدون منه ضجراً ولا مللاً أو سباباً أو شتماً .

وانما كان يأخذهم كما يأخذ المنقذ الغريق الذى ان لم يحتل عليه اهلك منجده .

وهنا ينبغى للداعية ان يعلم ان اسلوب الفظاظة والغلظة والجفاء والشدة لا يساعد على خدمة الدعوة ، وانما يؤدى الى العكس . لذا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » . وقال : « خذ العفو وأمر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين » .

ولا أريد هنا أن أعدد اسماء طلابه المبرزين أو أشيد باعمالهم وآثارهم واذكر مناصبهم ومكانتهم الاجتماعية فان ذكر ذلك لا يغني فتيلا ولا ينفع نقيراً ، ولا يزيد من قدر الشيخ رحمه الله شيئا .

ولكني اسأل الله جل وعلا ان يبارك فيهم وفي علومهم ، ويزيد من صلاحهم وتوفيقهم ، وينفع بهم الاسلام والمسلمين .

صفاته واخــلاقه :

ولقد وعدت في مطلع حديثي انى لا أبالغ في المدح والوصف والثناء كما يفعل عادة عندما يصف التلميذ شيخه . ولذا فانني ههنا اذكر المامة صغيرة عن الجوانب التي اختار الكتابة عنها . واعتقد انني لست بالمبالغ أو المتزيد اذا سلكت الشيخ في عداد المصلحين في هذا القرن ، فقد كان معلماً بارعاً ، ومصلحاً وهب نفسه وفكره ، وأذوى ناضر شبابه ، وسلخ عمره في مجال الخير وكان رحمة الله علينا وعليه قد اعطى بسطة في الجسم كما اعطيها في العلم ، اسمر ممتلئ الوجه متلألأة . لا ترى العبوس في وجهه . لين العريكة . يحرص في جميع شؤونه ان يسير سير المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وكان في منتهى الذكاء واللباقة — شجاعاً في الحق صبوراً على الأذى في سبيل الله ، حكيما في احاديثه اديباً في مجلسه ، لطيفاً في اسلوبه ، سهلاً في تعليمه ومعاملته ، مشجعا للمجدين من طلابه في الفاظ يرسلها كأنها سهام تنفذ الى القلوب ، يؤدب في شفقة وبشاشة وايناس ، ضليعاً في علم الحديث ومصطلحه داعية لطلابه الى اعتناق منهج الانطلاق الفكري في البحوث المقيدة بميزان الشريعة .
رجاعاً الى الحق ، مثيراً طلابه على ملازمة الطاعة والعبادة،عزيزا في نفسه ،ويغرس بذور العزة والكرامة في نفوسهم .

واذكر انه كان يسألهم تارة بمناسبة أيام الخميس والاثنين عمن صامهما تطوعاً ، وعمن قام شيئا من الليل غير الفريضة . فاذا اجابوا بالنفى ندب حال طلاب العلم في هــذا الزمان .

اما جوده وكرمه وطيبته وحسن طويته ، وحبه اسداء الخير للمحتاج فحدث عن ذلك ولا حرج .

وقبل ان أنهى الكلام على ما يتعلق بصفاته واخلاقه اقرأ على مسامعكم هذه النماذج باختصار :

١ — وافق انني تخلفتُ عن حج عام ١٣٦٧ ﻫ ولما كان يوم عيد الأضحى رايت ان اتناول طعام الغداء في منزل الشيخ ، ووافق ان كثيراً من الطلاب ذهبوا للحج ، فدخلت عليه والطعام بين يديه — ومعه اولاده وعندما القيتُ السلام رفع رأسه وقال من غير تأمل او تفكير :
« الحمد لله الذي لم يُرني اليوم الذي آكل فيه وحدي ومع اولادي فقط » . .

٢ — جاء في نظام اعمال دار الحديث التي وضعها دليلا لدار الحديث بعد ان آل أمر نظارة مكتبتها وادارة مدرستها اليه . وفي الفقرة « خ » وقع في خارطة البناء شقة للناظر أعلن من يومى هذا

وانا الناظر حاليا انى متنازل عن سكناها لتسكنها اسرة الشيخ احمد الدهوى المؤسس ، واطلب ممن تولى النظارة بعدى من ابنائي واحبائي ان يدعوا سكناها للمذكورين ما دام شرط النظارة لا ينطبق عليهم .

٣ – شج رجل فقير معاند مخالف للشيخ في العقيدة راس ابن الشيخ انتقاما من ابيه وقامت السلطات بسجن الجاني – فحاول الشيخ ان يشفع في فك سراحه فلم يفلح ، ولما كان آل الرجل محتاجين الى من يعولهم أمرني رحمه الله بالانفاق عليهم الى ان يطلق سراح عائلهم ، ولما علم الرجل ذلك رجع الى نفسه ، وثاب الى رشده وكان ذلك سببا لقبوله الحق .

اردت ان اضع هذه النماذج الثلاثة امام السامع من غير تعليق عليها خشية ان أطيل فيكون الملل .

ولقد اشتغل منذ عام ١٣٦٠ هـ بالتدريس في المسجد النبوى وبمدرسة دار الحديث المدنية الى عام ١٣٦٤ هـ حيث انتدب للوعظ والارشاد بمدينة ينبع النخل ، وعاد منها في عامه بعد ان امضى فيها ثمانية شهور أسس خلالها قواعـــد متينة ، وأشاد بنيانا راسخاً في العقيدة هناك . وازال كثيراً من البدع والمنكرات . باللطف والحكمة والموعظة الحسنة . وربض في دار الحديث ليثبت اركانها ، ويدعم بنيانها ، ويعمر جوانبها بالعلم النبوى .

واشهد بالله تعالى انه كان يجلس للتدريس من الساعة الثانية صباحا على وجه التقريب ، إلى أذان الظهر جلسة واحدة لا يتخللها كلل ولا ملل . ثم يعود بعد صلاة الظهر ليعقد درسا لبعض الطلاب الذين يشغلهم الضرب في الأسواق صباحا ، وبعد صلاة العصر يرتاد بيته طلاب آخرون للتحصيل والتعلم ، وبعد صلاة المغرب وصلاة العشاء يقوم بالدرس العام في المسجد النبوى . وكانت حلقته تجمع الخليط من الطبقات الصغار والكبار ، والمتفرغين لطلب العلم ، والراغبين في الانتفاع من العوام وكان الجميع يكرعون وينهلون ، ويردون ويصدرون . لأن الله حبى الشيخ شفافية النفس ، وعظيم الاخلاص ، والخلق وسهولة الأسلوب ، مع قوة الاقناع فاستفاد منه الكثيرون من المقيمين والحجاج .

أما دار الحديث فقد اخصبت وافرغت واربعت ثم ازهرت وأينعت إبان قيامه بادارتها والتدريس فيها . وصدق عليها ما قال القائل عن دار الحديث النووية بالشام :

وفي دار الحديث لطيف معنى . .

وتخرج منها طلاب انتشروا في العديد من البلاد ، واصبحوا قادة في الفكر والعلم ودعاة الى الحق ، وهداة الى سبيل الله .

وفي اواخر عام ١٣٧٠ هـ اختاره جلالة الملك عبد العزيز ليكون ضمن المدرسين في المعهد العلمي بالرياض ، ثم بكلية الشريعة فكان يمكث بالرياض مدة الدراسة ويقضى عطلة الصيف بالمدينة المنورة

ليشرف على أعمال دار الحديث ، ويواصـــل تدريسه بالمسجد النبوى الذى كان يتمنى ان يكون بجوار معظم سواريه طلاب يعقلون عن الله ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقومون بتبليغ رسالة الله

هذه صورة مبسطة من حياة رجل عالم جليل ادى ما عليه . وهكذا تصنع الرجال الامجاد وكأنما يريدون ان يعاجلوا الزمن بنفوسها الكبيرة ، وهممها العالية والله من وراء القصد .

مؤلفاته :

هذا ولما كان التأليف صنوا للتدريس والتبليغ في مجالات الاصلاح فقد قام الشيخ رحمه الله بتأليف بعض من الكتب النافعة . أرى أن أوجز ما تضمنته فيما يلى :

١ — من اتصاله بالكثير من الحجاج الأفارقة تأكد ان الطريقة التيجانية المنسوبة الى الشيخ احمد التيجاني قد انتشرت في تلك البلاد ، وتضاربت اقوال الناس فيها ، وعمت بلاد افريقيا موجة من الاختلاف في شأن هذه الطريقة ، وفشا بين العامة منهم ان من لم يعتنق الطريقة التيجانية فليس من الاسلام في شيء .

وكان منزل الشيخ رحمه الله منتدى يجتمع فيه الحجاج من غالب البلاد التى يحتلها الفرنسيون قبل ان يقسم الى جمهوريات متعددة ، ويقصده المثقفون منهم بالذات ، لأنه يجيد اللغة الفرنسية ، ويشرح لهم بواسطتها ما يحتاجون اليه من امور دينهم . وكثيراً ما كان يدور النقاش والاستفسار عنها . فعكف رحمه الله على دراسة كتبها ، والوقوف على حقيقة ما فيها من مراجعها واصولها . وخلص من ذلك الى تأليف رسالته التى بارك الله فيها — كانت سبباً لوعي الكثير من الناس لسهولة اسلوبها وخلوص نية صاحبها ، والتركيز على نقاط حساسة هامة جعلت العامة تقف على بعض المعتقدات التى لا يعرفها الا الخاصة من اهل الطريقة — اسماها (الانوار الرحمانية لهداية الفرقة النجاتية) .

وقبل ان اوجز الكلام عن فصول الرسالة يناسب التعريف بالشيخ احمد النجاتي الذى نسبت اليه هذه الطريقة ، وببعض مصادرها . « فهو احمد بن محمد بن المختار بن احمد بن سالم الشريف التيجاني . ولد عام خمسين ومائة والف من الهجرة . بعين ماضى ، ونشأ بها ، وارتحل لفاس عام احدى وسبعين ومائة والف ، وتوفي بها عام ١٢٣٠ ه .

قال الشيخ محمد الحافظ التجاني المصرى المعاصر في ترجمة له للشيخ :

« وما زال رضي الله عنه منذ تولى رسول الله تربيته بالروح يسمو ويرقي حتى بلغ مقام القطبانية العظمى. ثم وصل الى مقام الولاية المعروف عند الأولياء بالخيمة عام اربعة عشر في القرن الثالث عشر ١ ه .

ومن اشهر ما أُلف من الكتب في هذه الطريقة هو كتاب جواهر المعاني للشيخ علي حرازم ،وكتاب

الرماح للشيخ عمر الفُوني ، وكتاب الافادة الاحمدية لمريد السعادة الأبدية . للشيخ محمد الطيب الشهير بالسفياني والمتوفي عام ١٢٥٩ هـ وهو من خاصة الخاصة من اصحاب الشيخ احمد التجاني .

وبمناسبة ذكر كتاب الافادة وهو كتاب لا تزيد صفحاته عن ٨٤ صفحة اورد لك نبذة مما جاء فيه :

قال الشيخ السفياني في مقدمة الكتاب . . وبعد .

فأول ما يعتنى به بعد كلام مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامُ المشايخ رضى الله عنهم اذ هم خلفاؤه المغترفون من فيض بحره ، ونوابه المقتطفون من ازهار حدائق سره . وأولى ذلك عندى جمعُ كلام شيخ الشيوخ ، ومعدن الثبات والرسوخ . قطب الأمة المحمدية ، وخليفته عن الرحمة الربانية أبي العباس مولانا احمد بن محمد التجاني الى ان قال :

ولقد تلقيت جله مشافهة منه ، والباقي ممن أثق به ، وأروى عنه . وحملني على تقييده ، خوف الدرس والضياع لينفع الله به من أراد . ا هـ .

وإليك بعض النماذج مما في الافادة الاحمدية المطبوعة بالمطبعة الخيرية عام ١٣٥٠ هـ بتعليق الشيخ محمد الحافظ التجاني الذى سبقت الاشارة اليه لتحكم على ذلك بما اراك الله فان في صفحة (٧) .

(اقول لهم كما قيل في على بن ابي طالب رضى الله عنه هو قسم(١) النار من احبنا يقال له ادخله الجنة، ومن أبغضنا ومات دخل النار) . .

(اكابر اقطاب هذه الأمة لا يدركون مراتب اصحابي ، اعطانا ذلك رغما عن انوفكم صفحة (١٠) .

(اصحابي ليسوا مع الناس في الموقف بل هم مكتنفون في ظل العرش صفحة (١٥) .

(امرني صلى الله عليه وسلم بجمع كتاب جواهر المعاني وقال لي كتابي هو وأنا ألفته صفحة (١٩)

(ثلاثة تقطع التلميذ عنا اخذ ورد على وردنا ، وزيارة الأولياء ، وترك الورد صفحة (٣١)

(ذكر ليلة الجمعة مائة من صلاة الفاتح لما اغلق . . الخ بعد نوم الناس يكفر اربعمائة سنة صفحة (٣٥)

طريقنا طريق محض الفضل اعطاها لي صلى الله عليه وسلم منه الي من غير واسطة صفحة (٣٦)

طائفة من اصحابنا لو اجتمع اكابر اقطاب هذه الأمة ما وزنوا شعرةً من بحر احدهم صفحة (٤٠)

كل الشيوخ اخذوا عنا من عصر الصحابة الى النفخ في الصور صفحة (٤٠)

كل من عمل عملاً وتقبل منه فرضاً كان او نفلاً يعطينا الله تبارك وتعالى ولاصحابنا على ذلك العمل اكثر من مائة الف ضعف مما يعطى صاحبه صفحة (٤٣)

من حلف بالطلاق انه جالس مع المصطفى صلى الله عليه وسلم في الوظيفة فهو بارٌّ في يمينه ، ولا يلزمه طلاق صفحة (٥٤) .

---

(١) المعنى غير واضح وظاهر الكلام غير مستقيم — التحرير

نهاني صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء وأمرني بالتوحه بصلاة الفاتح لما اغلق صفحة (٥٧) قدماى هاتان على رقبة كل ولي لله تعالي من اول نشأة العالم الي النفخ في الصور صفحة (٦٢) .

يوضع لى منير من نور يوم القيامة ، وينادى منادى حتى يسمعه كل من بالموقف يا اهل الموقف ، هذا إمامكم الذى كنتم تستمدون منه في دار الدنيا من غير شعور منكم صفحة (٧٤) .

هذا الكلام وامثاله هو ما حفز الشيخ رحمه الله بتأليف رسالته (الانوار الرحمانية) . نصحاً للامة الاسلامية ، وقمعاً للبدعة ، واعلاماً بان ما لم يكن ديناً في الصدور الأول لا يكون اليوم ديناً . وقد حرص رحمة الله علينا وعليه على ان تكون الرسالة سهلة الاسلوب ، صغيرة ، واضحة الهدف ، مبيناً فيها ما ينكره اهل السنة على اهل هذه الطريقة مشيراً الى رقم الصفحة من كتب القوم ليبين كل مسلم غيور تلك المعتقدات . واكتفى بذكر عشر عقائد منها :

الأولى : ان هذا الورد ادخره رسول الله صلى الله عليه وسلم للشيخ احمد ولم يعلمه احدا من الصحابة .

الثانيــة : ان المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل كل تسبيح وقع في الكون ، وكل ذكر ، وكل دعاء كبيراً كان او صغيراً ، وتعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة .

الثالثــة : من لم يعتقد ان صلاة الفاتح من القرآن لم يصب الثواب فيها .

الرابعة : وضع لى منير من نور يوم القيامة . . . الخ .

الخامسة : لا تقرأ جوهرة الكمال الا بالطهارة المائية .

السادسة : نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالاسماء الحسنى .

السابعة : ان وليا وذكر اسمه كان كثيراً ما يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمه الشعر .

الثامنة : من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والاثنين يدخل الجنة بغير حساب .

التاسعة : انهم يأخذون عن الله ورسوله الاحكام .

العاشرة : ان الشرط في طريقتهم ان لا يلقن لمن له ورد من اوراد المشايخ الا ان تركه ، وانسلخ عنه لا يعود اليه ابدا .

وقد اجاب على كل مسألة من هذه المسائل بما أغنى وأشفى وقد طبعت هذه الرسالة عدة مرات آخرها الطبعة الرابعة التى تولت الجامعة الاسلامية نشرها عام ١٣٩٤ هـ جزاها الله افضل الجزاء .

كما انه قد قام بالرد على هذه الطائفة جماعة من اهل العلم أذكر منهم العالم الجليل مفتى المالكية بالمدينة سابقا الشيخ محمد الخضر بن سيدى عبد الله بن ما يابي الشنقيطى في كتابه « مشتهى الخارف الجاني في رد زلعات التجاني الجاني » بلغت صفحاته أربعمائة صفحة .

وفضيلة الدكتور محمد تقى الدين الهلالى في رسالته الهدية الهادية ، والتى بلغت صفحاتها ٨٠ صفحة تقريبا . وقد ألف جماعة من علماء افريقيا الغربية رسائل تضمنت الرد على معتقدات هذه الطائفة منها ما جرى الاطلاع عليه ، والبعض لم اطلع عليه حتى الآن .

أما رسالة الشيخ رحمه الله الثانية فهى « جواب الافريقى » ، وهى رسالة لطيفة بلغت صفحاتها ستين صفحة . اجاب فيهـا على سبع عشرة مسألة . وردت اليه من بلاد مليبار عام ١٣٦٦ هـ وهي :

اذا مات الميت ماذا يفعل له أهله ، وماذا يقولون حين يمشون بالجنازة ، واذا مات الاب ماذا يفعل الأولاد من الخير والصدقات ، وقراءة القرآن وهل ينفعه ويصل اليه ام لا ؟ اذا صلوا الفرض هل لهم ان يجلسوا في مصلاهم للدعاء ؟ والامام يدعو وهم يؤمنون . وعن القنوت في صلاة الصبح ، وعن صلاة التراويح كم ركعة هي ، وعن مجالس الوعظ والارشاد في المساجد وعن قراءة المولد للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهل يتصدق ويجعل ثوابه للنبي وما هى محبته عليه الصلاة والسلام . وهل لعيسى عليه السلام ابٌ أم لا وهل هو حيٌ الآن ام لا ؟ .

ولما عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء هل كان بجسده أو روحه ، وهل يجوز التداوى بالحرام . وهل يجوز للمسلم ان يكون مذهبياً أم لا . وما هى السنة في صيام التطوع .

وهى مسائل كما سمعت هامة وجليلة تولى الاجابة عليها بما وفقه الله مستدلاً بالكتاب والسنة وذكر بعض اقوال العلماء .

اما كتابه الثالث فهو : توضيح الحج والعمرة ، كما جاء بالكتاب والسنة .وقد بلغت صفحاته ١٢٠ صفحة فرغ من تأليفه ليلة الثلاثاء من شهر صفر عام ١٣٦٧ هـ .

واكتفى في تلخيصه بما ذكره مصححه والمشرف على طبعه . فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم رئيس جماعة انصار السنة المحمدية حالياً . عند تصدير الكتاب حيث قال :

مصدر يشرح قواعد الاسلام الخمس ، وما يهم كل مسلم معرفته من الأوامر والنواهي ، مع تفصيل محبة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به .

وقال : قرأت الكتاب فألفيته مع صغر حجمه جامعاً لكل ما يهم المسلم معرفته من عقيدة سليمة وعبادة صحيحة .

وقال : اما عبارات الكتاب فهى في متناول الجميع لا لبس فيها ولا ايهام يتفهمها العام قبل الخاص ، ويعقلها المتعلم قبل العالم فجاء جزيل النفع كثير الفائدة . اهـ

ولفضيلته رحمه الله مجموعة من الفتاوى لم تطبع ومسودات لبعض المذكرات في الحديث والمصطلح ألقاها على طلابه في المعهد العلمي وفي كلية الشريعة بالرياض .

وفـــاته :

توفي رحمه الله تعالى في ليلة الثلاثاء الموافق ١٣٧٧/٣/٢٨ هـ بعد ان انتابته امراض كثيرة لم تكن سببا لتوقفه عن الدعوة والجهاد في سبيل الله . بعد خدمةٍ جليلة للسنة شهد له بها القاصي والداني .
وخلف اربعة ابناء ، واربع بنات لم يكن رحمه الله حريصاً على ترك دنيا لهم حرصه على احياء دار الحديث بالمدينة المنورة ، وجعلها شغله الشاغل والتى كان ينوى جعلها كلية للحديث النبوي الشريف في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن ادركه الأجل قبل ان تتحقق أمنيته .

وقد حقق الله تعالي إنشاء كلية للحديث الشريف في هذه المدينة الطيبة تابعةٍ للجامعة الاسلامية في عام ١٣٩٦ هـ . نفع الله بها وبقية كليات الجامعة والمعاهد الاسلامية جمعاء ، وجعلهاً معاقل خير لخدمة الاسلام والمسلمين فرحمه الله رحمة واسعة ، واغدق عليه رضوانه ، وجعلنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

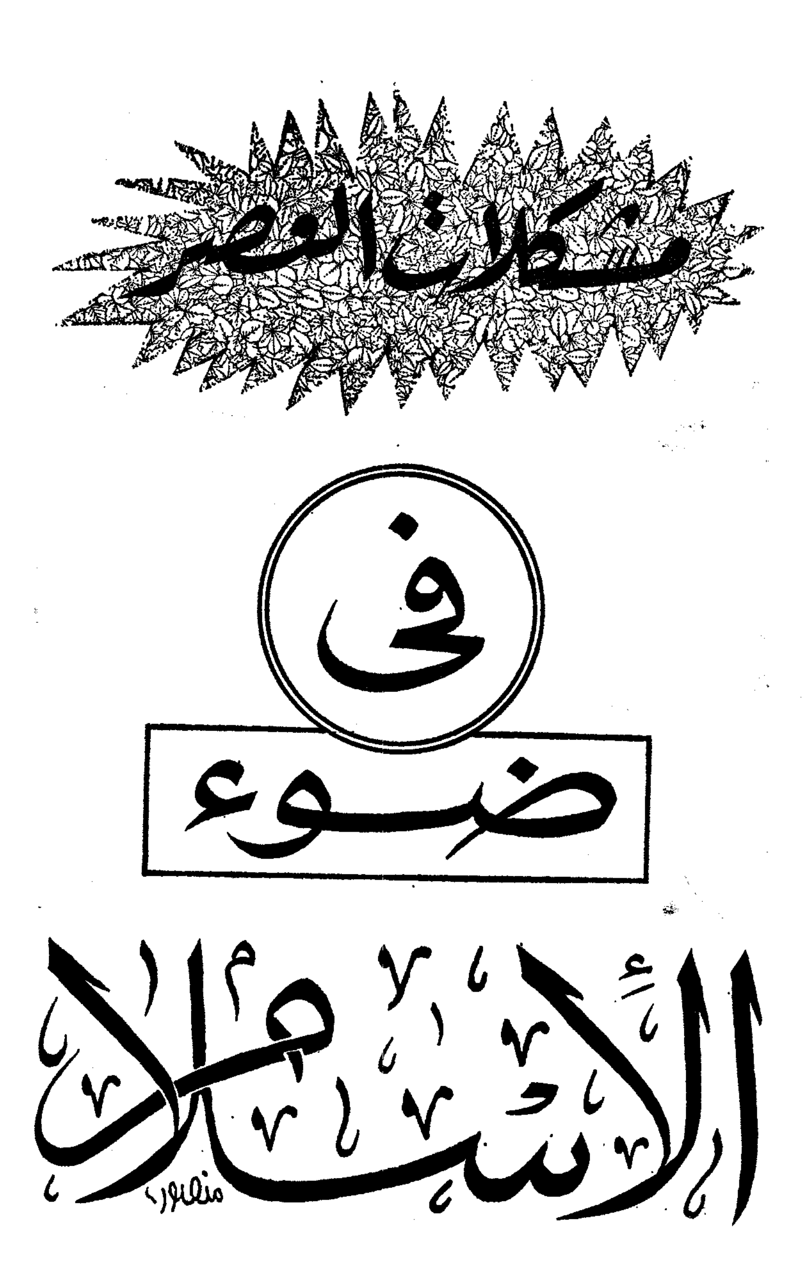
« وبعد » . . فإن الله تعالى يقول : « كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة الآية » . . ويقول : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم »

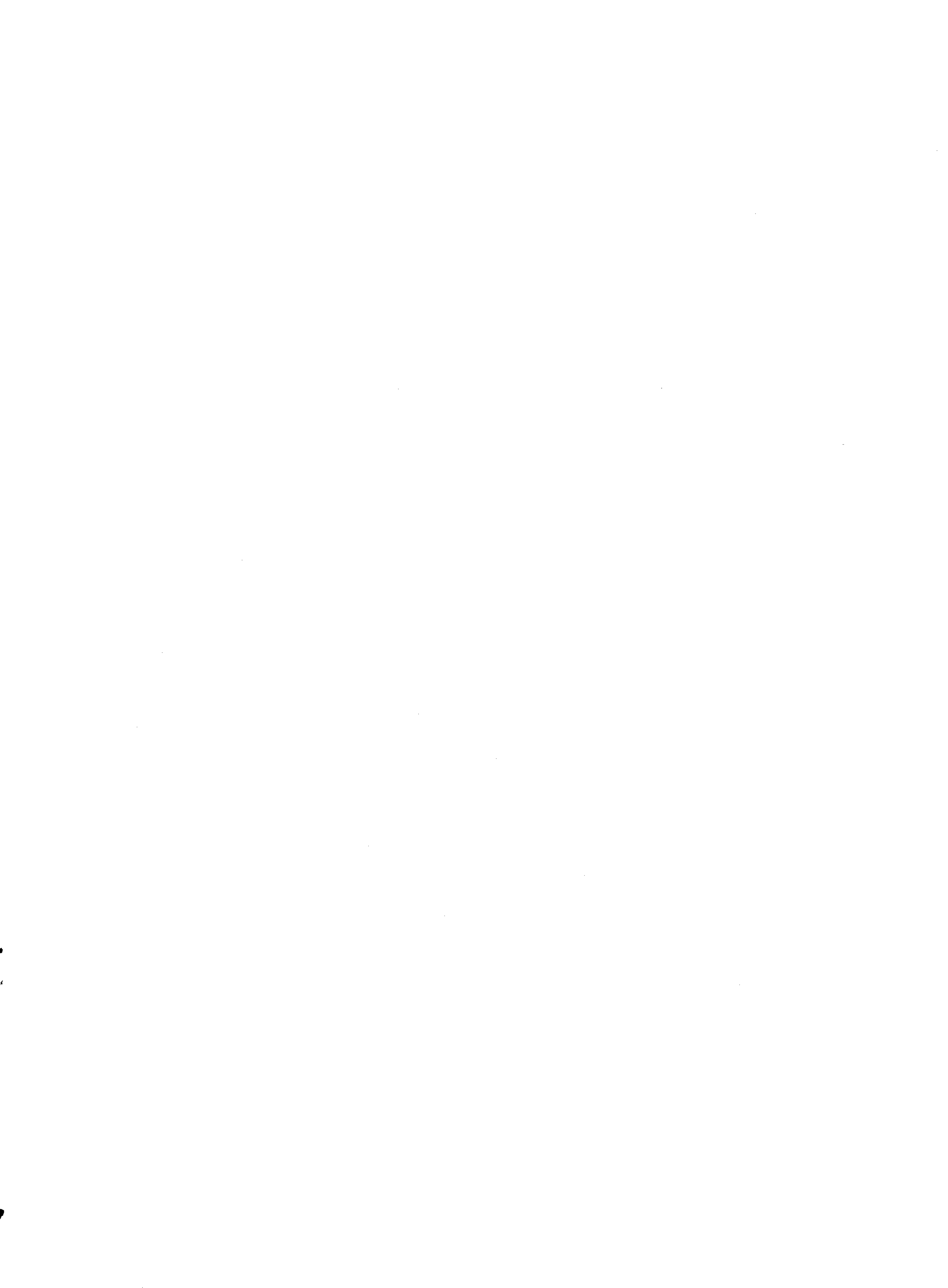
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من احب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقالت عائشة رضى الله عنها « انا نكره الموت فقال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئٌ احب إليه مما امامه ، فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه . وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئٌ اكره اليه مما امامه وكره لقاء الله ، وكره الله لقاءه » . . متفق عليه .

وروى البخارى ومسلم والنسائي والترمذى واحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فافتوا الناس بغير علمٍ فضلوا واضلوا » .

هذا وليحسن العلماء ، وليخلص الطـــلاب وبالله التوفيق ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه : عمر محمد فلاته


مشكلات العصر
في
ضوء
الإسلام





لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الامين ، وعلى اله وصحبه اجمعين
اما بعد : —

فان الدعوة الى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال المؤدى الى الاختلاط سواء كان ذلك على جهة التصريح او التلويح بحجة أن ذلك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة أمر خطير جدا له تبعاته الخطيرة وثمراته المرة وعواقبه الوخيمة . رغم مصادمته للنصوص الشرعية التى تأمر المرأة بالقرار في بيتها والقيام بالاعمال التى تخصها في بيتها ونحوه .

ومن أراد أن يعرف عن كثب ماجناه الاختلاط من المفاسد التى لا تحصى فلينظر الى تلك المجتمعات التى وقعت في هذا البلاء العظيم اختيارا أو اضطرارا بانصاف من نفسه وتجرد للحق عما عداه يجد التذمر على المستوى الفردى والجماعى والتحسر على انفلات المرأة من بيتها وتفكك الاسر ، ونجد ذلك واضحا على لسان الكثير من الكتاب بل في جميع وسائل الاعلام وما ذلك الا لأن هذا هدم للمجتمع وتقويض لبنائه .

والأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الخلوة بالاجنبية وتحريم النظر اليها وتحريم الوسائل الموصلة الى الوقوع فيما حرم الله أدلة كثيرة قاضية بتحريم الاختلاط لانه يؤدى الى ما لا تحمد عقباه .
واخراج المرأة من بيتها الذى هو مملكتها ومنطلقها الحيوى في هذه الحياة إخراج لها عما تقتضيه فطرتها وطبيعتها التى جبلها الله عليها .

فالدعوة الى نزول المرأة في الميادين التى تخص الرجال امر خطير على المجتمع الاسلامى ومن اعظم آثاره الاختلاط الذى يعتبر من اعظم وسائل الزنا الذى يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه واخلاقه .

ومعلوم ان الله تبارك وتعالى جعل للمرأة تركيبا خاصا يختلف تماما عن تركيب الرجل هيأها به للقيام بالاعمال التى في داخل بيتها والاعمال التى بين بنات جنسها .

ومعنى هذا : ان اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعتبر اخراجا لها عن تركيبها وطبيعتها . وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنويتها وتحطيم لشخصيتها ويتعدى ذلك الى أولاد الجيل من ذكور واناث لانهم يفقدون التربية والحنان والعطف . فالذى يقوم بهذا الدور وهو الام قد فصلت منه وعزلت تماما عن مملكتها التى لا يمكن ان تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة الا فيها وواقع المجتمعات التى تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول .

والاسلام جعل لكل من الزوجين واجبات خاصة على كل واحد منهما ان يقوم بدوره ليكتمل بذلك بناء المجتمع في داخل البيت وفي خارجه .

فالرجل يقوم بالنفقة والاكتساب والمرأة تقوم بتربية الاولاد والعطف والحنان والرضاعة والحضانة والاعمال التى تناسبها لتعليم الصغار وادارة مدارسهن والتطبيب والتمريض لهن ونحو ذلك من الأعمال المختصة بالنساء . فترك واجبات البيت من قبل المرأة يعتبر ضياعا للبيت بمن فيه . ويترتب عليه تفكك الاسرة حسيا ومعنويا وعند ذلك يصبح المجتمع شكلا وصورة لا حقيقة ومعنى .

قال الله جل وعلا (الرجـــال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم) فسنة الله في خلقه ان القوامة للرجل على المرأة وللرجل فضل عليها كما دلت الآية الكريمة على ذلك . وامر الله سبحانه للمرأة بقـرارها في بيتها ونهيها عن التبرج معنـــاه : النهى عن الاختلاط وهو : اجتماع الرجال بالنساء الاجنبيات في مكان واحد بحكم العمل او البيع او الشراء او النزهة أو السفر أو نحو ذلك ، لان اقتحام المرأة في هذا الميدان يؤدى بها الى الوقوع في المنهى عنه ، وفي ذلك مخالفة لأمر الله وتضييع لحقوقه المطلوب شرعا من المسلمة ان تقوم بها .

والكتاب والسنة دلا على تحريم الاختلاط وتحريم جميع الوسائل المؤدية اليه قال الله جل وعلا (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة ، واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) فأمر الله امهات المؤمنين ، وَجَمِيعُ المسلمات والمؤمنات دَاخِلاتٌ في ذلك – بالقرار في البيوت لما في ذلك من صيانتهن وابعادهن عن وسائل الفساد لان الخروج لغير حاجة قد يفضى الى التبرج كما يفضى الى شرور اخرى ثم امرهن بالاعمال الصالحة التى تنهاهن عن الفحشاء والمنكر وذلك باقامتهن الصلاة وايتائهن الزكاة وطاعتهن لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . ثم وجههن

الى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة وذلك بان يكن على اتصال دائم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة اللذين فيهما ما يجلو صدأ القلوب ويطهرها من الارجاس والانجاس ويرشد الى الحق والصواب .
وقال الله تعالى (يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادني أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) . فأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام وهو المبلغ عن ربه — ان يقول لأزواجه وبناته وعامة نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وذلك يتضمن ستر باقي اجسامهن بالجلابيب وذلك اذا أردن الخروج لحاجة مثلا لئلا تحصل لهن الاذية من مرضى القلوب . فاذا كان الامر بهذه المثابة فما بالك بنزولها الى ميدان الرجـــال واختلاطها معهم وابداء حاجتها اليهم بحكم الوظيفة والتنازل عن كثير من انوثتها لتنزل في مستواهم وذهاب كثير من حيائها ليحصل بذلك الانسجام بين الجنسين المختلفين معنى وصورة .

قال الله جل وعلا (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . . الآية .

يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام ان يبلغ المؤمنين والمؤمنات ان يلتزموا بغض النظر وحفظ الفرج عن الزنا ثم اوضح سبحانه ان هذا الأمر ازكى لهم . ومعلوم ان حفظ الفرج من الفاحشة انما يكون باجتناب وسائلها ولا شك ان اطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها من أعظم وسائل وقوع الفاحشة . وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الاجنبية كزميلة أو مشاركة في العمل له . فاقتحامها هذا الميدان معه واقتحامه الميدان معها لاشك انه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر واحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارتها .

وهكذا أمر الله المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وعدم ابداء الزينة الا ما ظهر منها، وأمرهن الله باسدال الخمار على الجيوب المتضمن ستر رأسها ووجهها لان الجيب محل الرأس والوجه . فكيف يحصل غض البصر وحفظ الفرج وعدم ابداء الزينة عند نزول المرأة ميدان الرجال واختلاطها معهم في الاعمال . والاختلاط كفيل بالوقوع في هذه المحاذير . كيف يحصل للمرأة المسلمة ان تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الاجنبي جنبا الى جنب بحجة انها تشاركه في الاعمال او تساويه في جميع ما تقوم به .

والاسلام حرم جميع الوسائل والذرائع الموصلة الى الأمور المحرمة . وكذلك حرم الاسلام على النساء خضوعهن بالقول للرجال لكونه يفضى الى الطمع فيهن كما في قوله عز وجل (يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض) يعنى مرض الشهوة . فكيف يمكن التحفظ من ذلك مع الاختلاط .

ومن البدهي انها اذا نزلت الى ميدان الرجال لابد ان تكلمهم وان يكلموها ولابد ان ترقق لهم الكلام وان يرققوا لها الكلام والشيطان من وراء ذلك يزين ويحسن ويدعو الى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له . والله حكيم عليم حيث أمر المرأة بالحجاب وما ذاك الا لان للناس فيهم البر والفاجر والطاهر والعاهر فالحجاب يمنع – باذن الله – من الفتنة ويحجز دواعيها وتحصل به طهارة قلوب الرجال والنساء والبعد عن مظان التهمة قال الله عز وجل : (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) الآية . وخير حجاب المرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها . وحرم عليها الاسلام مخالطة الرجال الاجانب لئلا تعرض نفسها الفتنة بطريق مباشر أو غير مباشر . وامرها بالقرار في البيت وعدم الخروج منه الا لحاجة مباحة مع لزوم الادب الشرعي وقد سمى الله مكث المرأة في بيتها قراراً وهذا المعنى من اسمى المعاني الرفيعة ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراح لصدرها . فخروجها عن هذا القرار يفضى الى اضطراب نفسها وقلق قلبها وضيق صدرها وتعريضها لما لا تحمد عقباه . ونهى الاسلام عن الخلوة بالمرأة الاجنبية على الاطلاق الا مع ذى محرم وعن السفر الا مع ذى محرم سدا لذريعة الفساد واغلاقا لباب الاثم وحسما لأسباب الشر وحماية للنوعين من مكايد الشيطان ولهذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (اتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت من النساء) .

وقد يتعلق بعض دعـاة الاختلاط ببعض ظواهر النصوص الشرعية التى لا يدرك مغزاها ومرماها الا من نور الله قلبه وتفقه في دين الله وضم الأدلة الشرعية بعضها الى بعض وكانت في تصوره وحدة لا يتجزأ بعضها عن بعض . ومن ذلك خروج بعض النساء مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات والجواب عن ذلك ان خروجهن كان مع محارمهن لمصالح كثيرة لا يترتب عليه ما يخشى عليهن منه من الفساد لإيمانهن وتقواهن واشراف محارمهن عليهن وعنايتهن بالحجاب بعد نزول آيته بخلاف حال الكثير من نساء العصر ومعلوم ان خروج المرأة من بيتها الى العمل يختلف تماما عن الحالة التى خرجن بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو فقياس هذه على تلك يعتبر قياسا مع الفارق . وايضا فما الذى فهمه السلف الصالح حول هذا – وهم لاشك أدرى بمعاني النصوص من غيرهم واقرب الى التطبيق العملى بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما هو الذى نقل عنهم على مدار الزمن . هل وسعوا الدائرة كما ينادى دعاة الاختلاط فنقلوا ما ورد في ذلك الى ان تعمل المرأة في كل ميدان من ميادين الحياة مع الرجال تزاحمهم ويزاحمونها وتختلط معهم ويختلطون معها . ام انهم فهموا ان تلك قضايا معينة لا تتعداها الى غيرها .

واذا استعرضنا الفتوحات الاسلامية والغزوات على مدار التاريخ لم نجد هذه الظاهرة، أماما يدعى في هذا العصر من ادخالها كجندى يحمل السلاح ويقاتل كالرجل فهو لا يتعدى ان يكون وسيلة لافساد وتذويب

اخلاق الجيوش باسم الترفيه عن الجنود لان طبيعة الرجل اذا التقت مع طبيعة المرأة كان منهما عند الخلوة ما يكون بين كل رجل وامرأة من الميل والانس والاستراحة الى الحديث والكلام وبعض الشئ يجر الى بعض واغلاق باب الفتنة احكم واحزم وابعد من الندامة في المستقبل .

فالاسلام حريص جدا على جلب المصالح ودرئ المفاسد وغلق الابواب المؤدية اليها ولاختلاط المرأة مع الرجل في ميدان العمل تأثير كبير في انحطاط الامة وفساد مجتمعها كما سبق، لان المعروف تاريخيا عن الحضارات القديمة الرومانية واليونانية ونحوهما ان من اعظم اسباب الانحطاط والانهيار الواقع بها هو خروج المرأة من ميدانها الخاص الى ميدان الرجال ومزاحمتهم مما ادى الى فساد اخلاق الرجال وتركهم لما يدفع بامتهم الى الرقي المادى والمعنوي . . وانشغال المرأة خارج البيت يؤدى الى بطالة الرجل وخسران الامة انسجام الاسرة وانهيار صرحها وفساد اخلاق الاولاد ويؤدى الى الوقوع في مخالفة ما اخبر الله به في كتابه من قوامة الرجل على المرأة . وقد حرص الاسلام ان يبعد المرأة عن جميع ما يخالف طبيعتها فمنعها من تولى الولاية العامة كرئاسة الدولة والقضاء وجميع ما فيه مسئوليات عامة لقوله صلى الله عليه وسلم (لن يفلح قوم ولوامرهم امرأة) رواه البخارى في صحيحه . ففتح الباب لها بان تنزل الى ميدان الرجال يعتبر مخالفا لما يريده الاسلام من سعادتها واستقرارها . فالاسلام يمنع تجنيد المرأة في غير ميدانها الأصيل . وقد ثبت من التجارب المختلفة وخاصة في المجتمع المختلط – ان الرجل والمرأة لا يتساويان فطريا ولا طبيعيا فضلا عما ورد في الكتاب والسنة واضحا جليا في اختلاف الطبيعتين والواجبين . والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف المنشئ في الحلية وهو في الخصام غير مبين بالرجل يجهلون أو يتجاهلون الفوارق الاساسية بينهما .

لقد ذكرنا من الأدلة الشرعية والواقع الملموس ما يدل على تحريم الاختلاط واشتراك المرأة في اعمال الرجال مما فيه كفاية ومقنع لطالب الحق ولكن نظرا الى ان بعض الناس قد يستفيدون من كلمات رجال الغرب والشرق اكثر مما يستفيدون من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام علماء المسلمين رأينا ان ننقل لهم ما يتضمن اعتراف رجال الغرب والشرق بمضار الاختلاط ومفاسده لعلهم يقتنعون بذلك . ويعلمون ما جاء به دينهم العظيم من منع الاختلاط هو عين الكرامة والصيانة للنساء وحمايتهن من وسائل الاضرار بهن والانتهاك لاعراضهن .

قالت الكاتبة الانجليزية اللادى كوك (ان الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة اولاد الزنا وههنا البلاء العظيم على المرأة . الى ان قالت علموهن الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصـــاد) .

وقال شوبنهور الالماني: (قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذى دعا المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده وباذخ رفعته وسهل عليها التعالى في مطامعها الدنيئة حتى افسدت المدنية الحديثة بقوى سلطانها ودنيء آرائها) .

وقال اللورد بيرون: (لو تفكرت ايها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها في حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة ولرأيت معى وجوب إشغال المرأة بالأعمال المنزلية مع تحسن غذائها وملبسها فيه وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير) ا ه .

وقال ساموبل سمايلس الانجليزى: (ان النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فان نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لانه هاجم هيكل المنزل وقوض أركان الأسرة ومزق الروابط الاجتماعية فانه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من اقاربهم صار بنوع خاص لا نتيجة له الا تسفيل اخلاق المرأة اذ وظيفة المرأة الحقيقية هى القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث اصبحت المنازل غير منازل وأَضْحَتْ الاولاد تشُب على عدم التربية وتلقى في زوايا الاهمال وطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل وصارت زميلته في العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبا التواضع الفكرى والاخلاقي الذى عليه مدار حفظ الفضيلة) .

وقالت الدكتورة ايدايلين: (ان سبب الازمات العائلية في امريكا وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو ان الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الاسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الاخلاق ثم قالت ان التجارب ، اثبتت ان عودة المرأة الى الحريم هو الطريقة الوحيدة لأنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذى يسير فيه) .

وقال احد اعضاء الكونجرس الامريكى: (ان المرأة تستطيع ان تخدم الدولة حقا اذا بقيت في البيت الذى هو كيان الاسرة) .

وقال عضو آخر: (ان الله عندما منح المرأة ميزة انجاب الاولاد لم يطلب منها ان تتركهم لتعمل في الخارج بل جعل مهمتها البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الاطفال) .

وقال سوبنهور الالماني ايضا : اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة بدون رقيب ثم قابلوني بعد عام لتروا النتيجة ولا تنسوا انكم سترثون معى للفضيلة والعفة والأدب واذا مت فقولوا : اخطأ أو أصاب كبد الحقيقة ذكر هذه النقول كلها الدكتور مصطفى حسنى السباعى رحمه الله في كتابه المرأة بين الفقه والقانون .

ولو اردنا ان نستقصى ما قاله منصفو الغرب في مضمار الاختلاط الذى هو نتيجة نزول المرأة الى ميدان اعمال الرجال لطال بنا المقال ولكن الاشارة المفيدة تكفى عن طول العبارة .

والخلاصة ان استقرار المرأة في بيتها والقيام بما يجب عليها من تدبيره بعد القيام بأمور دينها هو الامر الذى يناسب طبيعتها وفطرتها وكيانها وفيه صلاحها وصلاح المجتمع وصلاح الناشئة فان كان عندها فضل ففى الامكان تشغيلها في الميادين النسائية كالتعليم للنساء والتطبيب والتمريض لهن ونحو ذلك مما يكون من الاعمال النسائية في ميادين النساء كما سبقت الاشارة الى ذلك . وفيها شغل لهن شاغل وتعاون مع الرجال في اعمال المجتمع واسباب رقيه كل في جهة اختصاصه ولا ننسى هنا دور امهات المؤمنين رضى الله عنهن ومن سار في سبيلهن وما قمن به من تعليم للامة وتوجيه وارشاد وتبليغ عن الله سبحانه وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فجزاهن الله عن ذلك خيرا واكثر في المسلمين اليوم امثالهن مع الحجاب والصيانة والبعد عن مخالطة الرجال في ميدان اعمالهم .

والله المسئول ان يبصر الجميع بواجبهم وان يعينهم على ادائه على الوجه الذى يرضيه وان يقى الجميع وسائل الفتنة وعوامل الفساد ومكايد الشيطان انه جواد كريم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

منع تشغيل النساء في الشركات والمؤسسات الخاصة

هذا ويسر المجلة أن تنشر بهذه المناسبة الخطاب الذى وجهه صاحب السمو الملكى الامير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية الى معالي وزير العمل والشئون الاجتماعية المتضمن منع تشغيل النساء في الشركات والمؤسسات الخاصة .

حفظ الله سموه وزاده توفيقاً

وجه صاحب السمو الملكي الامير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية خطابا الى معالي الشيخ ابراهيم العنقرى وزير العمل والشؤون الاجتماعية طالب فيه سموه بتكليف مكاتب العمل في عموم مناطق المملكة بالقيام بجولات تفتيشية فورية على عموم الشركات والمؤسسات الخاصة وكل من يوجد لديه امرأة تعمل يحقق معها عن كيفية إستقدامها وهل لديها رخصة عمل ومن ثم ترحيلها من البلد وتطبيق النظام بحق من قام بتشغيلها وإذا وجد ولى أمرها فيؤخذ عليه تعهد بعدم عملها وإذا عادت مرة أخرى ترحل في الحال .

هذا ومن جهة أخرى علمت (الندوة) أن سمو الأمير نايف قد طالب معالي وزير العمل بمنع السعوديات من العمل . . في مثل تلك الأعمال ويطبق النظام بحق من شغلها بدون رخصة ويؤخذ عليه تعهد وعلى ولى أمرها بعدم تشغيلها إلا في المجالات المسموح بها لها بالعمل فيها . كما علم مندوب « الندوة » أن الجهات التى حددها سمو وزير الداخلية هى المستشفيات ومدارس تعليم البنات والكليات والدوائر الحكومية المسموح بها عمل الفتيات السعوديات كسجون النساء والجمعيات الخيرية والشؤون الاجتماعية . وقد طالب سمو وزير الداخلية معالي وزير العمل بضرورة تنسيق مع الجوازات في إجراءات الابعاد وتطبيق ما يخص الجوازات من أنظمة تطبيق العقوبات في هذه المخالفات بحدها الأقصى . كما يؤخذ تعهد على أصحاب المؤسسات والشركات ومالكيها الاصليين بعدم تشغيل أى أمرأة لديهم وقد حدد سمو وزير الداخلية في خطابه أن المسؤولية ستكون علي مالكى المؤسسات والشركات أمام الدولة وليس من جانب مديري أعمالهم حتى لا تكون حجة أمام المالكين الاصليين بالتنصل من أى مخالفة وتحميلها لهؤلاء المديريين .

كما علمت الندوة أنه قد تم تبليغ أصحاب السمو والمعالى الوزراء بهذه الاجراءات الجهات المسموح للمرأة بالعمل فيها .

الندوة ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٩٨ هـ — العدد ٥٨٥٨



يظن كثير من الناس أن الدين شيء وأن الحضارة شيء آخر وأن المتدينين قوم ، وأن المتحضرين قوم آخر ون ، وهذا ظن خاطئ ، تسرب إلى أقطار العالم الإسلامي في العصر الحديث نتيجة لانتشار مظاهر الحضارة المادية الوافدة من الغرب العلماني الذى فصلت دوله العلم عن الدين ، وحبست الدين داخل جدران الكنائس ، فلم يعد له أثر فعال في سلوك الناس ، لذلك ينبغي بيان صلة الحضارة بالدين ، حتى لا يخدع شباب المسلمين ، بما يروجه أعداء الإسلام ، أياً كان لونهم ، من ضرورة الفصل بين الدين والحضارة ، مجاراة للعلمانيين .

ولكي تتضح الصلة بين الدين والحضارة ، ينبغي أن نتبين المقصود بالدين ثم نتبين المقصود بالحضارة لتظهر الصلة بينهما ، وبالله التوفيق .

أولا : المقصود بالدين :

يطلق الدين على كل معتقد يدين الإنسان به نفسه ، ويلزمها إياه ، وما يقضى به هذا المعتقد من عبادات وأحكام وأخلاق ونحوها ، وهو بهذا يشمل كل معتقد يعتقده الإنسان ، سواء أكان هذا المعتقد حقا أم باطلا ، صالحا أم فاسدا ، هدى أم ضلالا .

فدين رسل الله هو دين الحق ، ودين رسل الله هو الإسلام ، فبه بعث الله رسله ، وأنزل كتبه ، وأساسه الإيمان بالله واحدا لا شريك له ، وإخلاص العبادة له ، بحيث يكون الله وحده هو المعبود وهو المطلوب وهو المقصود، وبحيث يراقب الإنسان الله في كل عمل يعمله ، سواء أكان هذا العمل من أعمال الدنيا ، أم كان من أعمال الآخرة ، إذ لا فصل بين الدنيا والآخرة في دين الإسلام .

أما دين الكافرين وأصحاب المذاهب الضالة المضلة قديمها وحديثها فدين فاسد لأنه يقوم على شرك وزيغ وضلال .

ويتضح الفرق بين دين الحق ، ودين الباطل

من قول الله سبحانه وتعالى : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين » « سورة الكافرون » .

فدين الإسلام هو دين الحق الذى ارتضاه الله لعباده ، يقول الله عز وجل : « إن الدين عند الله الإسلام » (آل عمران) : ١٩ ويقول سبحانه : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران : ١٥) .

وقد أكمل الله دينه ، وأتم نعمته ، قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى رسوله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فقال تبارك وتعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » (المائدة : ٣).

والإنسان العاقل هو المكلف بهذا الدين ، وهو الذى ينبغي أن يأتمر بما فيه من أوامر ، وينتهى عما فيه من نواه ، حتى يستقيم طريقه في الحياة ، ويتحقق له الفلاح والسعادة في دنياه وأخراه .

وقد خلق الله الإنسان ، وجعله خليفة في الأرض ، ليمشى في مناكبها ، ويأكل من رزق الله فيها ويعمرها ، ويقيم الحضارة فيها على أساس عبادة الله وحده ، ومراقبته في جميع الأعمال .

ولهذا فضل الله الإنسان على كثير ممن خاق تفضيلا ، فقال جلت حكمته : « ولقد كرمنا كرمنا بنى آدم ، وحملناهم في ابر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (الإسراء : ٧١) .

والإنسان يولد على الفطرة نقيا صافيا ، والإسلام دين الله الحق دين يتفق مع الفطرة السليمة ، ولهذا يقول الله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (الروم : ٣٠) .

وكل مولود يولد على هذه الفطرة السليمة ، كما يقول الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

والإسلام يخاطب الإنسان بوجوده كله ، جسدا وروحا ، فهو المخلوق العاقل المؤهل للتكليف والحساب والجزاء ، فإذا استقام الإنسان كما أمره الله تحققت له السعادة في الدنيا والآخرة ، وكان له من الدنيا مكان العزة والقيادة ، ومن الآخرة جزاء المتقين المحسنين الفائزين برضوان الله ، كما يقول الله سبحانه وتعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (النحل : ٩٧) .

ثانيا : المقصود بالحضارة :

الحضارة في أحدث تعريف لها هى كل إنتاج مصدره العقل ، فهى تشمل كل ألوان النشاط البشرى ، أى أن الإنسان العاقل هو الذى ينتج الحضارة ، فهى ثمرات أعماله

التي يوجهها الدين الحق توجيها صحيحا ويزكيها .

وقد عرف علماء الاجتماع الإنسان بأنه حيوان عاقل وبأنه حيوان ذو دين ، وبأنه حيوان ذو حضارة . أى أن الإنسان العاقل هو الكلف دينيا ، والمنتج حضاريا . فالعقل هو أكبر نعمة أنعم الله بها على الإنسان ، لأنه يستطيع به التمييز بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال وبين الخير والشر ، وبين النافع والضار ، وبين الصالح والفاسد ، فيستطيع به أن يعرف الدين الحق ويدين به ، وأن ينتج الحضارة الصالحة المفيدة في الدنيا والآخرة .

والحضارة السليمة هى التى تتفق مع الفطرة السليمة ، فيجب على الإنسان أن يحتفظ بفطرته ، ويتسامى بإنسانيته ليكون أهلا للخلافة في الأرض ، فينبغى عليه أن يكون ذا دين حق ، حتى يكون ذا حضارة صحيحة تحقق السعادة للإنسان فردا ومجتمعا في الدنيا والآخرة .

أما إذا كان الإنسان يدين نفسه بدين باطل فاسد ومعتقدات ضالة مضلة ، فإنه ينتج حضارة فاسدة لأن كل إناء بما فيه ينضح ، فالإنسان بفطرته ذو دين وهو الذى ينتج الحضارة ، وفقا لمعتقداته الصحيحة أو الزائفة ، فتكون حضارة كريمة أو سقيمة .

والتاريخ خير شاهد على ارتباط الحضارة بالدين ، وأنها ثمرة له ، وأن الدين الحق هو الذى يثمر الحضارة الراقية معنويا وماديا ، لأن الإنسان منتج الحضارة محتاج إلى الدين الحق ، ليستقيم طريقه في الحياة ، وتستقيم أعماله في جميع الميادين ، فتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة .

وحين سار المسلمون الأولون على هدى دينهم الحق استطاعوا أن يبنوا حضارة راقية ، وأن يدخلوا الحياة من أوسع أبوابها وأكرمها ، وأن يقيموا دولة ملكت أطراف العالم ، وزخرت بألوان المجد والعزة ، وزهت بألوان العلم والمعرفة ، وأرست قواعد الحياة بين الأمم على أكرم المبادئ ، وأسمى الفضائل

ثالثا : ارتباط الحضارة بالدين :

يتضح مما ذكرنا أن الدين أساس الحضارة ، وان ارتباط الحضارة بالدين كارتباط البناء بالأساس ، فإذا كان الأساس صحيحا قويا استقام البناء ، وترابطت أجزاؤه ، وإذا كان الأساس فاسدا ، صار البناء هشا ضعيفا مهما كان براقاً .

والدين الحق هو الذى يعدّ الإنسان الصالح ليبنى به المجتمع الصالح ، لأن الإنسان هو لبنة البناء للمجتمع ، وهو الذى يستطيع أن ينتج حضارة على أسس سليمة قائمة على المبادئ الدينية القويمة .

ولن يكون الإنسان صالحا إلا إذا توازنت قواه المادية والمعنوية جميعا ، وتلاقي بعضها مع بعض على دواعى الخير ، ومواقع الإحسان

وإلا إذا كان ذا دين حق ، ليكون ذا سلوك حميد ، وسيرة طيبة ، وعمل نافع في ماديات الحياة ومعنوياتها .

فالدين الحق يعد الإنسان منتج الحضارة إعدادا طيبا ، ليدخل في المجتمع عضوا صالحا عاملا فيه ، ويجعل الناس جميعا ينتظمون في وحدة شعورية عامة ، بأنهم على سواء في التكاليف الشرعية ، وأنهم مطالبون كأفراد وكجماعة أن يقوموا بما كلفوا به ، وأن يأمروا فيما بينهم بالمعروف ، وأن ينهوا عن المنكر .

كما أن الدين الحق يضع المؤمنين به جميعا وضعا واحدا من أوامر الشريعة ونواهيها ، وعلى قدم المساواة بينهم لا فرق بين حاكم ومحكوم ، أو بين خاصة وعامة ، أو بين أغنياء وفقراء ، أو بين علماء وغير علماء ، ثم تبدأ المفاضلة بينهم على حسب إحسان كل منهم أو تقصيره ، فيكون أتقاهم هو أكرمهم عند الله ، كما يقول الله عز وجل : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (الحجرات : ١٣) .

وفي هذا المجال يكون التنافس في فعل الخير ، والتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، الذى يؤدى إلى سعادة الإنسان في الدنيا وإقامة حضارة راقية على أساس سليم ، والظفر بالثواب الجزيل في الآخرة .

والدين يقيم المجتمع الإنساني كله على أساس من المساواة ورفع الحواجز المصطنعة بين الجماعات على مدعيات باطلة من الاعتزاز بالدم أو اللون أو المال أو الجاه أو السلطان ويرد الناس إلى معدنهم الأصلى الذى خلقهم فيه من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » (النساء : ١) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمى ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى » .

وإن أى مجتمع لا يتحقق له الأمن والاستقرار والطمأنينه إلا إذا ارتبطت مشاعر أفراده جميعا بروح المودة والإخاء ، تؤلف بين قلوب الجماعة ، وتجعل منهم جسدا واحدا إذا مسه ضر وجد كل عضو من أعضائه مس هذا الضر كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

والإسلام دين الحق يربي الفرد والمجتمع على أساس الإيمان بالله الواحد الأحد ، الذى لا شريك له والذى له ما في السموات وما في الأرض ، ثم الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله وباليوم الآخر والبعث والحساب والجزاء والجنة والنار ، ثم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ،

وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ثم بفعل الخير وإتقان العمل .

وبقدر تمسك الإنسان بهذا الإيمان والاستقامة على شريعته يكون حظ المجتمع من الخير الذى يجنيه من ثمرات هذا الايمان ، ويكون حظ الحضارة التى ينتجها من ثمرات هذا الإيمان من رقي وسمو ، فتكون حضارة فاضلة يطيب فيها العيش ، وتهنأ في ظلالها الحياة لكل أهلها .

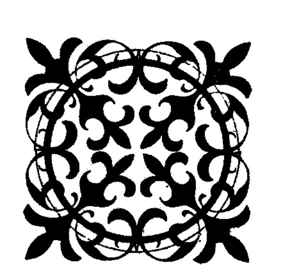
وقد تكفلت شريعة الإسلام بوضع الأسس السليمة التى يقوم عليها المجتمع الآمن ، والحضارة القويمة الصالحة الملائمة لكل زمان ومكان ، التى تؤلف تأليفا حكيما بين الفرد والجماعة ، وتقيم لأفراد البشرية حضارة سليمة ، على هذه الأسس القويمة .

فلا تنافر إذاً بين الدين والحضارة ، لأن الحضارة ثمرة الدين ، والدين الحق يتفق مع الفطرة السليمة ، التى فطر الله الناس عليها ، ولا تبديل لخلق الله .

ودين الإسلام الحق يربي الفرد تربية صحيحة يقيم بها حضارة راقية تسعد بها البشرية في الدنيا ، ويثقل بها ميزان الإنسان يوم يقوم الناس لرب العالمين .

والحضارة الفاسدة هى التى تقوم على معتقدات باطلة ، لا تتفق مع الفطرة السليمة ، ولا ترضى جميع جوانب الإنسان المادية والروحية .
والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



خير .. و .. شر

- خير الكلام كلام الله .
- خير الهدى هدى رسول الله .
- خير القصص قصص القرآن .
- خير الأمور عواقبها .

- شر الأمور محدثاتها .
- شر العمى عمى القلب .
- شر الضلالة الضلالة بعد الهدى .
- شر المعذرة معذرة العبد حين يحضره الموت .


ردود


و
مناقشات





الأربعين

لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عمر الربيعان
مدير المعهد المتوسط بالجامعة الإسلامية

صدر الجزء الثامن من كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن وهو الجزء الأول من التكملة والذى قام بتأليفه فضيلة الشيخ عطية محمد سالم تلميذ مؤلف الكتاب أصلا وهو العلامة بحر العلوم الزاخر محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله الذى اخترمته المنية قبل إتمام ذلك الكتاب النفيس والسفر العظيم الذى في اعتقادى لا يماثله كتاب في هذا الفن – تفسير القرآن الكريم – مما سبقه من كتب التفسير . وقد وصل فيه مؤلفه الى آخر سورة الحديد فانتدب لاكماله فضيلة الشيخ عطية القاضى بمحكمة المدينة ، وقد حرص أثابه الله على محاكاة خطة المؤلف والنسج على منواله بقدر الامكان ، فلما صدر الجزء الأول من التكملة وهو من أول سورة المجادلة حتى أخر سورة المرسلات تردد على ألسنة طلبة العلم وشاع بينهم أن فضيلة المؤلف قد وقع في بعض الأخطاء التقليدية التى في اعتقادى أنه لو تجرد أمامها من المؤثرات الخارجية واتجه في بحثها الى علمه وعقله فقط لما وقع فيها ، ونظراً لكوني لم أقرأ كل الكتاب وانما قرأت بعضه فاني سوف أناقش فضيلة المؤلف في مسألتين هما فيما قرأت أولاهما مسألة تصحيحه لحديث (من صلى في مسجدى أربعين صلاة . . الخ) ، وثانيهما مسألة شد الرحال لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم .

وابدأ بالأولى من المسألتين فأقول :

إن فضيلته صحح هذا الحديث وقد ضعفه بعض أهل العلم ممن هم أعلم منه بهذا الشأن ، وقد صححه الشيخ عطية دون أن يقدم أى حجة يرد بها دليل من ضعّفه سوى كلمة بسيطة نقلها عن فضيلة الشيخ حماد الانصارى لا تغنى في الموضوع شيئا ، لذلك سوف نناقش فضيلة الشيخ حماد مع فضيلة الشيخ عطيه اذ هو شيخه في ذلك التصحيح ، فنقول :

أيها الشيخان الكريمان أنظرا معنا أولا في متن الحديث وتأملا في أسلوبه بتجرد وإخلاص فربما وافقتمانا

على أن اسلوبه ليس نبويا ولا عربيا بليغا وهذا نصه «**من صلى في مسجدى أربعين صلاة لاتفوته صلاة كتبت له براءة من النار ونجا من العذاب وبرئ من النفاق**» أليس النار هى العذاب؟ . . أليس العذاب عند الاطلاق ينصرف الى عذاب الآخرة ؟ . . مقتضى التعبير البليغ أن يكتفى بواحد من هذين اما النار أو العذاب ، وبعد ذلك (وبرئ من النفاق) بعد ان ضمن له النجاة من النار والعذاب اخبر ببراءته من النفاق ومعلوم أن من ضمنت له النجاة من النار لا يكون منافقا لا في الحاضر ولا في المستقبل .

ثم إن مقتضى هذا الحديث أن من صلى في المسجد النبوى الشريف ثمانية أيام تحقق له ما تحقق لأهل بدر حيث أخبر المصطفى عليه السلام أن الله قال لهم (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ولو كان ذلك صحيحا لعرفه السلف الصالح وبادروا اليه وتناقلوه فيما بينهم وبلغوه الى من بعدهم اذ هذا أمر ليس بالهين فكيف لم يرد الا بخبر واحد عن صحابي واحد من طريق تابعى واحد غير معروف عند علماء الاسلام ولم يرد اسمه في حديث واحد غير هذا الحديث ولا في كتاب واحد من كتب الترجمة سوى كتاب ابن حبان ، وهذا الذى قلناه عن متن هذا الحديث مجرد وجهة نظر خاصة لا نلزم احدا بقبولها ولا نلوم من خالفنا فيها .

والآن الى سند الحديث لنرى غير متعصبين لأحد ولا ضد أحد ، وإنما نريد الحق فقط رغبة منا بأن لا تبنى أعمال المسلمين على الظنون والأوهام ولا على مجاراة العواطف يقول فضيلة الشيخ حماد الانصارى وتبعه الشيخ عطية بأن هذا الحديث صحيح وانتقد من ضعفه بجهالة نبيط بن عمرو من أهل الاختصاص بهذا الفن ، أما الشيخ عطية فقد اكتفى بنقل عبارة مختصرة عن الشيخ حماد ولم يكلف نفسه أى عناء في سبيل البحث ليقدم لقرائه من طلبة العلم خلاصة دراسة وافية وبحث عميق مقنع . وظن وفقه الله أن طلبة العلم يكتفون بهذا الجهد الخفيف وان لم يكتف بذلك بعض منهم ففى البعض الاخر بركة — هذا ظنى والعلم عند الله واذا كان بعض الظن إثماً فبعضه حق — ونقول لفضيلته : اننا من البعض الذى لا يكتفى بمثل هذا البحث الخيف في المسائل المختلف فيها في سبيل الوصول الى الحق والقول على الله ورسوله ، أما فضيلة الشيخ حماد فقد احتج لتصحيحه هذا الحديث بما يلى :

١ — نبيط بن عمرو ذكره ابن حبان في الثقات .

٢ — ابن حجر نقل ذلك عن ابن حبان ولم يعارضه .

٣ — الهيثمى أورد هذا الحديث في الزوائد وقال بعد سياقه رواته ثقات .

٤ — المنذرى أورد هذا الحديث في الترغيب والترهيب وقال بعد سياقه رواته رواة الصحيح .

وبهذا اعتبر الشيخ حماد هؤلاء العلماء الأربعة كلهم موثقين لنبيط بن عمرو الذى قرر غيره بانه مجهول العين والحال .

وهذه عبارة فضيلة الشيخ حماد بنصها حسبما نقل فضيلة الشيخ عطية :

قال ابن حجر في تعجيل المنفعة في زوائد الاربعة : (نبيط بن عمرو ذكره ابن حبان في الثقات) انتهى المنقول عن ابن حجر — قال الشيخ حماد : فاجتمع على توثيق نبيط كل من ابن حبان وابن حجر والمنذرى والهيثمى ولم يجرحه أحد من أئمة هذا الشأن فمن ثم لا يجوز لأحد ان يطعن في من وثقه أربعة من أئمة هذا الشأن .

ثم قال : ولو فرض وقدرجدلا أن فيالسند مقالا فإن أئمة الحديث لايمنعون اذا لم يكن في الحديث حلال أو حرام أو عقيدة بل كان في باب فضائل الاعمال لا يمنعون العمل به لان باب الفضائل لا يشدد فيه هذا التشديد نقل السيوطى مثل ذلك عن أحمد وابن المبارك) ، ومن هنا نبدأ النقاش مع فضيلة الشيخ حماد فنقول :

أما ذكر ابن حبان لنبيط في الثقات فانت نفسك قد ذكرت وكررت أن توثيق ابن حبان لا يعتد به قبلك جماهير علماء المسلمين الذين لهم عناية بهذا الشأن وذلك لأمرين ، الاول تساهل ابن حبان في التوثيق فإنه يوثق المجروحين والثاني قاعدته الشاذة وهى توثيق المجاهيل من الرواة ، وعلة هذا الحديث جهالة أحد رواته وهو نبيط الذى انفرد بذكره ابن حبان دون جميع من ألفوا في تراجم رواة الحديث ، والذى لم يرد له اسم في اى حديث لا صحيح ولا ضعيف ولا موضوع سوى هذا الحديث الذى نحن بصدد الكلام فيه ، فذكر ابن حبان له في كتاب الثقات ما هو الا جري على قاعدته في توثيق المجهولين ، وان قلت يا فضيلة الشيخ : إننى قد ذكرت عدم الاعتداد بتوثيق ابن حبان إذا عورض دون ما إذا لم يعارض.

نقول جواباً على هذا : انه لا فرق بين أن يعارض وبين ان ينفرد لان العلة حاصلة في الحالين الا وهى التساهل في التوثيق وفي توثيق المجاهيل ، أما لو أن عدم المعارضة حاصل بجانب رجل معروف العين مشهور بين أهل العلم وحصل توثيقه من ابن حبان ولم يعارضه معارض بتضعيف ذلك الرجل فحينئذ يكون الاشتراط وجيها ومقبولا .

أما والرجل مجهول لم تذكره كتب التراجم لا إجمالا ولا تفصيلا سوى ابن حبان ، فلا ينبغى أن يقال ان ابن حبان لم يعارض ي توثيقه لذلك الرجل ، ونحن لا نشك في أن ابن حبان وجد اسم ذلك الرجل في سند ذلك الحديث ولم يجد له اى خبر ولا اثر فيما سواه فدون اسمه في كتاب الثقات جريا على قاعـدته المعروفة .

والآن انتهينا من مناقشتنا للشيخ حماد بشأن ابن حبان فلننتقل الى مناقشته حول ادعائه أن ابن حجر وثق نبيطا فنقول :

إن ابن حجر لم يزد على قوله : (ذكره ابن حبان في الثقات) ولم يأت بشئ من عند نفسه بشأن نبيط يدل على رأيه الخاص ، اما ان تعلقتم فضيلتكم بعدم معارضة ابن حجر لابن حبان كأنكم تقولون : السكوت دليل الموافقة . فأولا هذا الدليل في غاية من الضعف ان لم نقل انه باطل .

ثانيا نحن نقول : ان سكوت ابن حجر وعدم معارضته لابن حبان بشأن توثيق هذا الرجل راجع الى أمرين :

الاول : عدم معرفته لذلك الرجل اذ لم يرد له ذكر في شئ من كتب الجرح والتعديل الا في كتاب ابن حبان .

والثاني : علم ابن حجر باشتهار ابن حبان بين أهل العلم بالتساهل من ناحية وبتوثيق المجاهيل من ناحية اخرى ، فاكتفى بذلك عن بيان جهالة نبيط ، علما بأن ابن حجر لم يقل في مقدمة كتابه (تعجيل المنفعة) إنه إذا نقل حكما من أحد على أحد ولم يعارضه كان ذلك دليلاً على موافقته له ، ولا يجوز الزام أحد بما لم يلتزم .

ونحن وفضيلة الشيخ حماد وغيرنا نعلم ان الزمان طويل جدا بين نبيط وهو تابعي – لانه في هذا الحديث يروى عن صحابي – وبين ابن حجر وهو من أهل القرن التاسع فلا سبيل له الى معرفة رجل من التابعين الا عن طريق الكتب التى ألفها السلف ، والكتب التى اطلع عليها ابن حجر موجودة الآن فهل ذكر نبيطا شئ منها سوى كتاب ابن حبان ، وقد فرغنا من الحديث عنه وبينا انه لا حجة به كما قرر فضيلة الشيخ حماد نفسه .

ثم نوجه هذا السؤال الى فضيلة الشيخ حماد فنقول : من نقل شهادة غيره ولم يعارضه هل يعتبر شاهدا ثانيا له ؟ . . وهل يحكم عليه بأنه موافق على مقتضى تلك الشهادة ؟ ! ! لا شك ان الجواب : لا ، اذاً كيف يسوغ لنا أن نحكم على ابن حجر بأنه موافق لابن حبان في توثيق نبيط بحجة أنه ذكر توثيقه له ولم يعارضه ؟ . . نقول هذا لا يجوز ما دام الناقل لم يصرح بالموافقة ولم يبد ما يدل على رأيه الخاص .

بل لو صرح ابن حجر نفسه بتوثيق هذا الرجل لاستغربنا وتسآءلنا من أين عرف ابن حجر هذا الرجل مع عدم ورود اسمه في كتب الجرح والتعديل بل في كتب التراجم أجمع سوى ما ذكر ؟

والآن الى الهيثمى والمنذرى لنرى هل يصح أن يقال ان أربعة من أئمة هذا الشأن وثقوا نبيطا فلا يجوز لاحد بعدهم أن يطعن فيه ، كما هى عبارة فضيلة الشيخ حماد ، وهو يعنى بأولئك الا. بعة ابن حبان وابن حجر والهيثمى والمنذرى .

فنقول أولا : ان من تشير اليه يا فضيلة الشيخ لم يطعن في نبيط وانما قرر أنه مجهول وجهالته أمر واقع لا مجال لانكاره .

ثانيا : نقول للشيخ حماد لاشك أنك توافقنا على أن كلا من الهيثمى والمنذرى قد اعتمد في توثيقه لهذا الرجل على ذكر ابن حبان له في كتاب الثقات ، وقد أوضحنا أنه لا اعتماد على توثيق ابن حبان ، وأنه يوثق المجاهيل كما قررت ذلك يا فضيلة الشيخ حماد في مجلة صوت الجامعة التى تصدرها الجامعة السلفية ببنارس في الهند — السنة السابعة ، العدد الاول ، شعبان عام ١٣٩٥ هـ ص ٥٨ — ولولا تقرير فضيلتكم المشار اليه لنقلنا من كلام أهل العلم ما يثبت ما ذكرنا .

ثالثا : الذى يغلب على ظنى أن فضيلة الشيخ حماد لا يخالف في أن كلا من الهيثمى والمنذرى متساهل في التوثيق لا يعتمد عليه الا بعد النظر والتحقيق . يعرف ذلك من نظر في كتابيهما الزوائد والترغيب ، وانظر العبارة التى نقلناها عن مقدمة المنذرى لكتابه الترغيب،وانظر ما كتبه الشوكاني في البدر الطالع ص ٤٢٤ جزء ٢ ضمن ترجمته للهيثمى إذ يقول : (اراد ابن حجر ان يتتبع أوهامه فبلغه ذلك فعاتبه فترك التتبع ، قال : وهو كثير الاستحضار للمتون يسرع الجواب بحضرة الزين فيعجب الزين ذلك وكان من لا يدرى يظن لسرعة جوابه بحضرة الزين أنه أحفظ منه وليس كذلك . بل الحفظ المعرفة .

اليس في هذا الكلام تعريض بالهيثمى بعدم المعرفة ؟ . .

وأخيرا نأتي الى ما ذهب اليه الشيخ حماد من التفريق بين حديث في الحلال والحرام وبين حديث في فضائل الاعمال حيث يرى فضيلته أن التشدد في طلب صحة السند لازم ومطلوب في القسم الاول دون الثاني ، وان ذلك مذهب أهل الحديث إعتمادا منه على ما نسبه السيوطى للامام أحمد وابن المبارك فنقول : ان أهل الحديث أكثر من هذين الامامين ، ثم يا صاحب الفضيلة هناك أمور ينبغى ملاحظتها :

أولا : هل سمع السيوطى من هذين الامامين ؟ الجواب «لا» لان الزمن طويل بينهما وبينه فلا سبيل الى سماعه منهما .

هل كتبا ذلك في كتاب اطلع عليه السيوطى ؟ . . لو كان كذلك لرأينا ذلك الكتاب ، أليست مكتبة فضيلتكم يندر أن يوجد كتاب باللغة العربية في أى علم الحديث لا تشتمل عليه ؟ . . فهل وجدت ذلك مكتوبا بأيديهما أو بيد أحد ممن عاصرهما أو عاش قريبا من عصرهما ؟ . . وهل كل ما قيل يصدق وتبنى عليه أحكام ؟ . . وهل السيوطى ثقة في النقل ؟ . . الجواب عندنا « لا » وكيف يكون ثقة وهو يورد أحاديث في كتابه اللآلى المصنوعة ويحكم عليها بأنها موضوعة ، واذا دعته نفسه الى اثبات حكم — غالبا ما يكون في الخرافات — أورد ذلك الحديث مُحتجا به على صحة ما ذهب اليه ، وانظر في فتاواه

ترى العجب العجاب في باب التصوف والشعوذة ونواع الخرافة ، فكيف يقال : نقل السيوطى عن الامام أحمد وابن المبارك ويحتج بهذا في المسائل العلمية الاساسية ؟ ! . .

ثم لو صح ذلك عن أحد أئمة الاسلام فمعلوم أن السلف اذا قالوا بالحديث الضعيف أو عدم التشدد في صحة الاسناد فهم يعنون ما سمى بعدهم بـ (الحسن) اذ ان اصطلاح الساف على الحديث قسمان صحيح وضعيف فما لم يبلغ درجة الصحيح فهو ضعيف في اصطلاحهم وعلى هذا انزلوا ما مانقل عن الامام احمد وغيره من قولهم : الحديث الضعيف ، أحب الينا من القياس ، وكذا قولهم : اذا روينا في الحلال والحرام تشددنا واذا روينا في فضائل الاعمال تساهلنا فهم لا يعنون حديثا فردا من أول سنده الى آخره وفي سنده راو مجهول العين والحال وحتى راويه عن ذلك المجهول وهو عبد الرحمن بن ابي الرجال قال فيه ابن حجر في التقريب (صدوق بهم) فايس هو في الدرجة العليا من رواة الحديث .

أما ما سمى ضعيفا في الاصطلاح الاخير فهو عند السلف متروك لا يلتفت اليه ، انظر مقدمة مسلم لصحيحه .

ثم لو فرض أن نقل السيوطى صحيح وأن الامامين يعنيان مثل هذا الحديث لقلنا : كل يؤخذ من قوله ويرد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إن الناس اليوم ينفقون أوقاتهم واموالهم على اساس هذا الحديث فترى الحاج الفقير المسكين يقيم في المدينة ثمانية أيام ولابد أن يستأجر مسكنا بمبالغ باهظة وقد تنفد نفقته ويبقى يتسول بسبب ظنه صحة هذا الحديث بالاضافة الى حرمانه نفسه من المقام هذه المدة في مكة يطوف بالبيت الحرام ويصلى بالمسجد الحرام الذى الصلاة فيه بمائة الف صلاة .

فالعامة وأشباههم يهتمون بالوصول الى المدينة والاقامة فيها ما أمكن أكثر من حرصهم واهتمامهم بالوصول الى مكة والاقامة فيها لكثرة ما يسمعون هذا الحديث من بعض الوعاظ .

وبعد أن فرغت من تحرير هذه الورقات واطلع عليها بعض طلبة العلم الذين يحبون التحقيق ويكرهون التلفيق قدمت لى ورقة فيها اثنان واربعون اسما من رواة الحديث كل واحد منهم ذكره ابن حبان في الثقات وذكر كذلك ابن حجر في التهذيب وسكت عليه وفي التقريب ذكر أمام كل واحد منهم انه ضعيف أو مجهول وغالبهم حكم عليهم بالجهالة واليك أيها القارئ الكريم أمثلة منهم لتكون على بصيرة في هذا الامر وحتى لا تغتر بقول أحد دون ان تقوم بنفسك بالمراجعة والتحقيق ما أمكن وحتى تعرف أن أكثر الناس يبنون أحكامهم على الوهم والظنون وقد تكون نياتهم حسنة ولكن حسن النية لا يكفى وخاصة بالامور العلمية .

١ -- غيلان بن عبد الله العامرى — ذكره ابن حبان في الثقات وسكت عليه ابن حجر في التهذيب وبين في التقريب أنه لين .

٢ -- القاسم بن فياض الصنعاني — ذكره ابن حبان في الثقات وسكت عليه ابن حجر في التهذيب وبين في التقريب أنه مجهول .

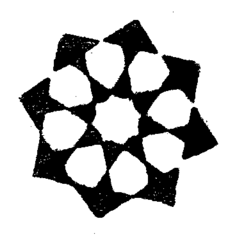
٣ -- القاسم بن محمد بن عبد الرحمن — ذكره بن حبان في الثقات وقال الذهبي غير معروف .

٤ -- قدامة بن وبره العجلي البصرى ذكره ابن حبان في الثقات وسكت عليه ابن حجر في التهذيب وبين في التقريب أنه مجهول .

٥ — كعب المدينى ابو عامر — ذكره ابن حبان في الثقات وسكت عليه ابن حجر في التهذيب وبين في التقريب انه مجهول .

فألى الله المشتكى وهو حسبنا ونعم الوكيل . .

كتبه : عبد العزيز بن عمر الربيعان





جولة ثانية مع الدكتور البهي

وعدنا القارئ في التعقيب الاخير أن نعود الى استكمال مذكراتنا عن شطحات هذا المفكر الفاضل . وها نحن أُولاء نعرضها في ما يلي مفصلة رجاء أن يتفضل باعادة النظر فيها فنلتقي واياه على الحق الذي يرضي الله ان شاء الله .

١ (في احدى مذكراتي للاعوام السابقة وجدتني قد سجلت الملاحظات الثلاث التالية تعليقا على واحدة من مذاعات الدكتور ، وكان قد أدارها حول آيات من سورة (الحجر) .

قلت في الملاحظة الاولى : لقد أصر المتحدث على أن ابليس كان من جنس الملائكة ونسي قوله تعالى (إن إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) وقوله عز وجل (أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني . .) ومعلوم بالضرورة ألاّ ذريةَ للملائكة .

وقلت في الملاحظة الثانية : فسر المتحدث (الغابرين) في قوله تعالى (الا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين) بمعنى (الرجعية) مؤكدا أن ذلك من مصطلحات القرآن . والذي عليه أهل العلم ان الغابر في كلام العرب مقصور الدلالة على ما مضى وما بقي . وهي في الآية الكريمة بمعنى (الباقين) بدلالة السياق فلا رجعية ولا تقدمية . .

وقلت في الثالثة والأخيرة : وقد قرأ معاليه قوله تعالى (وأتيناك بالحق وإنا لصادقون) بمد (أتيناك) وهي من (أتي) الثلاثي لا من (آتى) المزيد .

كُتبت هذه الملاحظات في أعقاب سماعي للحديث من اذاعة الكويت ، وكان في نيتي أن أبعث بها اليه في رسالة خاصة ، ثم شاء الله أن ترقد مكانها حتى أيقظها عمل الدكتور الفاضل وهو يحشد أغاليطه العجيبة في تفسيره لسورة الجن ، فكان من حقه على كل مؤمن يعي كلام الله ان يتصدى له بما يجب من التنكير الذي أمر به الله . وهكذا يأتي تعقيبنا السابق لتفسيره ذاك تصحيحا كـــافيا لتلك الأغاليط وشاملا في الوقت نفسه لمضمون الملاحظة الأولى حول جنسية إبليس ، إذ كان إصراره على ملائكيته في حديثه تكرارا مقصودا لما قرره من ذلك في تفسيره ، وعلى هذا فلا حاجة للكلام في هذه النقطة لانه لن يعدو أن يكون إعادة لما أثبتناه في تعقيبنا على ذلك التفسير .

وإذن فالتعقيب الآن حول الملاحظتين الأُخريين وما يتجاوزهما من أشياء عثرنا عليها في بعض مقرراته الأخرى .

ونقف هنا على تفسيره العجيب لصفة (الغابرين) بانها من (الرجعية) ولنسأل الدكتور الفاضل عن مستنده في هذا القول ، الذى لم يفطن له أحد من أئمة التفسير ولا من مدوني المعاجم ، ولم يسبق أن تكلم به لسان قبل البدعة القومية والاشتراكية التى تريد بقوة الارهاب والأعلام ان تفرض مصطلحاتها على كل شئ حتى المعاني الاسلامية .

لقد وردت هذه الكلمة (الغابرين) سبع مرات في الكتاب الحكيم ، وكلها في قصة لوط (عليه السلام) وامرأته،وكان ثمة إجماع بين المفسرين على أن المراد بها أنها مع(الباقين) الذين قدر لهم العذاب فلم تنج مع آل لوط .

وفي لسان العرب عن (الغابر) انه الباقي وانه الماضى ، وقد ذيل الشهيد سيد قطب هذه الكلمة في الظلال بقوله (أى أنها مع القوم – الكافرين – تلقى مصيرهم ، وأصله من الغبرة وهى بقية اللبن في الضرع) .

وأما الرجعية في لغو (التقدميين) و (التوريين) قد فاتت المتقدمين والمتأخرين من أساطين اللغة . حتى جاء الدكتور البهي يستدرك عليهم باسباغ هذه الحلة القشيبة على (الغابرين) ليجعلهم في مقابل (التقدميين (ولعل ذلك مشجع بعضهم على تطوير آخر للكلمة يُلحِقها – ذات يوم – باليمين في مواجهة اليسار ، وما أحسب ذلك مما يسر فضيلته .

ولا مندوحة هنا عن التساؤل . . ما الذى حفز الدكتور الفاضل الى إيثار (الرجعية) الدخيلة على (الباقين) العربية الاصيلة ؟ . . وهل ثمة من علاقة بين المعيبتين تُسَوّغ مثل هذا التوسع على طريقة البلاغيين . . . ؟

أما أنا فلا المح أي صلة بين الاتجاهين ، لأن مفهوم (الرجعية) في معجم أصحابها يمثل نمطاً من الحياة يرتبط بقيم الماضي ، في مقابلة (التقدمية) التى تقوم على تدمير كل الجسور المتصلة به . . فكيف استطاع الدكتور حفظه الله ان يغفل كل هذه التصورات الملصقة بالكلمة ليجعل منها تفسيرا (عصريا) للكلمة القرآنية ! . . .

تعليل واحد يمكن له الاحتجاج به هو احتواء كل من الايمان والكفر على نمطٍ للحياة مضاد للآخر ، بمعنى أن الايمان منطلق القيم السعيدة المنسجم مع سنن الكون ، في حين أنَّ الكفر يمثل رأس المنحدر الى هاوية الاضطراب والشقاء والضياع المنافي لنظام الوجود . . وانه لتعليل معقول لولا حاجته الى التفسير المقبول الذي يطهره من اللبس الذي يشد المصطلح الى اللغو الثوري ، ومثل الدكتور البحاثة المؤلف الكبير لا يفوته ان للكلمة – ذات الدلالة الاصطلاحية – ظلالاً هى التى ترسِخّ صورتها في الذهن ، فما أن تمس السمع حتى تشيع صورها الخاصة على لوح الفكر .

ومن هنا كان إقبال الكاتب الاسلامى على استعمال المصطلحات الدعائية ذات الارتباط الصميم بالنظم غير الاسلامية أول بوادر الهزيمة ، وأولى الخطى في الطريق الى الفخ . . واذا جاز لمفكر مؤمن تداول مثل هذه الالفاظ في معرض الجدال او البحث فلا عذر له البته في إقحامها حرم المعاني الشرعية عند تفسير الكتاب الحكيم أو شرح الحديث الكريم .

أما النقطة الثالثة فهى أيسر من ذلك ، ولكنها مع يسرها ترسم صورة غير مرضية لتساهل الدكتور بحق العربية على الاقل ، ومعلوم أن الفرق غير قليل بين الفعل الثلاثي المجرد (أتى) والمزيد (آتى) فبينما الأول يتعدى الى مفعوله الثاني بالباء ليفيد المجئ والإقبال مع المصاحبة ، نرى في قوله تبارك اسمه : (ولفقد آتيناك سبعاً من المثانى) هذا الى ما في التعبير الآلهى (وأتيناك بالحق) من لطائف مناسبة لسياق القصة تُحَمِّل الفعل (أتى) شيئا من معاني النجدة التى بشر بها الملائكة نبى الله لوطا ، اذ استنكر أمرهم فطمأنوه بقولهم : (. . جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى بالعذاب الذى كان يهدد به قومه فلا يبالون وعيده بل يستمرون على فسوقهم مصرين مكذبين .

ولهذا يردفون البشرى بتوكيدها (وأتيناك بالحق . .) وقد سمى الله جلت حكمته العذاب هنا بالحق لتضمنه معنى العدل والحسم الذى سيقطع دابر القوم الظالمين . ونحن لا نستطيع استيعاب الصورة التى يرسمها الفعل الثلاثي المقترن بالباء (أتيناك بالحق) الا عندما نتصور موقف سَرِيَّة من المجاهدين مثلاً قد أحاط بهم العدو ، وضيق عليهم المنافذ ، واذا هم يتلقون بشرى وصول

النجدة وإحاطتها بالعدو من كل صوب . . وبذلك نعلم ان مجرد زيادة المدة على أول الفعل مؤدٍ الى تحوير في بلاغة الجملة القرآنية لا يأتلف مع السياق في قليل ولا كثير .

وقد يقال انها زلة لسان لا تستحق كل هذا التفصيل ، وهو قول مقبول لولا سوابق للدكتور حفظه الله تؤكد أن الزلل في أسلوبه من الوقائع التي لا يكاد يسلم منها مقال له . . وبين يدينا الآن واحدة منها ننقلها الى القارئ من مقاله القيم في (الخلاف بين صاحب العمل والعامل . .) الذى سنعرض بعض هفواته في هذا التعقيب وذلك في قوله (لان هذا الصراع يعود الى شحن النفوس بالبغضاء والكراهية ضد بعضها بعضا (١) وبقليل من الانتباه يتضح ألا وجه لنصب (بعضاً) وكان الصواب ان يقول (بعضها ضد بعض) .

٢) ومن ملاحظات المفكرة ننتقل الى مقاله في (الوعى الاسلامي) فنسجل أولا تقديرنا العميق لمعظم الجوانب التي يتناولها . وكم كنا نود لو استقام له الطريق فتجنب تلك الزلقات التى شوهت من محاسن البحث .

أ) يعدد الدكتور وجوه الإنفاق بنظر القرآن الكريم فيحدد الإسراف المنهيّ عنه في قوله تعالى (ولا تسرفوا . . انه لا يحب المسرفين) بأنه الانفاق في محرم ولو كان قليلا كالانفاق في الخمر والزنا وفي سبيل موالاة الاعداء) .

وهو بذلك يقيد مفهوم الإسراف في حدود الكبائر وحدها ، بخلاف ما نجده في القرآن الكريم من اختلاف دلالات هذا اللفظ حسب القرائن . وبديهى ان مفهوم الاسراف في قوله تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) هو غير مفهومه في قوله الآخر (إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) .

عرض ابن كثير وصاحب (فتح القدير) لاقوال الأئمة في تفسير (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) فلم يرد منها ما يؤيد مذهب الدكتور في قليل ولا كثير ، بل تكاد تتفق على أن المراد بالاسراف هو ما جاوز امر الله في الصدقات حتى لا يخرج المنفق من المؤمنين عن كل ماله فينتهي الى الفقر . وهو تقدير لا مندوحة عن قبوله لانه النتيجة المنطقية لما تقدم في الآية من قوله تعالى (. . وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا . .) .

وقد نقل ابن كثير عن ابن جريج ان الآية نزلت في ثابت بن قيس بن شماس (رضى الله عنه)

---

(١) مجلة الوعى الاسلامى — شعبان ١٣٩٧ هـ .

اذ (جذَّ نخلا له فقال : لا يأتيني اليوم أحد الا أطعمته فاطعم حتى أمسى وليس له ثمرة (٢) وهكذا جاءت الآية تحمل للمؤمنين حكماً ينظم علائقهم ويضبط تصرفاتهم في نطاق الصالح العام .

ب) ويورد الدكتور قوله تعالى – من سورة النحل – (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء . .) فيقدم للآية بقوله : ان القرآن الكريم جعل السيد صاحب المال والرقيق المملوك له متساويين في مال السيد . . ثم يستدرك بعدها بقوله « والمساواة بينهما قطعا لا تكون في (الملكية) وانما في المنفعة . . » .

وفي هذا التخريج بعدٌ عن التفسير الصحيح للآية الكريمة ، فقد تضافرت أقوال المفسرين قديما وحديثا على أن هذا مثل ضربه الله لسوء تصرف المشركين في رزق الله ، اذ يجعلون لآلهتهم الباطلة جزءا منه فيقرعهم على ذلك بأن أحدا منكم لا يشارك مملوكه في زوجته وفراشه وملكه فكيف ترضون لربكم ما لا ترضون لأنفسكم ؟ (٣) ، ويعقب شيخنا المرحوم صاحب (اضواء البيان) على هذا المعنى بقوله (ويؤيده ان) ما (في قوله) فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم ، نافية – اى ليسوا برادى رزقهم عليهم حتى يسووهم مع أنفسهم ، واذا لم يكن ثمة مجال لصرف (ما) الى غير النفي فكل محاولة لتقرير غير هذا المعنى لا تعدو أن تكون ضربا من التحكم .

والى هذا ذهب القرطبي وسائر المفسرين قدامى ومحدثين ، فالآية اذن تقريع للمشركين على تصرفهم الأحمق الذي لا يستند الى منطق ، وهي كذلك تقريع مستمر لكل من يسلك سبيلهم في صرف حقوق الله الى سواه ، ليس في المال فقط بل في كل شئ على الاطلاق . فمن اين جاءت فكرة المساواة في (الملكية) او (المنفعة) بين المالك والمملوك ؟ . لاشك أنها (زلة) استجر الكاتب اليها ضوضاء العملاء الذين يشحنون الجو من حوله بمصطلحات الاشتراكية والماركسية وما اليها . .

ج) وتستبد فكرة المساواة بذهن الدكتور حتى ليمدها الى مصير المؤمنين في الآخرة فيورد الخبر الآلهي (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين – الحجر : ٤٧ (ثم

---

(٢) ابن كثير ص ١١١ ج ٣ .

(٣) انظر بشأن الآية تفسير ابن كثير والقرطبي وفتح القدير و (في ظلال القرآن) .

يفسر مضمون الآية الكريمة بقوله انهم (متساوون في المنزلة والدرجة فهم متقابلون في المنزلة (وانه لتفسير لا سند له من فهوم السلف الذين قرأوا في كتاب الله عن منازل المؤمنين في جنات النعيم أن (هم درجات عند الله ٣ : ١٦٣ (، (ولكل درجات مما عملوا ٤٦ : ١٩) و (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ١٧ : ٢١) واستيقنوا بالعلم القطعي الواصل اليهم في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان اهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب . .) .

وفي تفسير ابن كثير وغيره للآية ما يشبه الاجماع على ان المراد بالذين نزع الله ما في صدورهم من غل هم العشرة المبشرون بالجنة من أصحاب رسول الله . وهى رواية ابن عباس(رضى اللهعنه) كما في فتحالقديروغيره وقد تعددت الروايات عن على رضىالله عنه انه قال : (فينا والله أهل الجنة نزلت) وفي إحداها خص بالذكر اخوانه الراشدين الثلاثة (٤)

وفي تفسير (على سرر متقابلين) جاءت الروايات متضافرة عن جمع من المفسرين واهل الحديث وكلهم عن زيد بن ابي أو في عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (انهم المتحابون في الله في الجنة ينظر بعضهم الى بعض (٥) ويزيد هذا وضوحا وتوكيدا ما اخرجه ابو داوود والترمذى عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسى (يقول الله تعالى المتحابون في جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) (٦) فتكون السرر هى المنابر النورانية .

وحول موضوع التفاوت بين درجات المؤمنين في الجنة يقول الشهيد صاحب الظلال معقبا على قوله تعالى (وللآخرةُ اكبرُ درجاتٍ وأكبر تفضيلا) فمن شاء التفاوت الحق ، ومن شاء التفاضل الضخم ، فهو هناك في الآخرة وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) .

وما أعلم احداً من كبار أئمة التفسير ذهب في فهم الآيات الى غير هذه الوجهة ، أو أشار من قريب أو بعيد الى أن ثمة تساويا بين نزلاء الجنة في المنزلة والدرجة ، وهو يعلم ان جهنم دركات وأن الجنة درجات ، وأن لكل عمل قل أو جل جزاءه العدل .

د) بقيت ملاحظة أخيرة على خاتمة المقال الذى نحن بصدده . .

يقول الدكتور حفظه الله : وأول ما يدعو اليه الاسلام هو رفع الصراع الداخلي في

(٤ ، ٥) انظر (فتح القدير) ١٣٦ ج ٣ .

(٦) اللفظ من رواية الترمذى .

النفس وازالته بجعل النفس لوامة وليست أمارة بالسوء ، فاذا ارتفع الصراع النفسى الداخلي ارتفع تبعا لذلك صراع الطبقات في المجتمع لانه لا توجد طبقات عندئذ . .)

ففي هذه الخاتمة تقرير حاسم لا يتفق مع الواقع ، ولذلك لا يحسن إمراره دون مناقشة .

وأول المآخذ على هذا الكلام حكمه بان القضاء على الصراع الداخلي في النفس هو رأس الامر في الدعوة الاسلامية ، دون ان يوضح السبيل الى ذلك . وكان على الكاتب ان يبرز أول كل شئ دور التوحيد الخالص في تصحيح النفس وانقاذها من التمزق بين مختلف التيارات .

ثم يأتي حصره النفس البشرية بين اللوامة والأمارة ، ونسى أن هناك النفس المطمئنة ايضا ، وكل من الثلاث قد ورد ذكرها ووصفها في كتاب الله . وقد سبق الباحثون من مفكرى الاسلام قديما وحديثا الى الكلام الشافي في هذه القوى الثلاث فبينوا صلة كل منهن بالأخرى ، وعملها في سلوك الانسان وموقف الانسان منها .

ولعل أفضل الاقوال في ذلك أن هذه النفوس تمثل الطاقات التى أودعها الخالق جلت حكمته أعماق هذه النفس لتدفعها الى التفاعل لعمران الحياة . فالأمـــارة بالسوء هي منطلق الرغبات الشريرة على حين تمثل الأخريان الرغبات الخيرة فاذا اندفعت الأمارة في الطريق الأدني دون نظر في العواقب ، تعرضت لها اللوامة تشدها الى الاتزان ، وتبصرها بالاخطار المتوقعة من ذلك ، فاما ان تفلح في جهودها فتكبح جماح الامارة وتخضعها لأوامر الله ، فينتهى الأمر بالانسان الى كنف المطمئنة ، واما ان تخفق في علاجها وتلقي الى الشيطان بزمامها ، فيكون الشقاء الغامر في الدنيا الآخرة .

ولكن هل يعنى هذا ان ذلك الصراع الداخلى سيخفت نهائيا بانتصار أحد الفريقين ؟ . . أما أنا فلا أتوقع ذلك لأن إبقاء هذا الصراع ملازم لبقاء الحياة البشرية نفسها ، وانما يخمد حينا ويلتهب حينا . وفي الحديث الصحيح (والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) (٧) .

وشئ آخر لا مندوحة عن تقديره وأخذه في الحسبان عند تقييم الحياة والانسان ، ذلك أن تصفية النفس البشرية من كدورات التراب مطلب غير متصور في الحياة الدنيا ، وكل

---

(٧) رواه مسلم في كتاب التوبة .

ما على الانسان هنا أن يجاهد نفسه بضبطها في نطاق المسلك الشرعي ، وأن يكون على حذر من شططها ، فيقدعها كلما حاولت التفلت ، ويرفعها كلما همت بالهبوط ، حتى يخلص الى المصير الموعود في رحمة الله ، حيث يطهر سبحانه من كل غل ، وينزه نفسه حتى من خواطر السوء .

هذا في موضوع الصراع داخل النفس .

٣) أما موضوع صراع الطبقات فله شأن آخر . ذلك أن الدكتور يعتبر بقاء الطبقات نفسها متوقفا على بقاء الصراع الذاتي . ولهذا يقـدر لها الزوال بمجرد تصحيح الوضع النفسي ، وهو ما يخالف الواقع ، ذلك لان الانسان في سعيه من أجل العيش ، ثم في جهاده من أجل القيم التى يؤمن بها صائر لا محالة الى التوزع الطبقي ، فضلا عن التفاوت في ميدان المواهب والقدرات والخبرات التى تسوقه عفويا الى الكينونة الطبقية .

أجل . . ذلك هو المجتمع البشرى ، جسم واحد إلا أنه كذلك مجتمع من الأعضاء تتفاوت في أقدارها وأحجامها وآثارها ، ويكمل بعضها بعضا في كل ما يتطلب من الجسم الحي . وكل محاولة لإزالة هذا التنوع من جسم المجتمع لا مردود لها سوى تدميره كله .

لقد أزهقت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي والصين عشرات الملايين من الأنفس ، واجتاحت في فيتنام وكمبوديا مئات الألوف من المعارضين ، وبلغ ضحاياها في أنغولا حتى تسطير هذه الكلمات سبعين ألفا ، وفي اثيوبيا يقوم سفاحها منجيستو بمذابح يومية في صفوف من يسميهم أعداء الثورة . . وستستمر هذه المجازر في كل بلد تسلل اليه هذا الوباء الشيطاني تحت مظلة النضال ضد الطبقية ، وبدعوى اقامة المجتمع الخالي من الطبقات سوى طبقة البروليتارية ، ومع ذلك فكل ما انتهت اليه هذه المذابح الهائلة لا يتعدى تثبيت أنواع جديدة من الطبقات يلتهم بعضها بعضا ، وتستأصل كل واحدة جذور الأخرى كلما وجدت الى ذلك سبيلا .

على أن ثمة حقيقة كبيرة لا يسع عاقلا سليم التفكير تجاهلها . . وهى ان الطبقات التى تؤلف المجتمع الاسلامى غيرها في سائر التجمعات البشرية ، ومرد ذلك أن افراد المجتمع الاسلامى قد مُيزوا بتربية ربانية تجعل العلاقة بينهم قائمة على اساس البر والتقوى ، فتكون بالتالى دافعا طبيعيا نحو السمو بالحياة

الى أعلى المستويات ، وبالحضارة الى أقصى المجالات ، وهكذا يكون المجتمع الاسلامى امة واحدة مركبة من طبقات ولكنها (طبقات دون استغلال) كما يقول الدكتور عبد المنعم النمر (٨) .

نقرر ذلك ونحن نعلم ما يعانيه عالم الاسلام المعاصر من أمراض تسللت اليه من مفاسد الجاهليات القديمة والحديثة ، بيد أنه لا يزال ولله الحمد محتفظا بالكثير من الخصائص العليا التى بها كان المسلمون خير أمة اخرجت للناس .

والله نسأل لنا والدكتور البهي العصمة من الزلل ، والسداد في القول والعمل ، انه خير مسئول . .



(٨) الوعى الاسلامى – ربيع ٢ / ٩٨ .


مع أحداث
العالم
الإسلامي

قرن إفريقيا

يعيش العالم الاسلامي اليوم أحداثاً تجعل الانسان يحتار إذا اراد أن يتحدث عنها . لتشعبها وخطورتها ، ومن أخطر تلكم الاحداث تمكن الشيوعية في قرن إفريقيا .

وعندما أرادت الشيوعية أن يكون لها وجود في المنطقة أنزلت ثقلها في (عدن) فباضت وفرخت في الخليج العدني ثم تسربت الى قرن افريقيا فدخلت الصومال بهمجيتها ووحشيتها ، دخلت على شعب مسلم خال الذهن سليم القلب ففاجأته الشيوعية بالحادها، وبادر الشعب أو علماؤهم بالاستنكار فذهبوا ضحية في سبيل عقيدتهم ودينهم إذ قتل منهم عدد يقدر بالعشرات وشرد الآخرون إلى خارج البلاد . هذا ولا تزال الشيوعية تعمل عملها الهدام بشكل أو بآخر مع تغيير الخطة لتخدع السذج من الناس بتلونها، بعد نقلت ثقلها الكبير الى اثيوبيا ففوجئ المسلمون بماركسية شرسة بجانب نصرانية حاقدة . وقد كان المسلمون يتوقعون الفرج بعد هلاك (هيلاسيلاسى) العدو اللدود للاسلام ، ولكنهم فوجئوا بشر منه ، فجعلوا يقولون (كمستغيث من الرمضاء بالنار) .

تلون الشيوعية في المنطقة :

ولما علمت الشيوعية الاثيوبية أن الصوماليين ولّوا وجوههم قبل الدول العربية سياسيا بحكم أنهم أصبحوا عضوا في الجامعة العربية قلبت لهم ظهر المجن فاشتبكت معهم في قتال مرير وضربتهم ضرباً مؤلما . فها هي الآن تقاتل القتال الهمجيّ في اريتريا ، ذلك القتال الذى تقصد من ورائه القضاء على حركة تحرير اريتريا لو استطاعت .

هكذا أخذت الماركسية خطاً دائريا في قرن أفريقيا



وليس هدف الماركسية من هذه العملية مجرد استغلال تلك الموانئ الاستراتيجية فحسب ميناء عدن وميناء مصوع وميناء عصب ، ولكنها ترمى من وراء ذلك الى القضاء على العقيدة الاسلامية — لو استطاعت — في هذه المنطقة العريقة في الاسلام . والتى دخلها الاسلام في أول صدر الاسلام قبل أن يدخل أى بقعة في العالم بعد مكة المكرمة . إذا كان

دخوله إبان أن هاجر إلى الحبشة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره فارين بدينهم ناشدين الحرية في عبادة ربهم هاجروا حيث النجاشي ملك الحبشة فآواهم وأكرمهم . ثم اكرمه الله بالإسلام حيث اعتنق الاسلام على يد جعفر بن ابي طالب رضى الله عنه .

هذا هو قرن إفريقيا وهذا تاريخ إسلامه . فما موقف الدول العربية والاسلامية من هذا الخطر المحدق بالمنطقة ؟ ! !

ولست بحاجة الى القول بأن قرن افريقيا أو افريقيا كلها ليست الهدف الأول والأخير للشيوعية التى تزحف الآن في المنطقة ، بل هى لا تنوى أن تحط عصى السفر حتى تحط قدمها في الجزيرة – لا سمح الله – فليس من الحزم أن تنتظر العدو في عقر دارك . بل الحزم يتطلب أن تهاجمه بعيدا عن دارك لئلا تدور المعركة على الابواب وبين النساء والصبيان » .

فنسأل الله تعالى أن ينصر دينه . وينصر من ينصره ويدافع عنه .

وبعد . .

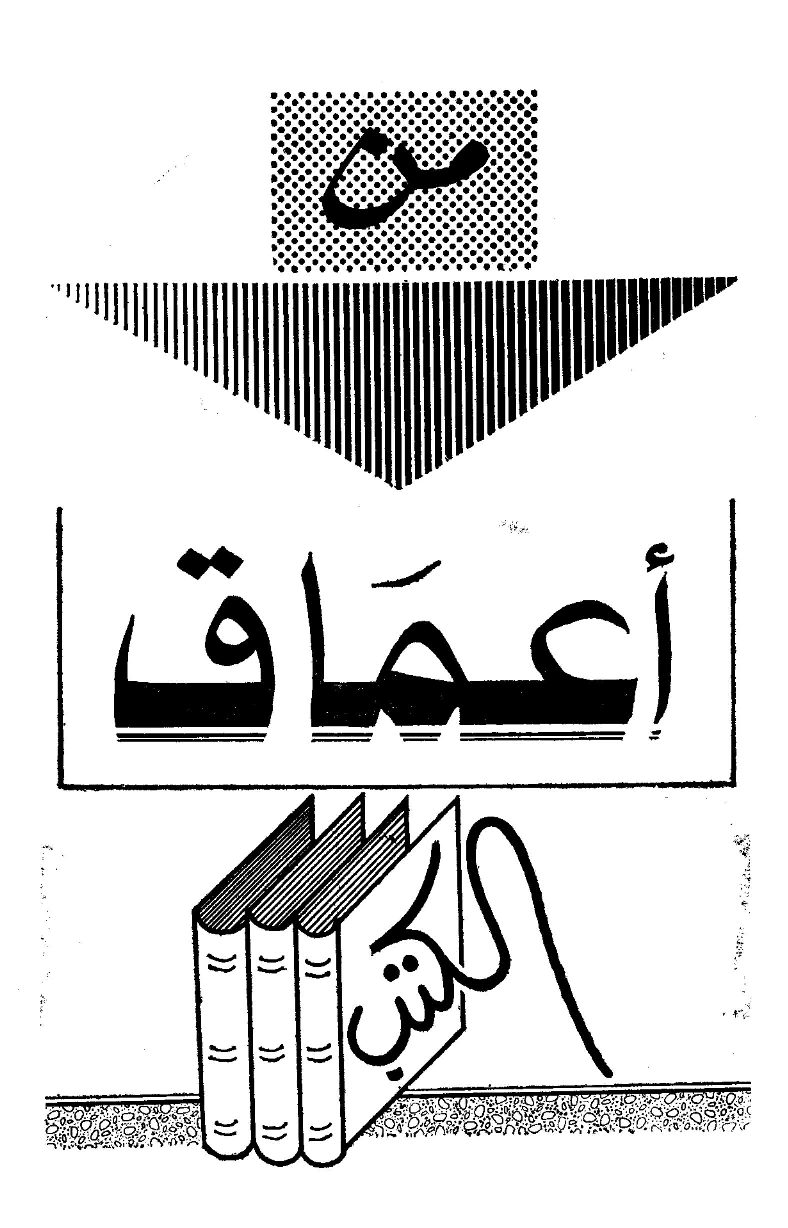
هل يجوز السكوت سياسيا أو شرعيا – والحالة ما وصفت – على ما يجرى حاليا في المنطقة . .

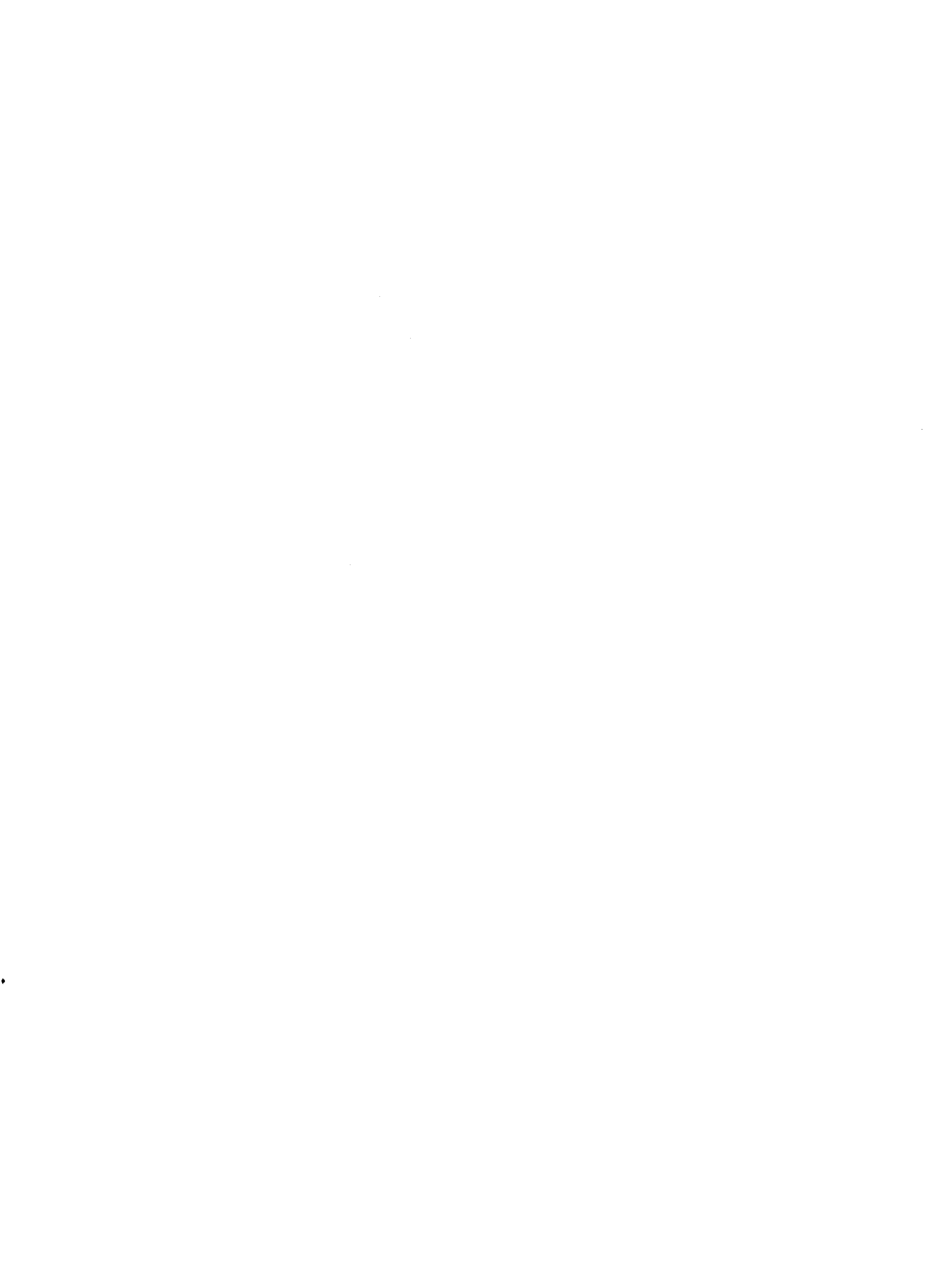
الجواب : لا بالحرف العريض اذ يتنافي ذلك وتعاليم الاسلام حيث يقول رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام : (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

لذا نهيب بقادة المسلمين جميعا ونلفت أنظارهم نحو هذه القضية الاسلامية ليتصوروا أولا أنها إسلامية . ثم يفكروا في حل هذا الحصار عن المنطقة بأية طريقة ممكنة حربا أو سلماً آداءاً لبعض الواجب الاسلامى نحو إخوانهم في المنطقة

والله من وراء القصد . .

« قلم التحرير »


من
أعماق
الكتب



مواصفات العبد الواصل كما يقدمها الإمام ابن قيم الجوزية

إذ يقول – رحمه الله – (اذا عزم العبد على السفر الى الله تعالى وإرادته عرضت له الخوادع والقواطع

- – فينخدع أولاً بالشهوات ، والرياسات ، والملاذ ، والمناكح ، والملابس . فإن وقف معها انقطع وان رفضها ولم يقف معها وصدق في طلبه ابتلى .

- – بوطء عقبه ، وتقبيل يده ، والتوسعة له في المجلس ، والاشارة اليه بالدعاء . ورجاء بركته ونحو ذلك فإن وقف معه انقطع عن الله وكان حظه منه . وان قطعه ولم يقف معه ابتلى .

- – بالكرامات والكشوفات فإن وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظه ، وان لم يقف معها ابتلى .

- – بالتجريد والتخلي ولذة الجمعية ، وعزة الوحدة ، والفراغ من الدنيا وان وقف مع ذلك انقطع عن المقصود ، وإن لم يقف معه . وسار ناظرا الى مراد الله منه ، وما يحبه منه بحيث يكون عبده الموقوف على محابه ومراضيه ، أين كانت . وكيف كانت ، تعب بها أو استراح . تنعم أو تألم . أخرجته الى الناس أو عزلته عنهم. لا يختار لنفسه غير ما يختاره له وليُّه وسيده . واقف مع أمره . ينفذه بحسب الامكان ، ونفسه عنده أهون عليه أن يقدم راحتها ولذتها على مرضاة سيده وأمره ، فهذا هو العبد الذي وصل ونفذ ولم يقطعه عن سيده شئ البتة . . وبالله التوفيق . .

« الفوائد ص ١٦٣ »

● ✱ ●

التعليـــق :

هذا الذى صوره الامام ابن القيم هو المفهوم الصحيح للوصول إلى الله . وحقيقته – كما يفهم من كلام هذا الأمام – هو قطع الخوادع والقواطع التى طالما خدعت كثيراً من السائرين الى الله فثبطتهم عن السير وقطعتهم في أثناء الطريق وأخلدوا إلى أرض الراحة والشهوات وحب الرياسة والتطلع الى الكشوفات حتى تقبّل أيديهم ويوسع لهم في المجالس ويتحرك القاعدون إذا وصلوا الى المجالس الى آخر القواطع الكثيرة التى عدد أهمها الامام ابن القيم رحمه الله .

ومن اقتحم تلك العقبات وتغلب على تلك القواطع فصار عبداً لله وحده لا يشاركه فيه أحد سواه

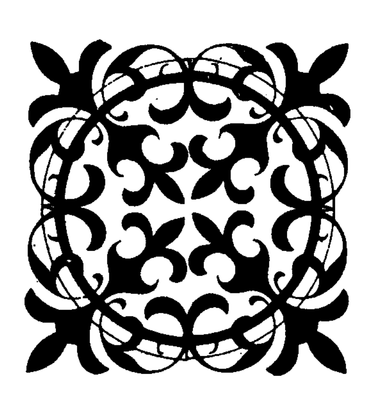
فهو العبد الواصل إلى الله لأنه وصل الى العبودية الخالصة وذاق حلاوتها فأصبح شديد الخشية والحياء من سيده ، قوى المراقبة له سبحانه وقوى الأنس به والشوق الى لقائه .
لا راحة له إلا حين يكون في عبادة ربه وطاعته« أرحنا بها يا بلال » كثير البكاء شوقاً الى لقاء ربه في دار كرمته » .

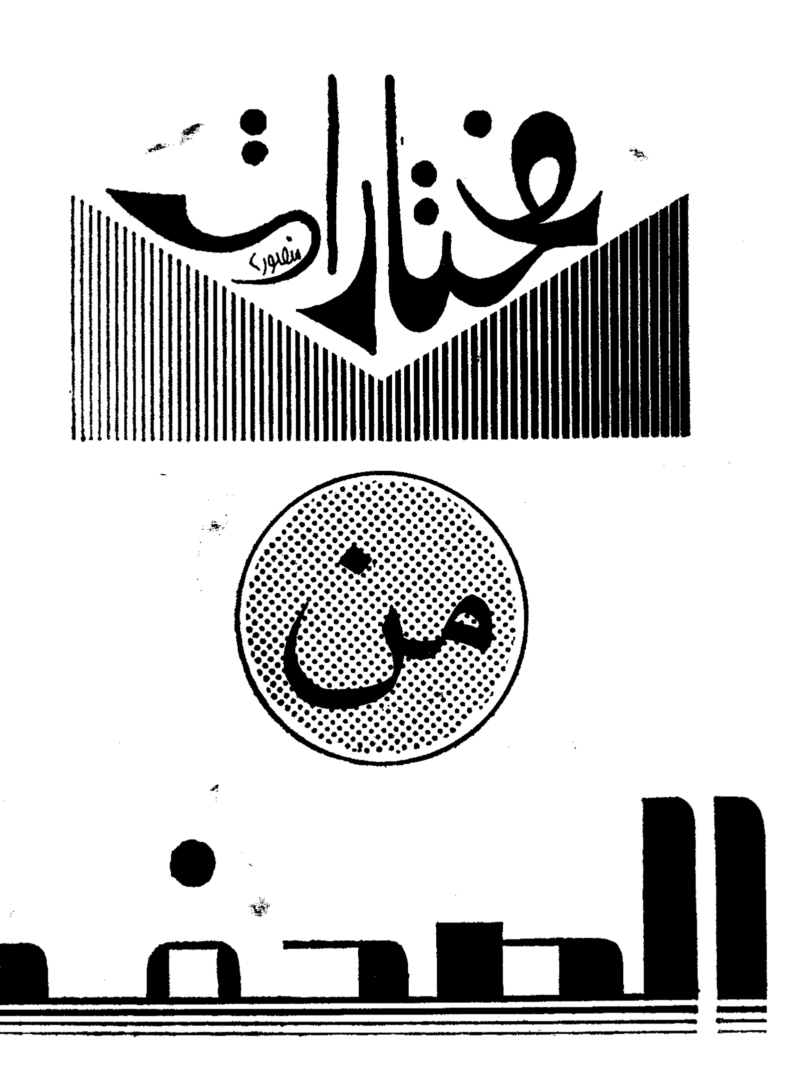
هذه بعض صفت العبد الواصل الى الله وهذا تصور الوصول وهذه حقيقته .

من هنا تعلم أن ما يسميه بعض الزنادقة من غلاة المتصوفة بالوصول الى الله . عندما يمرق بعضهم عن الدين ويتحلل عن التكاليف بدعوى أنه وصل الى منزلة تسقط عنه فيها جميع التكاليف فيصبح حراً طليقاً يفعل ما يشاء ويذر ما يريد ، فان هذا الذى يسمونه وصولا فهو في الواقع خروج عن الجادة ومروق عن الدين فهذا الصنف من الناس هم من أبعد الناس عن الله لأنهم يرغبو عن دينه الذى بعث به رسوله . محمداً عليه الصلاة والسلام الذى يطيل القيام في صلااته حتى تتورم قدماه الشريفتان وإذا قيل له في ذلك يكون جوابه « أفلا أكون عبداً شكورا » .

هذا هو أرقي درجات الوصول لأنه عليه الصلاة والسلام أعرف الناس بربه وأتقاهم له سبحانه . وأتْباعَهُ يتفاوتون في الوصول فهم درجات عند ربهم . . والله المستعان .

قلم التحرير




مختارات
من
الصحف



● كتبت جريدة الأخبار المصرية ، العدد ٨١٤٣ الجمعة ١٧ شعبان سنة ١٣٩٨ هـ مقالاً لأحد كتابها وهذا نصه:

« إنَّ اللهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يأيها الذّينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً . »

حول معنى هذه الآية كتب الاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر المفتش السابق بوزارة التربية والتعليم يقول :

ان في الصلاة صلة روحية تمنع الانقطاع . والصلاة بالنسبة للعبد تضرع ، واعتراف بالعبودية ، واتجاه الى القبلة طلبا للقبول .

أما الصلاة من المولى عز وجل — ففى حسن الاستجابة بتقبل الدعاء بعد التقرب للرضاء

ولقد سألنا رجل صالح عن ادعاء قوم مغالين من أن مدح الرسول لم يرد في القرآن ، فلا يصح ان نضفى عليه من صفات الكمال ما يبعده عن بشريته .

نقول : إن هذه القولة فتنة ينبغى أن يتحاشاها المسلمون ويشغلوا نفوسهم بتطبيق شرائع الدين الحكيم ، ولزومها لتتحقق الاستقامة .

إن مؤدب الرسول الصادق الأمين عز وجل قد أكرمه بجميع صفات المدح بقوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » والتأكيد مع التعبير بالعلو والعظمة يدل على أن كماله البشرى ثابت لكن لا يليق أن يقال عنه : « يا كحيل العين . . يا سبط الشعر . . يا دقيق اللحية » كما كان المبتدعون يرددون هذه النداءات في الاذان التى لا تزيد شيئا من قدر من ثبتت له جميع الفضائل ﷺ .

إن خلائقه الغراء رفيعة ، والمحاسن المادية لم ترد في وصف الأنبياء ، والرسل ، فقد وصف سيدنا ابراهيم بأنه كان « صديقا نبيا » وموسى بأنه كان « مخلصا » ، واسماعيل « صادق الوعد » و ادريس « صديقا نبيا » أما رسولنا ﷺ فقد اتصف بصفتين تفرد بهما وهما « الرأفة والرحمة » فكيف لا يمتدح بكل صفة معنوية غراء ما دام ليس في المدح مغالاة وادعاء ؟ !

ان هذه الآية الكريمة جاءت بعد قوله تعالى : « ان الله كان على كل شئ شهيدا »

لعدم تفاوت الاحوال عنده — جل شأنه — فعلمه ثابت غير موقوت بزمن ، وكان نداء المؤمنين بالصلاة والتسليم بعطى الدلالة على منتهى التكريم ، فالصلاة دعاء بالرحمة والسلام طلب الامان بتحية الاسلام .

قالوا : ان بعض الصحابة سأل الرسول — المجمل بالفضائل — بعد نزول هذه الآية : السلام يا رسول الله عرفناه ، فكيف نصلى عليك ؟ . قال : قولوا : « اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وارحم محمدا وآل محمد كما رحمت وباركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد .

● * ●

● كتبت جريدة الأخبار المصرية في العدد ٨١٤٣ ، الجمعة ١٧ شعبان سنة ١٣٩٨ ه مقالاً لأحد كتابها وهذا نصه :

نحن نطالب بأن تكون : القدوة . هي القدوة عندما تكون مسئولا عن منصب قيادى في دولة شيوعية تتنكر للأديان وتعمل على هدمها أو — بأقل تقدير — أضعاف شوكتها ، فأنت بالحادك وطبيعة منصبك — مطالب بأن تلتزم في قطاع عملك بما يعزز هذا « المنهاج » وبما يحفظ لكرسى « الكفر » الذى تجلس عليه اكبر فترة ممكنة من البقاء .

ولكن عندما تكون قد ترعرت في رقعة من الارض كانت يوما ما مهدا للرسالات السماوية وتشغل — في نفس الوقت — مركزا محترما في قمة العمل الوزارى في دولة تشيد — باستمرار بدستورها الاسلامى وبشعارها — العلم والايمان المعلن في كل مناسبة واحتفال . . فأنت مطالب بأن تكون على مستوى رفيع من الادراك الكامل والمسئول بما يحرمه ويحلله دينك ، وان تكون محافظا لا متساهلا على جوهره ، الاصيل بلا مراء . وذلك حتى لا يتشكك العامة في أقوالك ولا تضع الدولة في وضع « الحساب » من تصرفاتك باعتبارك جزءا لا يتجزأ من المسئولية القيادية في بلد مؤمن — المفترض أنه لا يتستر على المعصية او « يتصالح» على الملأ معها ! !

فلقد حدث في الاسبوع الماضى بعد صدور قرار تحريم الخمور بالأندية — الذى طالبت به من قبل عقب اهدار دم فنان صحفى كبير بكلمات سوقية في ناد عريق ان اجتمع السيد وزير الدولة للحكم المحلى برؤساء ٢٠ قياديا رياضيا وقد جاء في سياق حديثه كلمات غريبة تقول : « ان النادى محراب للرياضة فآمل أن يكتسب الشباب خلال ممارستها الصفات الخلقية والاجتماعية . . ونحن لا نمانع الاعـضاء

الكبار في السن أن يتناولوا الخمور ولكن فليتم ذلك بعيدا عن الأندية لأنهم القدوة للشباب فيها ؟ ؟

هذه هي الكلمات التى خرجت من وزير مسئول في اجتماع عام تحضره قيادات رياضية وشبابية ونشرته أحدى الصحف ، وأنا لن أعلق على مثل هذه « التفوهات » المتناقضة التى لم تناقشها قيادات الاندية في هذا الاجتماع ولكنها فضلت المطالبة بالتعويض المالىِّ لانديتها نتيجة تحريم الخمور بها !

فهذه هى بعض التصرفات غير المسئولة والتى لا يعى – للأسف – فاعلوها الا شيئا واحدا وهو « تطييب » الخواطر على حساب العقيدة . . حتى ولو كان هذا تناقضا صارخا مع شعار الدولة المعلن وما يحرمه الدين وانفلاتا وقتيا من القصاص المحتوم : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

فالذى يجب أن يقال أننا بكل وضوح نشجع اهتمام الأندية بالأنشطة الدينية وباقامة مكتبات دينية متــكاملة تكون بمثابة وسائل جذب بفحواها ومحتواها لا أدوات تنفير . ونأخذ على الأندية مؤازرتها المستمرة لحفلات هز البطن حتى مطلع الفجر في قلب الملاعب الرياضية . . بدلا من اقامة الندوات ذات الطابع الديني والمجتمعى لعلماء لهم القدرة والمرونة على « فهم » وتوجيه نفسية الشباب الذى يلبس « الجينز » . . ورجال اجلاء يخاطبون الشباب بمشاكل مجتمعهم – ويربطونهم بها – بكل جلاء .

نحن نطالب الأندية بان « تجتهد » في البحث عن مصادر مالية شريفة – وما اكثرها – بدلا من تمسكها الواهى بترويج الخمور ودون ان يناقش ويتظلم رؤساؤها مما حدث ويقعوا في ما حرمته – وحذرت من عواقبه – الاديان . .

نحن نطالب بأن تكون القدوة هى « القدوة » وليست هذا النوع « المستتر » الذى ينادى به مسئول المفترض انه يعرف جيدا ما يمليه عليه . . دينه ومركزه وضميره ! !

محمد عبد المجيد – آداب الاسكندرية

● ★ ●

الطريق إلى المدينة

● وتحت هذا العنوان كتبت جريدة المدينة المنورة في عددها الصادر في ١٨ شعبان السبت خبراً هذا نصه:

يقوم المعهد الاسلامى في لندن حاليا بمشروع كبير لاجراء بحوث من المأمول أن تكون نتيجتها كتابة ونشر سلسلة من الكتب في سيرة النبي محمد « صلى الله عليه وسلم » والافتراض الاول الذى يقوم عليه المشروع هو ان بعض « الاساليب او المناهج العلمية »

المعاصرة يمكن ان تطبق على فترة حياة النبي كي تزودنا بتبصر وفهم اعمق علاوة عن التفاسير « الدينية » و « التاريخية » المتوفرة حتى الآن .

والافتراض الثاني هو ان نظاما اجتماعيا – اقتصاديا وسياسيا على غرار مدينة النبي صلى الله عليه وسلم يمكن اقامته كبديل عن طراز الامة – الدولة في بعض الاقطار العربية والاسلامية ربما في المـــئة القادمة ومن ثم اختيرت عبارة « الطريق الى المدينة » كاسم يحمله هذا المشروع .

ابتكر هذا المشروع واعده الدكتور كيم صديقي مدير المعهد الاسلامى الذى يرأس أيضا الفريق المكلف بالبحوث كما انضم لهذا الفريق الدكتور الطيب زين العابدين من جامعة الخرطوم وقد قدمت منحة دراسية لاعداد أطروحة دكتوراة في احدى الجامعات البريطانية تستخدم فيها وسائل وانظمة التحليل العلمى في دراسة المجتمع القبلى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي نفس الوقت سينظر المعهد في الطلبات التى يقدمها الطلاب الذين تخرجوا من جامعات لمتابعة الدراسات في هذا الحقل من البحوث كما يرحب المعهد بالطلاب الذين يمولهم اولياؤهم او بعض الحكومات كذلك يحتاج المعهد لمثقفين مشهود لهم ليعملوا كمؤلفين بالاشتراك مع الدكتور صديقى في اعداد كتب او اجزاء منها في الموضوع .

المعهد مستعد للنظر في طلبات العلماء من أى مذهب او اتجاه فكرى ومن أى بلد في العالم والمشروع الحالى الذى يقوم به المعهد الاسلامى تشترك في تمويله وزارة التعليم العالى في المملكة والمؤسسات الدولية الاسلامية وكذلك العديد من الافراد الذين قدموا تبرعات بصورة منتظمة هذا ويبحث المعهد عن موارد تمويل جديدة وللحصول على تفاصيل اخرى .

يمكن الكتابة الى مدير المعهد الاسلامى .

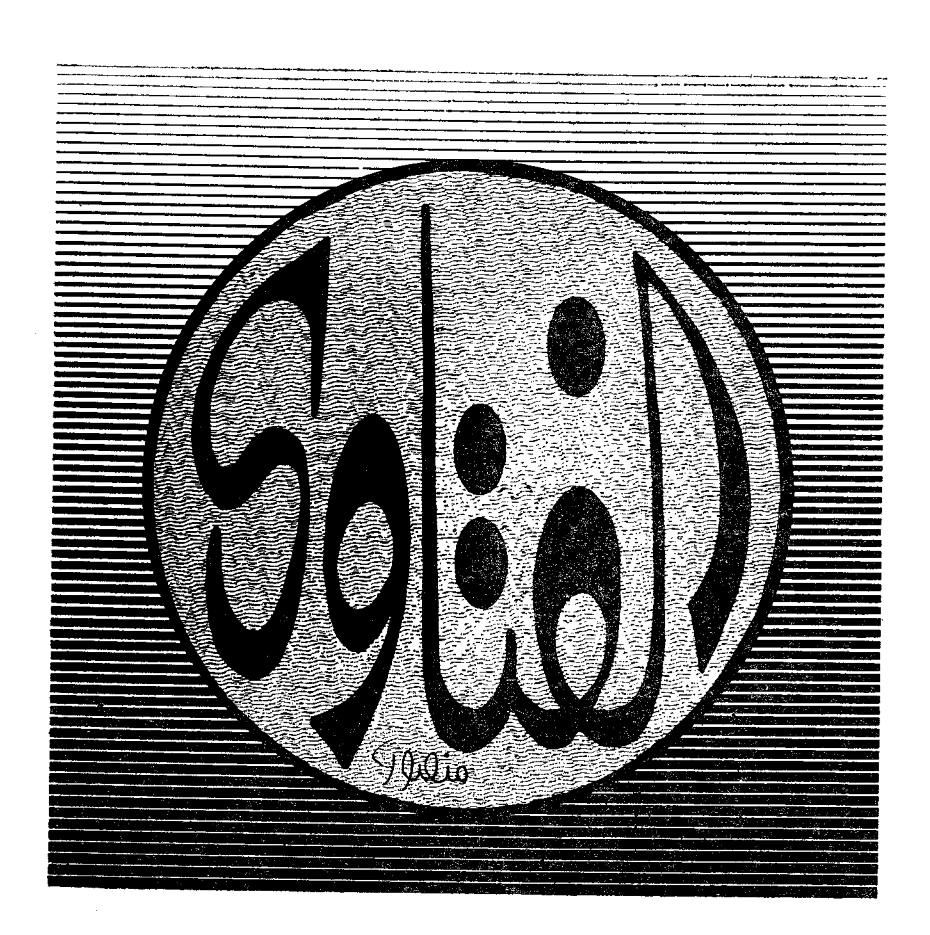
عنوان المعهد 6 — ENDSLEIGH STREET
LONDON, WCIH ODS.

● ✶ ●

التعليق

اذا كان لابد لنا من تعليق على هذه الأنباء فانها تفيد بل تعطى صورة واضحة بأن جمهور المسلمين على استعداد لتفهم الاسلام والعمل به وأن حبه كامن في نفوسهم وأن الذى يعوقهم عن تطبيق الاسلام هو عدم القيادة الصالحة –في الغالب– التى تملك السلطة السلطة التى تحمل على العمل بالاسلام من قد يجرهم سيل الهوى وينحرف بهم عن الجادة ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

التحرير


الفتاوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهداه . .

أما بعــد

فقد سألني كثير من الاخوان عن حكم الاعتماد على الاذاعة في الصوم والافطار وهل ذلك يوافق الحديث الصحيح (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) الحديث . .

وهل إذا ثبتت الرؤية بشهادة العدل في دولة مسلمة يجب على الدولة المجاورة لها الاخذ بذلك واذا قلنا بذلك فما دليله وهل يعتبر اختلاف المطالع ؟ .

والجواب على هذه الاسئلة أن يقال قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة أنه قال :(صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته. فان غم عليكم فاقدروا له ثلاثين) وفي لفظ آخر فاكملوا العدة ثلاثين ، وفي رواية أخرى فاكملوا عدة شعبان ثلاثين .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وهي تدل على أن المعتبر في ذلك هو الرؤية أو إكمال العدة .

أما الحساب فلا يعول عليه وهذا هو الحق وهو اجماع من اهل العلم المعتمد بهم وليس المراد من الاحاديث أن يرى كل واحد الهلال بنفسه وانما المراد ثبوت ذلك بشهادة البينة العادلة وقد خرج أبو داود باسناد صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال تروى الناس الهلال فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أني رأيته فصام وامر الناس بالصيام وخرج أحمد أوهل السنن وصححه ابن خزيمة وابن حبان عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أعرابيا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت الهلال فقال (اتشهد الا اله الاالله وانمحمداً رسول الله؟ فقال نعم قال فأذن في الناس يا بلال أن يصوموا غدا (وعن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب انه خطب في اليوم الذى يشك فيه فقال : الا اني جالست اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألتهم وأنهم حدثوني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (صموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وانسكوا لها فان غم عليكم فأتموا ثلاثين يوما فان شهد شاهد ان مسلمان فصموا وافطروا (رواه أحمد ورواه النسائي ولم يقل فيه مسلمان وعن أمير مكة الحارث بن حاطب قال : عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننسك للرؤيا فان لم نره وشهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما رواه ابو داود والدارقطني وقال : هذا اسناد متصل صحيح .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على انه يكتفى برؤية هلال رمضان بالشاهد الواحد العدل ، أما في الخروج من الصيام وفي بقية الشهور فلابد من شاهدين عدلين جمعا بين الاحاديث الواردة في ذلك وبهذا قال أكثر اهل العلم وهو الحق بظهور أدلته ومن هذا يتضح أن المـــراد بالرؤيا هو ثبوتها بطريقها الشرعي وليس المراد ان يرى الهلال كل أحد ، فاذا اذاعت الدولة المسلمة المحكمة لشريعة الله كالمملكة العربية السعودية انه ثبت لديها رؤية هلال رمضان أو هلال شوال أو هلال ذى الحجة فان على جميع رعيتها أن يتبعوها في ذلك .

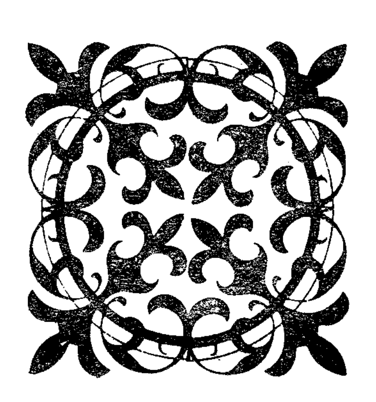
وعلى غيرها ان يأخذ بذلك عند جمع كثير من أهل العلم لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم (الشهر تسع وعشرون فلا تصموا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين) رواه البخارى في صحيحه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما واخرجه مسلم بلفظ (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غمى عليكم فاقدروا له ثلاثين) وأخرج البخارى من حديث ابي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : صموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان أغمى عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين (واخرجه مسلم بهذا اللفظ لكن قال : (فان أغمى عليكم الشهر فعدوا ثلاثين) فان ظاهر هذه الاحاديث وما جاء في معناها يعم جميع الأمة ونقل النووي رحمه الله في شرح المهذب عن الامام ابن المنذر رحمه الله ان هذا هو قول الليث ابن سعد والامام الشافعي والامام احمد رحمة الله عليهم قال يعنى ابن المنذر ولا أعلمه الا قول المدني والكوفي يعنى مالكاً وأبا حنيفة رحمهم الله انتهى . فقال جمع من العلماء انما يعم حكم الرؤيا اذا اتحدت المطالع اما اذا اختلفت فلكل أهل مطلع رؤيتهم وحكاه الامام الترمذى رحمه الله عن أهل العلم ، واحتجوا على ذلك بما خرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان كريبا قدم عليه في المدينة من الشام في آخر رمضان فاخبر ان الهلال رؤى في الشام ليلة الجمعة فان معاوية والناس صاموا بذلك فقال ابن عباس : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نراه أو تكمل العدة فقلت أو لا تكتفى برؤية معاوية وصيامه فقال : لا : هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : فهذا يدل على أن ابن عباس يرى ان الرؤيا لا تعم وان لكل اهل بلد رؤيتهم اذا اختلفت المطالع وقالوا ان المطالع في منطقة المدينة غير متحدة مع المطالع في الشام وقال اخرون لعله لم يعمل لرؤية الشام لأنه لم يشهد بها عنده الا كريب وحده والشاهد الواحد لا يعمل بشهادته في الخروج وانما يعمل بها في الدخول .

فقد عرضت هذه المسألة على هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في الدورة الثانية المنعقدة في شعبان عام ١٣٩٢ هـ فاتفق رأيهم ان الارجح في هذه المسألة التوسعة في هذا الامر وذلك بجواز الاخذ باحد القولين على حسب ما يراه علماء البلاد .

قلت هذا قول وسط وفيه جمع بين الأدلة وأقوال اهل العلم اذا علم ذلك .

فان الواجب على أهل العلم في كل بلاد أن يعنوا بهذه المسألة عند دخول الشهر وخروجه وأن يتفقوا على ما هو الاقرب الى الحق في اجتهاد هم ثم يعملوا بذلك ويبلغوه الناس وعلى ولاة الأمر لديهم وعامة المسلمين متابعتهم في ذلك ولا ينبغي ان يختلفوا في هذا الأمر لان ذلك يسبب انقسام الناس وكثرة القيل والقال . إذا كانت الدولة غير اسلامية . اما الدولة الاسلامية فان الواجب عليها اعتماد ما قاله أهل العلم . والزام الناس به من صوم أو فطر عملا بالاحاديث المذكورة واداء للواجب ومنعا للرعية مما حرم الله عليها ومعلوم ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن – وأسأل الله أن يوفقنا وجميع المسلمين للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم اليه والحذر مما خالفه انه جواد كريم . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن بـــاز



حـــلاوة الايمـــان

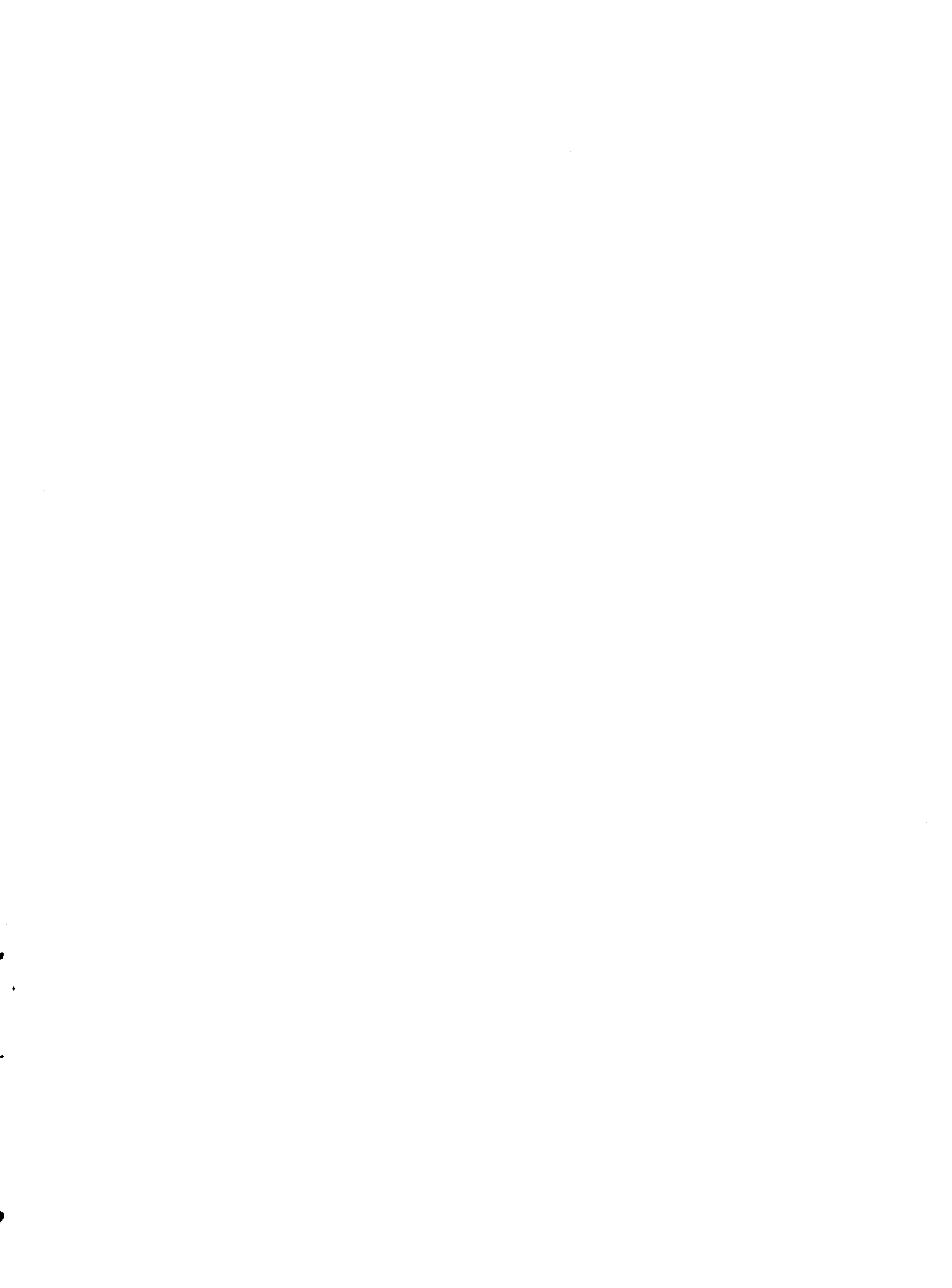
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

١ – أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

٢ – أن يحب المرء لا يحبه الا لله .

٣ – أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار . « رواه الشيخان » .


أخبار
الجامعة



المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في دورته السادسة :

أ ـ انعقد المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في دورته السادسة يوم الأثنين الموافق ١٣٩٨/٧/٢١ هـ برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد نيابة عن الرئيس الأعلى للجامعة الأسلامية صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء . وبحث في عديد من الموضوعات التى تضمنها جدول أعمال المجلس . واتخذ فيها قرارات من أهمها ما يــلى : ـ

١ ـ الموافقة على أن توقع شهادات الماجستير والدكتوراه التى تمنحها الجامعة الإسلامية من صاحب السمو الملكى ولى العهد الأمير فهد بن عبد العزيز الرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية .

٢ ـ الموافقة على أن يستمر صرف مكافأة طلاب الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية طيلة مدة دراستهم .

٣ ـ الموافقة على تعديل اسم (كلية اللغة العربية والآداب (بحيث يصبح اسمها (كليه اللغة العربية) .

٤ ـ الموافقة على اللوائح الجديدة للامتحانات بالجامعة الإسلامية .

ب ـ أناب الرئيس الأعلى للجامعة صاحب السمو الملكى ولى العهد الأمير فهد بن عبد العزيز سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد لرئاسة المجلس الأعلى للجامعة في الدورة السادسة وما بعدها من دورات تالية في الحالات التى لا يتمكن فيها سموه من الحضور . وفيما يلى نص خطاب الإنابة :

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

الرقم ١٦٥٩٩
التاريخ ٢٩/٧/٩٨ م
التوابع ....

فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز سلمه الله

الرئيس العام لادارات البحوث العلميه والافتاء والدعوة والارشاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠ وبعد :

نظرا لأن الدورة السادسة للمجلس الاعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنوره ستعقد يوم الاثنين الموافق ٢١/٧/١٣٩٨هـ وبمناسبة سفرنا خارج البلاد قبل فترة انعقاد هذه الدوره واثناء انعقادها ، وعدم تمكننا من الحضور ٠ فأننا نرغب أن تقوموا فضيلتكم نيابة عنا برئاسة جلسات المجلس في دورته المشار اليها والدورات القادمة التى لانتمكن من حضورها، ونتمنى لكم التوفيق / والله يحفظكم ٠٠٠

نائب رئيس مجلس الوزراء

١٩٥١٠ ٢/٨/١٣٩٨

ع/ غ

الخريجون من طلاب الجامعة

تخرج في العام الدراسى ٩٧ – ٩٨ ﻫ عدد كبير من بعض كليات الجامعة الإسلامية والمعاهد ودارئ الحديث التابعة لها . وفيما يلى أسماء خريجى كليات الشريعة . والدعوة وأصول الدين والقرآن الكريم والدراسات الاسلامية :

الشهادة العالية من كلية الشريعة

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
١	حمد حمدى الصاعدى	سعودى	ممتاز	
٢	محمد مفضل مصلح الدين	هندى	«	
٣	احمد عبد الله يحي الزهراني	سعودى	«	
٤	احمد يوسف احمد ابو حلبية	اردنى	«	
٥	موسى اسماعيل محمد	«	«	
٦	رضوان محمد هويمل	«	«	
٧	مريشيد بن راشد بن مسند	سعودى	«	
٨	حفيظ الرحمن حبيب الرحمن	باكستاني	«	
٩	عوض رجا فريج العوفي	سعودى	«	
١٠	عبد الله حليم مايسينج	تايلندى	«	
١١	عبد الستار محمود البقار	سورى	«	
١٢	نهاد عبد الحليم عبيد	لبناني	«	
١٣	محمد احمد كسولي	اوغندى	«	
١٤	سعد حمود حمد الخطابي	سعودى	«	
١٥	محمد مطلق عبد المهدى	اردنى	«	
١٦	ابراهيم خليه احمد محمد	فلسطيني	«	
١٧	صالح عياد عائد الغامدى	سعودى	«	
١٨	حسام الدين موسى محمد	اردنى	«	
١٩	عبد السلام محمد متولي	مصرى	«	
٢٠	احمد عبد الجبّر عبده	يمنى	«	

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
٢١	حافظ محمد عبد الله حكمى	سعودى	«	
٢٢	عبد العزيز مصطفى الخالد	سورى	«	
٢٣	عبد الرحمن عبد الجبار	هندى	«	
٢٤	عبد الله محمد سليمان	سعودى	«	
٢٥	عز الدين صالح محمد احمد	مصرى	«	
٢٦	احمد حسن حسين اليافعى	يمنى	«	
٢٧	عبد الله جولم ليشا	نيبالى	«	
٢٨	احمد فرحان دبوان	يمنى	«	
٢٩	عبد الله ادريس محمد	غاني	«	
٣٠	محمد ماهر يوسف	اردنى	ممتاز	
٣١	تحسين مصطفى اسماعيل	اردنى	«	
٣٢	سلامة ضويغن سعد	سعودى	«	
٣٣	عبد القادر موسى محمد	اثيوبي	«	
٣٤	بشير عايد العود المرمورى	اردنى	«	(مستمع)
٣٥	عبد الرحمن محمد عبد المحسن	سعودى	«	
٣٦	على عبد القادر احمد	يمنى	«	
٣٧	خير عبد الراضى خليل ابراهيم	مصرى	«	
٣٨	باسم فيصل احمد الجوابرة	اردنى	«	
٣٩	احمد محمد احمد الناشرى	يمنى	«	
٤٠	عامر سعيد نورى	عراقي	«	
٤١	صالح عليان على العمرى	سعودى	«	
٤٢	عمر بن عوض حسن	«	«	
٤٣	موسى عبد الله صو	موريتاني	«	
٤٤	محمد اقبال سعد محمد	هندى	«	
٤٥	حافظ عبد الشكور حافظ	باكستاني	جيد جدا	
٤٦	محيا بن سعد السحيمى	سعودى	«	
٤٧	جمعة مقداد عمر	تنزاني	«	

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
٤٨	زهير شفيق الكبي	لبناني	«	
٤٩	محفوظ الرحمن محمد	هندى	«	
٥٠	داود معلم يوسف	نيجيرى	«	
٥١	مصباح الدين محمد جنيد	نيجيرى	«	
٥٢	عبد الله محمد قاسم	يمنى	«	
٥٣	مانع بن راشد سعد	كويتى	«	
٥٤	خريس حسن عبد العزيز	فلسطينى	«	
٥٥	على محمد عيسى سارى	سعودى	«	
٥٦	عبد الجليل حسن العروسى	اثيوبي	«	
٥٧	عبد الناصر عبد الرحمن الخطيب	لبناني	«	
٥٨	محيسن عبد الله المحيسن	سعودى	«	
٥٩	ابراهيم محمد عمير مدخلى	سعودى	«	
٦٠	محمد عبد الرحمن عيروط	سورى	جيد جدا	
٦١	التمدينى على محمد	مغربي	«	
٦٢	حريفى الحسن العربي	«	«	
٦٣	حسين محمد على	اثيوبي	«	
٦٤	هادى احمد حميس	يمنى	«	
٦٥	احمد عبد اللطيف عبد الله	كويتى	«	
٦٦	عايض عواد الجهنى	سعودى	«	
٦٧	عبد الهادى واصف الخطيب	لبناني	«	
٦٨	ابراهيم يوسف محمد ابراهيم	سعودى	«	
٦٩	سيف الاسلام سعد عمر	سوداني	«	
٧٠	ملى عبد الله المحيسن	سعودى	«	
٧١	عبد القادر احمد سيف	يمنى	«	
٧٢	كيلاني محمد نور	داهومي	«	
٧٣	ستياد داود عمر	نيجيرى	«	
٧٤	محمد على مقبول	يمنى	«	

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
٧٥	سعود صالح العطيشان	سعودى	«	
٧٦	عبد الرحمن جى اورانج	تايلندى	«	
٧٧	محمد صالح حسن شيخ ادريس	سوداني	«	
٧٨	احمد عبد الله الرفاعى	مغربي	«	
٧٩	اكرم موسى سليمان الخوالدة	اردنى	«	
٨٠	ابراهيم عبد الواحد عبد الرحمن	سعودى	«	
٨١	محمود سالم ولو كاقا	اوغندى	جيد	
٨٢	احمد سيف عاج	يمنى	«	
٨٣	عبد الله قاسم عصر	يمنى	«	
٨٤	محمد محمد حسن الدهشان	مصرى	«	
٨٥	محمد عبد الله قنيفد	جزائرى	«	
٨٧	عايض هلال مريزيق العمرى	سعودى	«	
٨٨	مسعود محمد صالح	«	«	
٨٩	سالم عبد الله سليم	يمنى	«	
٩٠	ابو بكر صديق بنجورا	سيراليوني	«	
٩١	محمد مخدوم احمد مبارك	سيلاني	«	
٩٢	احمد محمود قاسم عبد الله	كويتى	«	
٩٣	السيد عبد الحميد صالح	تونسى	جيد	
٩٤	محمد عبد الله ابو النجا	سعودى	«	
٩٥	عبد الرشيد عبد الكريم	باكستاني	«	
٩٦	وان مصطفى تؤناهون	تايلندى	«	
٩٧	سليمان حامد كمارا	سيراليوني	«	
٩٨	سليم احمد سليم شحاته	مصرى	«	
٩٩	حمدان عوضة حمدان	سعودى	«	
١٠٠	عز الدين المراد محمد	سوداني	«	
١٠١	قائد زيد احمد السوارى	يمنى	«	

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
١٠٢	فهد مكي محمود شمس	سعودى	«	
١٠٣	عبد اللطيف امام	فلبينى	«	
١٠٤	صالح ابراهيم محمد	اثيوبي	«	
١٠٥	الحاج سليمان صلاح الدين	نيجيرى	«	
١٠٦	على محمد الحامد الاحمد	اردنى	«	
١٠٧	عبد الرفيع بيومى بـ لو	نيجيرى	«	
١٠٨	عبد الفتاح محمد عطية	مصرى	«	
١٠٩	عبد اللطيف حسن الريسوني	مغربي	«	
١١٠	طه عبد الرحيم عويضة	سعودى	«	
١١١	عبد الكريم عطية جبران	سعودى	«	
١١٢	دورلوه حاجى ددة	تايلندى	«	
١١٣	محمد محمد المهدى النويجرى	مغربي	«	
١١٤	ماهاما الحاج عبد الرحمن	تايلندى	«	
١١٥	محمد عمر محمد عيان	يمنى	مقبول	
١١٦	محمد نور الدين ابو بكر	نيجيرى	«	
١١٧	ابو بـ كر عبد المطلب	اندونيسى	«	
١١٨	محمد عبد السلام سعد الدين	هندى	«	
١١٩	عبد الله محمد المختار	سعودى	«	
١٢٠	امين الدين ابو بكر بالندونج	فلبينى	«	

بيان بالطلاب الناجحين في الدور الأول والتقديرات التى حصلوا عليها من طلاب الشهادة العالية في لمعـــام الدراسى ٩٨/٩٧ هـ في كلية الدعوة وأصول الدين) . .

مسلسل	اسـم الطالب	الجنسية	التقـــدير	ملاحظـــات
١	عباس احمد عبد الرحمن	يمـــنى	ممتـــاز	
٢	عبد الله شاكر محمد الجنيدى	مصـــرى	«	
٣	ارشـــاد احمد الاعظمى	هنـــدى	«	
٤	محمد امين حسن محمد	اردنـــى	«	
٥	سر الختم احمد محمد	سوداني	«	
٦	على محمد حنيف السلفي	باكستاني	«	
٧	عبـــده عبد الله محمد	يمـــنى	«	
٨	موسى محمد الطيب علقم	سوداني	«	
٩	عمر عبد العزيز عبد الله الجغير	اردنـــى	«	
١٠	خالد محمد العواد المصطفى	اردنـــى	«	
١١	عبد الرحمن مد خليفة الفاضل	بحـــرينى	«	
١٢	المختار محمد عبد الله	موريتـــاني	«	
١٣	وليد هويمل عبد العزيز عويجان	اردنـــى	«	
١٤	يونس مـــالي ثـــورى	ساحل العاج	«	
١٥	آدم نســـيم	مالديفي	«	
١	مبارك عبد الله حمـــد النيل	سوداني	«	
١٧	عبد الله ابو القاسم محمد	هنـــدى	«	
١٨	عبد الرحمن مطلق عيد المهدى	اردنـــى	«	
١٩	عبد الله ســـيف قائد	يمـــنى	«	
٢٠	عبد الرحمن الهاشمى محمد	مغـــربي	«	
٢١	طه محمـــد مربوش	يمـــنى	جيد جدا	
٢٢	المرسى حسن السيد متولى	مصـــرى	«	
٢٣	حمد عبد الكـــريم زوبع	عـــراقي	«	
٢٤	محمد مدهش ردمـــان	يمـــنى	«	
٢٥	حمدو محمـــد حمشو	ســـورى	«	

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
٢٦	سمير ياسين صالح الشمايلة	اردنـــى	«	
٢٧	على بن على جابر الحـــربي	يمــني	«	
٢٨	ضـــاوى محمد المشهداني	عــراقي	«	
٢٩	محمد صديق محمد علي خان	باكستاني	«	
٣٠	كوزى بارمـــان عبد الله	هنـــدى	«	
٣١	عبد الله عبد الحميد محمود	اندونيسى	«	
٣٢	فـــاروق مصطفى عـــاصم	ســـورى	«	
٣٣	امين ابو بـــكر بارسو	فلبيـــنى	«	
٣٤	سليمان مبشر عبد الحفيظ	هنـــدى	«	
٣٥	محمد الدرعـــاوى محمد	مغـــربي	«	
٣٦	رجب بشــــار	يوغوسلافي	«	
٣٧	عبد الله سليمان الشرقي	ســعودى	«	
٣٨	يحي عبد الرحمن مصباح	اندونيسى	جيـــد	
٣٩	محمـــد يعقـــوب	«	«	
٤٠	اريـــاتيـــل زبـــير	هنـــدى	«	
٤١	عثمــــان صفي بوقس	اندونيسى	«	
٤٢	السومارى بن عيسى	مغـــربي	«	
٤٣	محمـــد المـــاس يعقوب	يوغوسلافي	«	
٤٤	ســوهير اليـــاس	اندونيسى	«	
٤٥	داود امـــيرول	فلبيـــني	«	
٤٦	قلشمير محمد شكرى جمعه	غيـــاني	«	
٤٧	السيد محمـــد المضوني	يمـــني	«	
٤٨	محمد عمـــر سلطـــان	سوداني	«	
٤٩	محمـــد أودام	تايلـــندى	«	
٥٠	محمد عثمان عبد الغني	صـــيني	«	
٥١	كمـــال عثمان	فلبيـــني	«	
٥٢	حسن جعفر طـــالب	حضرمي	«	

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
٥٣	عبد المعز باسط	اندونيسي	«	
٥٤	تفريحان احمد	«	«	
٥٥	عمر يعقوب	«	«	
٥٦	محمد مقدسي	«	«	
٥٧	محمد العربي بروجو	مغربي	«	
٥٨	محمد امان عمر	اثيوبي	«	
٥٩	سوفنج سوباكيا	اندونيسى	مقبول	

نسبة النجاح (٧٤)

★ ● ★

بيان بأسماء خريجى كلية القرآن والدراسات الإسلامية في الدور الأول لعام ٩٧ – ١٣٩٨ هـ

مسلسل	اسم الطالب	الجنسية	التقدير	ملاحظات
١	محمد بن سيدي بن الحبيب	موريتاني	ممتاز	
٢	خالد حياة محمود	باكستاني	«	
٣	حزام بن على بن محمد	يمني	جيد جداً	
٤	حبيب الرحمن غلام رسول	باكستاني	«	
٥	المكاشفى الشيخ الزبير	سوداني	«	
٦	سليمان بن محمد محسن	سعودى	«	
٧	عبد العزيز بن ناصر بن حسين	«	«	
٨	محمد عبد الله فارح	صومالي	«	
٩	محمد مبارك السالك	موريتاني	«	
١٠	محمد عبد الله سيدي	«	«	
١١	فوزي محمود حافظ حسن	سعودى	«	
١١	فوزى محمود حافظ حسن	سعودى	«	
١٠	احمد محمد عبد القادر ملا	«	جيد	
١١	سعيد محمد مقبل	يمني	«	
١٢	عبد الواحد ابراهيم عبد الرازق	اثيوبي	مقبول	

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان بأعداد خريجي كليات الشريعة والدعوة وأصول الدين والقرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الدور الأول للعام الدراسي ١٣٩٨/٩٧ هـ وبيان أقطارهم.

الرقم المسلسل	القطر	كلية الشريعة	كلية الدعوة وأصول الدين	كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية	المجموع
١	المملكة السعودية	٢٩	١	٤	٣٤
٢	الأردن	١١	٦	—	١٧
٣	أثيوبيا	٣	١	١	٥
٤	إريتريا	١	—	—	١
٥	أندونيسيا	١	١٠	—	١١
٦	باكستان	٣	٢	٢	٧
٧	البحرين	—	١	—	١
٨	تايلند	٥	١	—	٦
٩	تنزانيا	١	—	—	١
١٠	تونس	١	—	—	١
١١	الجزائر	١	—	—	١
١٢	داهومي	١	—	—	١
١٣	ساحل العاج	—	١	—	١
١٤	السودان	٣	٤	١	٨
١٥	سوريا	٣	٢	—	٥
١٦	سيراليون	٢	—	—	٢
١٧	سيلان	١	—	—	١
١٨	الصومال	—	—	١	١
١٩	الصين	—	١	—	١
٢٠	العراق	١	٢	—	٣
٢١	غانا	١	—	—	١
٢٢	غيانا	—	١	—	١
٢٣	الفلبين	٢	٣	—	٥
٢٤	فلسطين	٢	—	—	٢
٢٥	الكويت	٣	—	—	٣
٢٦	لبنان	٤	—	—	٤
٢٧	النيجر	٢	—	—	٢
٢٨	نيجيريا	٤	—	—	٤
٢٩	مالديف	—	١	٠	١
٣٠	مصر	٦	٢	—	٨
٣١	المغرب	٥	٤	—	٩
٣٢	موريتانيا	١	١	٣	٥
٣٣	نيبال	١	—	—	١
٣٤	الهند	٥	٥	—	١٠
٣٥	اليمن الجنوبية	١	١	—	٢
٣٦	اليمن الشمالية	١٣	٧	٢	٢٢
٣٧	يوغوسلافيا	—	٢	—	٢
٣٨	يوغندا	٣	—	—	٣

مجموع عدد الخريجين من كلية الشريعة ١٣٠ طالبا

مجموع عدد الخريجين من كلية الدعوة وأصول الدين ٥٩ طالبا

مجموع عدد الخريجين من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية ١٤ طالبا

● وفود للدعوة الى الإسلام :

أوفدت الجامعة الإسلامية كعادتها – عددا من الوفود إلى خارج البلاد ليقوموا بالدعوة إلى الله خلال العطلة الصيفية – ومن البلدان التى أرسلت إليها هذه الوفود : « ١) الولايات المتحدة الأمريكية ٢) الفلبين ٣) غانا ٤) ومالى ٥) ونيجيريا .

● المعسكر الصيفي :

أقامت الجامعة الإسلامية معسكراً طلابيا في خلال هذه العطلة الصيفية في بلدة « نماص » . وقد ضم هذا المعسكر مجموعة من طلاب الجامعة وأساتذتها بتنظيم من إدارة الاشراف الاجتماعى بالجامعة .
والغرض من هذا المعسكر توجيه الطلاب وتثقيفهم وتدريبهم على أساليب الدعوة إلى الله عمليا .

● منح الجامعة لأبناء العالم الإسلامى :

ومن المعلوم أن الجامعة تقوم بترحيل كل طالب أعطته المنحة من بلده إلى المدينة المنورة حيث الجامعة الإسلامية ثم تؤمن له السكن والتنقلات من وإلى الجامعة علاوة على المكآفأة الشهرية التى تتراوح بين ٣٠٠ الثلاثمائة والسبعمائة ٧٠٠ تختلف باختلاف المراحل الدراسية وباختلاف الكليات . وهناك تسهيلات أخرى لطلاب الجامعة ومعاهدها ومن أهمها تأمين الكتب الدراسية .

وتوزيع المنح كالتالي :

جدول توزيع المنح الدراسية لعام
١٣٩٨ هـ – ١٣٩٩ هـ – وعددها (١٠٠٠ منحة)

مسلسل	البلد	عدد المنح	مسلسل	البلد	عدد المنح
١	الامارات العربية	٢٥	١٠	المانيا	٣
٢	أثيوبيا	٢٥	١٠	اندونيسيا	٥٠
٣	الاردن	١٥	١١	أنجولا	٢
٤	أريتريا	٢٠	١٢	ايران	١٥
٥	أسبانيا	٢	١٣	باريفوس	٢
٦	استراليا	٣	١٤	باكستان	٤٠
٧	افريقيا الوسطى	٥		منها ٦ لكشمير و٣ لبلتستان	
٨	افغانستان	٢٠	١٥	بنجلاديش	٣٠

(تابع)   جدول توزيع المنح الدراسية لعــام
١٣٩٨ هـ – ١٣٩٩ هـ وعددها (١٠٠٠) منحــة

مسلسل	البلـــد	عدد المنح	مسلسل	البلـــد	عدد المنح
١٦	البحرين	٧	٤٠	روديسيا	٤
١٧	البرازيل	٤	٤١	زامبيا	٣
١٨	بروني	٢	٤٢	زائـــير	٥
١٩	بريطانيا	٥	٤٣	ساحل العاج	١٥
٢٠	بلجيكا	٢	٤٤	السنغال	١٥
٢١	بورمـــا	٦	٤٥	سنغافورة	٥
٢٢	بورندى	٤	٤٦	السودان	٢٠
٢٣	تايـــلاند	٢٠	٤٧	سوريا	١٢
٢٤	تنزانيا	٦	٤٨	السويد	٢
٢٥	تركستان	٦	٤٩	سيراليون	٨
٢٦	تركيـــا	٢٠	٥٠	سيرالانكا (سيلان)	٨
٢٧	ترنـــداد	٥	٥١	الصومال	١٥
٢٨	تشـــاد	١٥	٥٢	الصين الوطنية	٤
٢٩	توجـــو	٦	٥٣	العراق	١٢
٣٠	تونس	٨	٥٤	عمـــان	٦
٣١	جابون	٣	٥٥	غـــانا	١٥
٣٢	الجزائر	١٠	٥٦	زامبيـــا	٥
٣٣	جزائر القمر	٢٠	٥٧	غيانا الامريكية	٥
٣٤	جزر فيجي	٣	٥٨	غينيه بيساو	٥
٣٥	جنوب افريقيا	٦	٥٩	غينيه كونكرى	١٠
٣٦	جيبوتي	١٠	٦٠	فرنسا	٢
٣٧	الدانمارك	٢	٦١	الفلـــبين	٢٠
٣٨	داهومى	١٠	٦٢	فولتا العليا	١٠
٣٩	رونـــدى	٥	٦٣	فلسطين	١٥

(تابع) جدول توزيع المنح الدراسية لعام ١٣٩٨ هـ – ١٣٩٩ هوعددها (١٠٠٠) منحة

مسلسل	البلد	عدد المنح
٦٤	فيتنام الجنوبية	٣
٦٥	قبرص	٢
٦٦	قطر	٦
٦٧	كمبوديا	٢
٦٨	الكميرون	٨
٦٩	الكنغو برازافيل	٥
٧٠	كندا	٣
٧١	كوريا الجنوبية	٥
٧٢	الكويت	٧
٧٣	كينيا	١٠
٧٤	لبنان	١٠
٧٥	ليبريا	٥
٧٦	ليبيا	٥
٧٧	ماليزيا	١٨
٧٨	مالي	١٠
٧٩	محلديب	٦
٨٠	مدغشقر	٣
٨١	مصر	١٢
٨٢	المغرب	١٥
٨٣	الملاوى	٢
٨٤	موريتانيا	١٢
٨٥	موريشيس	٥
٨٦	موزمبيق	٥
٨٧	نيبال	٤
٨٨	النيجر	٩
٨٩	نيجيريا	٣٥
٩٠	نيزلندا	٢
٩١	الهند	٢٤
٩٢	هولاندا	٢
٩٣	هونج كونج	٢
٩٤	الولايات المتحدة	٨
٩٥	اليابان	٣
٩٦	اليمن الجنوبية	٣
٩٧	اليمن الشمالية	٣٠
٩٨	يوغوسلافيا	١٠
٩٩	يولندا	١٢
١١٠	اليونان	٤
١٠١	الاقليات الاسلامية التى لم تذكر	٢٥
	المجموع	١٠٠٠

• مؤتمـرات الجامعة :

ومنذ سنتين تقريبا عقدت الجامعة مؤتمراً اسلامياً واسعاً تحت عنوان « مؤتمر اعداد الدعاة وتوجيه الدعوة » .

وهى تأخذ الآن في الاعداد لعقد مؤتمر هام تحت عنوان « مؤتمر مكافحة المسكرات والمخدرات » وسوف يتم انعقاده في سنة ١٣٩٩ ه ان شاء الله ، وفي الوقت ذاته ان الجامعة مزمعة لعقد المؤتمر الثاني « لإعداد الدعاة وتوجيه الدعوة » في عام١٤٠٠ه . . فنسأل الله لها التوفيق المطرد لتؤدى واجبها في خدمة الإسلام والمسلمين .

•••••••••••••••••••••

• أخبار الرسائل الجامعية :

تمت مناقشة رسالتين لدرجة « ماجستير » في قاعة المحاضرات بالجامعة الإسلامية في نهاية العام الدراسي ٩٧ – ١٣٩٨ ه .

الرسالة الأولى :

قدم الرسالة الأولى الطالب السعودى « نايف بن هاشم الدعيس » . . وموضوعها :
تحقيق كتاب (بيان خطأ من أخطاء على الامام الشافعى) للامام البيهقى .

الاطار العام للرسالة :

قام الطالب بدراسة الكتاب وتحقيقه تحقيقا عاميا ، وتناولت الرسالة ترجمة للامام البيهقى ترجمة مستفيضة . كما تضمنت ترجمة الامام الشافعى ترجمة واسعة وهو الذى يدور مادة الكتاب حول مروياته كما تناولت الرسالة تحليل بعض كتب علل الحديث مطبوعة ومخطوطة . وبيان مكانة كتاب البيهقىمن بينها الخ . هذا القسم الاول .

أما القسم الثاني : فتناول نص كتاب (بيان خطأ من أخطأ على الامام الشافعى) حيث ضبط المحقق الاعلام الواردة فيه وعرف بهافيالحاشية وخرج أحاديث الكتاب وعنى بالتحقيق على الفوائد الحديثية والفقهية . . هذا وقد نال الطالب درجة « ممتاز » فنرجو له دوام التوفيق .

لجنة المناقشة :

وتشكيل لجنة المناقشة كان على الوجه التالي :

١ – الدكتور أكرم ضياء العمرى رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية رئيساً للجنة
٢ – الدكتور أبو شهبة الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز عضواً
٣ – الدكتور السيد الحكيم الأستاذ بالجامعة الإسلامية عضواً

الرسالة الثانية :

قدمها الطالب اليمني « محمد عبد الرحمن الأهدل »
وموضوعها : « مرويات نكاح المتعة » دراسة وتحقيقا .

الإطـــار العــام للرسالة :

جمع الطالب الروايات المتعلقة بنكاح المتعة من كتب الحديث الشريف . ومن كتب التراجم لمعرفة آراء ومواقف الصحابة والتابعين . ومن كتب الفقه لبيان آراء المدارس الفقهية في نكاح المتعة ، ثم تعرض للآثار السيئة لشيوع المتعة في بعض المجتمعات ، وقد قام الطالب بنقد الروايات وفق أساليب المحدثين وأظهر استيعاباً للقواعد الأصولية في الترجيح بين الأدلة المتعارضة . وتعتبر دراسة الطالب من أوسع الدراسات الحديثية في الموضوع .

هذا وقد نال الطالب درجة « ممتاز » مع توصية اللجنة بطبع الرسالة على نفقة الجامعة الاسلامية .

وقد تشكلت لجنة المناقشة من كل من :

١ – الدكتور أكرم ضياء العمرى رئيسا
٢ – الدكتور محمد محمد أبو شهبة عضواً
٣ – الشيخ حماد الانصارى عضواً

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

- عقد المجلس الأعلى للجامعة دورته السادسة بمقر الجامعة في الفترة من ٢١ الى ٢٤ رجب سنة ١٣٩٨ هـ برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز نيابة عن صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز الرئيس الأعلى للجامعة . وقد اتخذ المجلس في هذه الدورة عدة قرارات منها :

- اقرار لائحة الامتحانات في كليات الجامعة .
- تعيين الشيخ ابي بكر الجزائرى عضو هيئة التدريس بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية عضوا في مجلس الجامعة لمدة سنتين .
- تعيين الشيخ عبد الرؤوف اللبدى عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بالجامعة عضوا في مجلس الجامعة لمدة سنتين .
- اعتماد الحساب الختامى للجامعة في العام الحالي ٩٧ / ١٣٩٨ هـ وتعيين مراقب لحسابات الجامعة لعام ٩٨ / ١٣٩٩ هـ .
- تعديل كادر المتعاقدين من هيئة التدريس وللمحاضرات والمعيدين ولائحة توظيفهم ،

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

صدرت الموافقة السامية على تعيين اعضاء بالمجلس الأعلى للجامعة لمدة ثلاث سنوات وهم : -

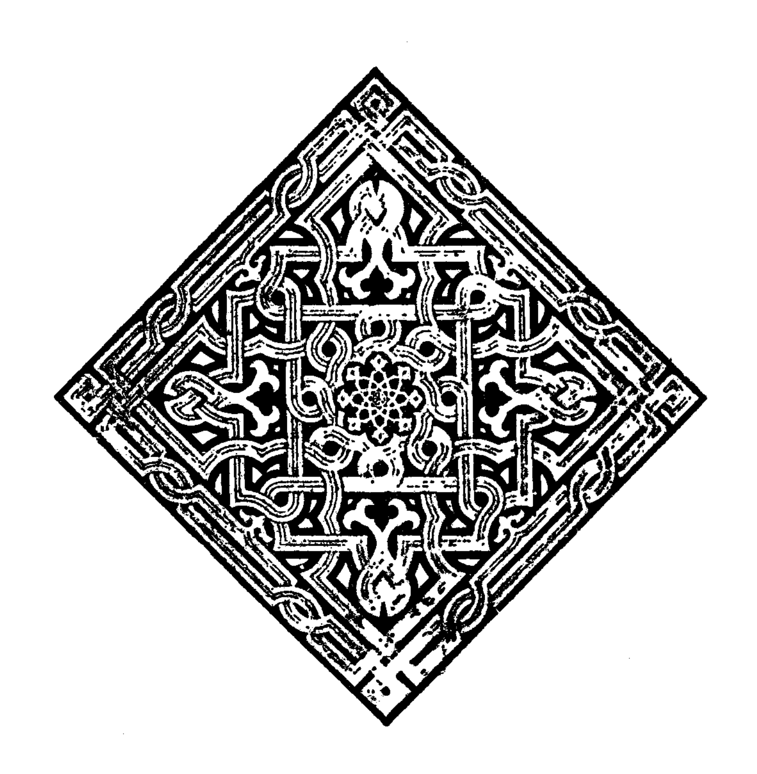
١ - فضيلة الشيخ ابو بكر جومي رئيس قضاة شمال نيجيريا .
٢ - فضيلة الشيخ ابو الحسن الندوى رئيس ندوة العلماء بلكنو في الهند .
٣ - معالي الدكتور اسحاق الفرحان رئيس الجامعة الأردنية سابقاً .
٤ - فضيلة الدكتور محمد أديب صالح رئيس قسم علوم القرآن والسنة في جامعة دمشق .
٥ - فضيلة الدكتور عبد الكريم زيدان الاستاذ بجامعة بغداد سابقاً .
٦ - فضيلة الأستاذ محمد قطب الاستاذ بقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة - مكة المكرمة - .
٧ - معالي الشيخ يوسف جاسم الحجى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت .
٨ - سعادة الاستاذ مندور المهدى عميد كلية التربية بجامعة الخرطوم .
٩ - فضيلة الشيخ مصطفى كمال التارزى مدير الشعائر الدينية بتونس .
١٠ - سعادة الدكتور عبد السلام الهراس الأستاذ بجامعة محمد بن عبد الله بفاس .
١١ - معالي الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين .
١٢ - معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
١٣ - معالي الدكتور بكر عبد الله بكر مدير جامعة البترول والمعادن بالظهران .

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

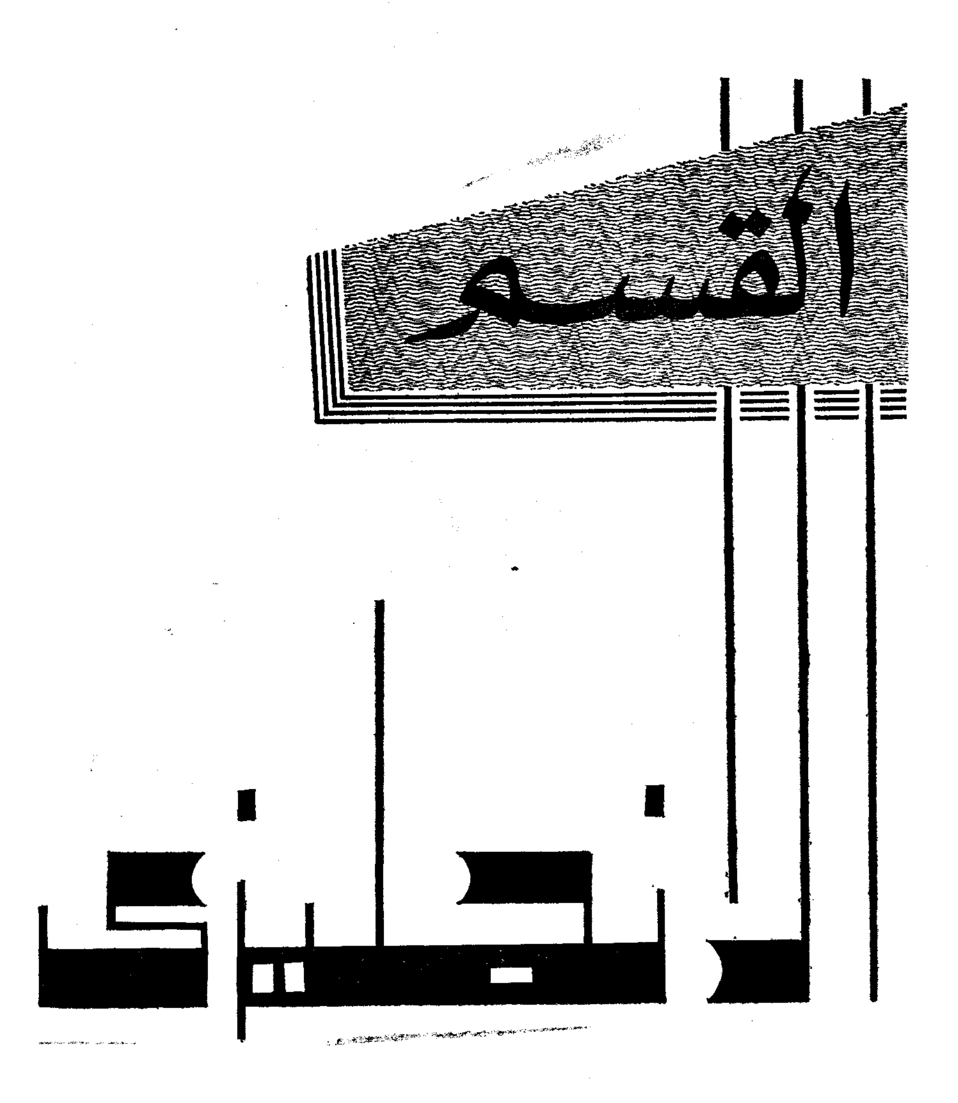
تقوم الجامعة بإعادة طباعة تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي لتوزيعه ضمن الكتب التي تطبعها الجامعة للتوزيع .

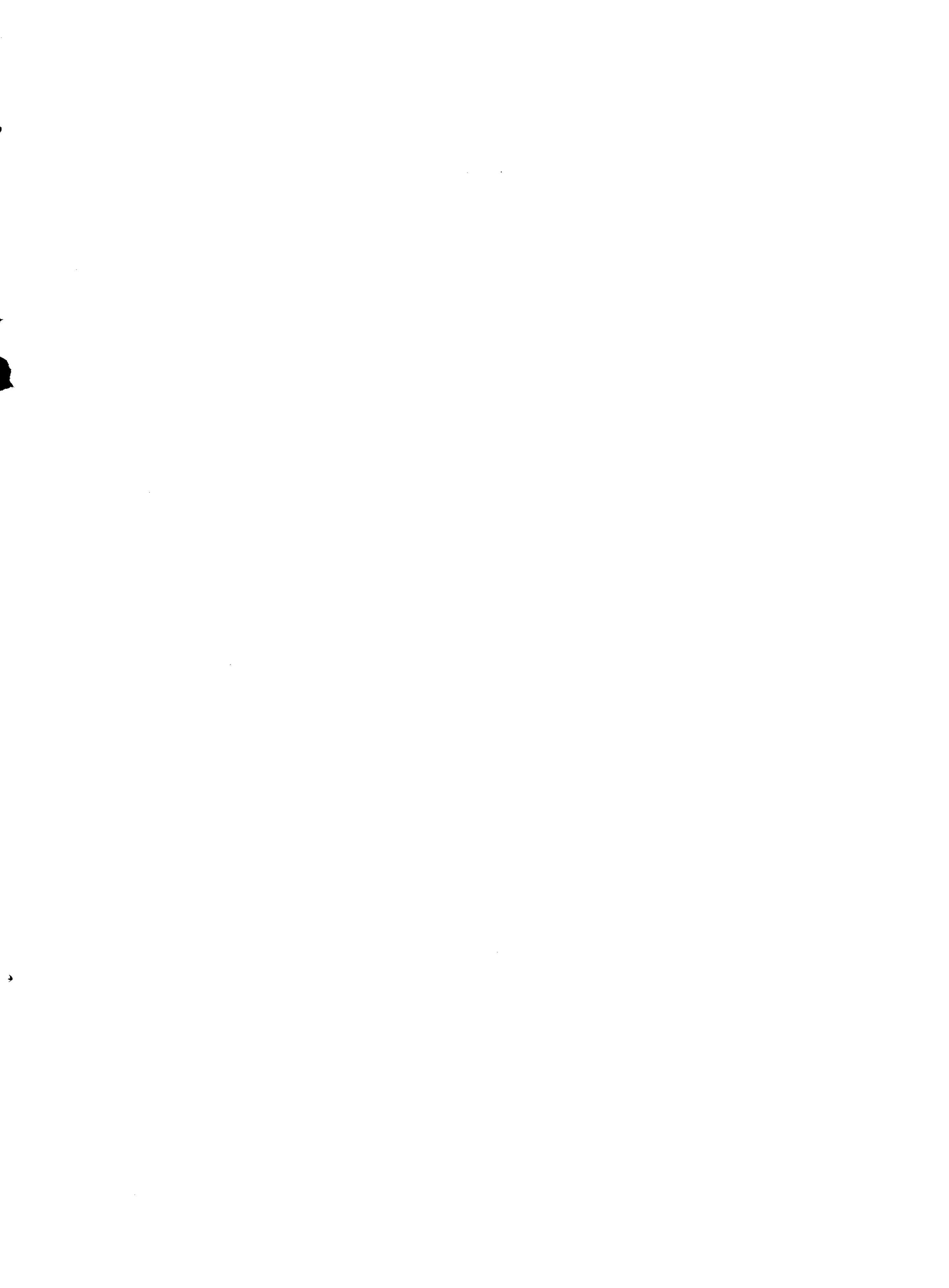
♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

قامت الجامعة بطباعة خمسمائة الف نسخة من رسالة التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد ، وقد وزعت الجامعة هذه الكمية على سفارات جلالة الملك في البلاد العربية لتقوم بتوزيعها على الذين يتقدمون إليها بطلب تأشيرة الدخول للمملكة للحج والعمرة .



محتويات العـــدد


القسم
الانجليزي



Ramadan is the month in which was revealed The Quran , a guidance for mankind,and clear proofs of the guidance,and judgment between right and wrong.So every one of you is present should fast it,but if any one is ill or on a journey, he should fast the same number of other days. Allah desires for you ease,He desires not hardship for you,and desires that you should complete the prescribed period,and that you should magnify Allah for having guided you,and that peradventure you may be thankful (185) When My worshippers ask you concerning Me, I am surely nigh:I answer the call of the suppliant when he calls onto Me.So let them hear My call and believe in Me in order that they may be led aright (186) It is made lawful for you on the night of the fasts the approach to your wives. They are raiment for you,and you are raiment for them. Allah knows that you were deceiving yourselves,and He has turned in mercy towards you,and forgave you;so now associate with them,and seek what Allah has ordained for you,and eat and drink until the white thread of dawn becomes distinct to you from its black thread,then complete your fast till the nightfall,but do not associate with your wives while your in retreat in the mosques.These are limits imposed by Allah, so appproach them not, Thus Allah makes clear His signs to mankind that they may fear Allah (187).

((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون (١٨٣) أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر
فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا
فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون (١٨٤) شهر رمضان
الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد
منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على
ماهداكم ولعلكم تشكرون (١٨٥) واذا سألك عبادى عنى فانى قريب
أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون
(١٨٦) أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس
لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن
وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط
الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى
المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم
يتقون (١٨٧)))

=======

O you who believe ! Fasting is prescribed for you as it was prescribed for those before you,that you may ward off (evil),or learn self-restraint (183) Fasting for a certain number of days,and if any of you is ill or on a journey , the same number of other days,and for those who can do it (with hardship) or can afford it,there is a ransom: the feeding of a man in need or one that is indigent.But he that does good of his own free will,it is better for him, and that you fast is better for you if you knew (184)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :
(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة
فى أن يدع طعامه وشرابه) "صحيح البخارى"

==========

HONOURABLE HADITH

Abu-Horayrata (Mercy of Allah be upon him) narrated: The Prophet of Allah said, "Whoever does not give up forged speech and evil action, Allah is not in need of his leaving his food and water." (It means that Allah will not accept his fasting). 'Sahihul-Bukhari'

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله رب العالمين (٢) الرحمن الرحيم (٣) مالك يوم الدين (٤)
اياك نعبد واياك نستعين (٥) اهدنا الصراط المستقيم (٦) صــراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧)

=======

SURATUL-FATIHA

(The Opening Chapter)

In the name of Allah,The Beneficent,The Merciful (1) Praise be to Allah,The Lord of the Worlds (2) The Beneficent,The Merciful (3) Master of the Day of Judgement (4) You alone we worship,You alone we ask for help (5) Show us the straight way (6) The way of those whom You have favoured,not the way of those who earn Thine Anger nor of those who go astray (7)

الآراء المنشورة فى هذه المجلة ليست تعبيراً عن رأى المجلة .. وإنما تعبر عن رأى كاتبها فقط .

التحرير

ISLAMIC UNIVIRSITY

MAGAZINE

MADINA MONAWARA



11th YEAR

1 st RAMADAN
1398 H.